المناهِجُ الدِّراسِيَّةُ

التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي علَّم بِالقَلَمِ، علَّم الإنسانَ ما لم يَعْلَم، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ الأُمِّيِّ الذي بعثه اللهُ لِيُخرِجَ النّاسَ مِن الظُّلمات إلى النُّور، أمّا بعد:

فإنَّ تَوحِيدَ الله – عزَّ وجلَّ – أوجَبُ الواجِبات، والعِلْمَ بِه أشْرَفُ العلومِ وأفضَلُها، وهو الأساس الذي تُبنى عليه صِحَّة الأعمالِ وقَبولُها، وحاجَةُ العِباد إليه فَوْقَ كُلِّ حاجَةٍ؛ لأنَّه لا حياةَ لِلقلوبِ، ولا نَعِيمَ، ولا طُمأنِينَةَ، إلّا بمعرِفَة ربِّها ومَعبودِها وفاطِرِها، بِأسمائِه وصِفاتِه وأفعالِه، كما أنَّ التَّفقُّهَ في الدِّينِ ومَعْرِفَةَ كَيْفِيَّة أداءِ العِبادات، كالطَّهارة، والصَّلاة، وغيرهما مِن علامات السَّعادَة، وأمارَة أنَّ الله تعالى أراد بِعَبْدِه خَيْراً، قال –صلى الله عليه وسلم–:« مَن يُرِد الله بِه خيراً يُفقّهه في الدِّين » [1].

ويشتَمِل هذا المقَرَّر من التَّوحيد على بيان أسبابِ الفَلاحِ التي جاء ذِكرُها مُجتَمِعَةً في سورة العَصر، وُجوبُ طاعَةِ الرَّسول، والبُعْد عن الشِّرْكِ، وبيانُ الأصول الثَّلاثَةِ التي يَجِبُ مَعرِفتُها والعَمَل بها، ومراتب الإسلام والإيمان والإحسان القواعِد الأربَعِ التي يَعْرِف الطّالِبُ مِن خِلالِها أنَّ الإقْرارَ بتَوحِيد الرُّبوبِيَّةِ وحدَه لا يُدْخِل في الإسلام، وأنَّه لا بُدَّ مِن تَوحِيد الألوهِيَّة، وهو إفرادُ اللهِ تعالى بالعِبادَةِ.

كما يشمل على ذِكْر لَمْحَةٍ تاريخِيَّةٍ عن حُصولِ الانحِرافِ في الحياةِ البَشَرِيَّة، وذلك مِن خلالِ ظُهور الكُفْرِ والشِّرْكِ والنِّفاقِ.

وتَعرِيف الشِّرْكِ والكُفْرِ والنِّفاقَ، وبيان أنواعِها، ودَلِيل كلِّ نَوْعٍ مِنها وحكمها، بيان نَواقِض الإسلامِ، وبيان الأقوالِ والأفْعالِ والاعتِقاداتِ التي تُنافي التَّوحِيدَ أو تُنْقِصُه.

وتَعْرِيفُ البِدْعَةِ، وبيانُ أنواعِها، وأحْكامِها، والأسبابِ التي أدَّت إلى ظُهورِها، ومَنْهَج أهلِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين برقم (٧).

السُّنَّةِ والجماعَةِ في الرَّدِّ علَيْهِم.

ونُبْذَةٍ مُختَصرَةٍ في العقيدَةِ تشتَمِل على بيانِ الحُقوقِ الواجِبَةِ على كلِّ مُسلِمٍ اتِّجاهَ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، وزوجاتِهِ أمّهاتِ المؤمنِينَ، وصَحابَتِهِ، وخُلفائِهِ الرّاشِدِين، وآل بيته الطيبين وأئِمَّة المسلِمين، وُجوبُ الإيمانِ بِما وَرَدَ في السُّنَّة مِن الأحادِيث الصَّحيحَةِ، ونَعِيمُ القَبْرِ وعَذابُهُ، ومِن أحوالِ يَوْمِ القِيامَةِ، وعَدَمُ الحُكْمِ لأحَدٍ مِن أهلِ القِبْلَةِ بِجَنَّةٍ أو نارٍ، والوَلاءُ والبَراءُ (تَعامُلُ المسلِم مع المسلِم وغَيْرِ المسْلِم).

ونَوَدُّ أن نُذَكِّرَ المدَرِّس بِبَعض الأُمور التي تُعِينُه على أدائِه لِمُهِمَّتِه في تَبْلِيغِ العِلْمِ الشَّرعِيّ، وتَسْهِيل فَهْمِ الطُّلّابِ لِشَرْحِه، ومنها:

١- الإخلاصُ للهِ تعالى شَرْطٌ في قَبُولِ العَمَلِ، فاجْعَل عَمَلَك خالِصاً لِوَجْهِه سبحانه تَغْنَم في دُنياك وآخِرَتِك.

٢- حِفْظُ الأمانَة سَبِيلٌ لِلنَّجاةِ، وأنت - أخي المعلِّم - على ثَغْرٍ مِن ثُغورِ الإسلام، ومُؤتَمَنٌ على عُقولِ وفِطَرِ أبناءِ المسلمين، فاحْفَظ الأمانَةَ لِتَنَل الفلاحَ في الدّارَيْنِ.

٣- إنَّ تَعلِيمَ مادَّة التَّوحيدِ مِن أجلِّ الأعمالِ، فلا صَلاحَ لِلعِبادِ ولا نجاةَ مِن خِزْي الدُّنيا وعَذابِ الآخِرَةِ إلّا بمعرِفَة التَّوحِيدِ والعَمَلِ بِه، فاعمَل جاهِداً على غَرْسِ العَقِيدَة الصَّحِيحَة في نُفوسِ المتعلِّمين، وكُن ترجماناً صادِقاً ومَثَلاً حَيّاً لِما تدعُو إليه مِن مُثُلٍ وقِيَمٍ عُلْيا.

٤- استِغلالُ المواقِفِ لِلحَديث عن وحدانِيَّة الله وقُدرَتِه عند تَلَبُّدِ السَّحاب في كَبِد السَّماء، ولَمعانِ البَرْق، ودَوِيِّ الرَّعْد، ونُزولِ الأمطار، ونحوِ ذلك مِن الأحداثِ التي تُحرِّك في المسلِم بَواعَث الإيمان.

٥- إنَّ تَيْسِير المادَّة بِضَرْبِ الأمثالِ، ورَبْطِ الدَّرْسِ بِالواقِع له أثَرٌ كَبِيرٌ في محبَّة المتعَلِّمِين لِلمادَّة، ومِن ثَمَّ تَعلُّمها والعَمَل بها. وفي الختام نُبَشِّرُكَ بِقوله -صلى الله عليه وسلم-:« إنّ ممّا يَلْحَق المؤمِنَ مِن عَمَلِه وحَسَناتِه بعد مَوْتِه عِلماً علَّمَه ونَشَرَه » [1].

(١) رواه ابن ماجه برقم (٢٤٢).

واللهَ نسأل أن يجعَل هذا العَمَل خالِصاً لِوَجْهِه، وأن يَنْفَعَ بِه، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نَبِيِّنا محمَّد وعلى آلِه وصَحْبِه.

مفردات المقرر:

الدَّرس الأوَّل: أسبابُ الفَلاحِ

الدَّرس الثّاني: العِلْمُ يَسْبِقُ العَمَلَ

الدَّرس الثّالِث: وُجوبُ طاعَةِ الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم– والبُعْد عن الشِّرْكِ

الدَّرس الرّابِع: لا تَجوزُ مُوالاةُ مَن حادَّ اللهَ ورَسُولَه

الدَّرس الخامِس: الحَنِيفِيَّةُ

الدَّرس السّادس: الأُصولُ الثَّلاثَةُ

الدَّرس السّابِع: آياتُ اللهِ ومَخلوقاتُه

الدَّرس الثّامِن: الخالِقُ المُنْعِمُ هو الذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ

الدَّرسُ التّاسِع: أنواعُ العِبادَةِ، وحُكْمُ مَن صَرَفَ شَيْئاً مِنها لِغَيْرِ اللهِ

الدَّرس العاشِر: أدِلَّة بَعْضِ أنواعِ العِبادَةِ

الدَّرس الحادِي عَشَر: أدِلَّةُ بعض أنواعِ العِبادَةِ

الدَّرس الثّاني عَشَر: دِينُ الإسلامِ

الدَّرس الثالث عشر: شَهادَة أن لا إِلَهَ إلّا اللهُ

الدَّرس الرابع عشر: شَهادَة أنَّ مُحمَّداً رَسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–

الدَّرس الخامس عشر: أدِلَّة بَقِيَّة أركانِ الإسلامِ

الدَّرس السادس عشر: الإيمانُ

الدَّرس السابع عشر: الإحسانُ

الدَّرس الثامن عشر: الدَّلِيلُ مِن السُّنَّة على مَراتِب الدِّينِ

الدَّرس التاسع عشر: مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–

الدَّرس العشرون: دَعْوَةُ الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم–

الدَّرس الحادي والعشرون: الهِجْرَةُ

الدَّرس الثاني والعشرون: كمالُ رِسالَةِ نَبِيِّنا محمَّد –صلى الله عليه وسلم– وعُمومها

الدَّرس الثالث والعشرون: البَعْثُ بَعْدَ المَوْتِ

الدَّرس الرابع والعشرون: أَوَّلُ الرُّسُلِ وخاتَمُهُم

الدَّرس الخامس والعشرون: أَهَمِيَّةُ التَّوحِيد

الدَّرس السادس والعشرون: الإِقْرارُ بِالتَّوحيد

الدَّرس السابع والعشرون : طَلَبُ القُرْبَةِ والشَّفاعَةِ مِن الأَصْنامِ شِرْكٌ

الدَّرس الثامن والعشرون: أَنْواعُ الشَّفاعَةِ

الدَّرس التاسع والعشرون: كُلُّ عِبادَةٍ لِغَيْرِ اللهِ ضَلالٌ

الدَّرس الثلاثون: عِبادَةُ الأَنْبِياءِ والصَّالحينَ والأَشْجارِ والأَحْجارِ شِرْكٌ

الدَّرس الحادي والثلاثون: غِلَظُ شِرْكِ أَهلِ هذا الزَّمانِ

الدرس الثاني والثلاثون: الانحراف في حياة البشرية ولَمْحَةٌ تارِيخِيَّةٌ عن الكُفْرِ والشِّرْكِ والنِّفاقِ.

الدرس الثالث والثلاثون: خطر الشرك وعظمه

الدرس الرابع والثلاثون: الشِّرْكُ وأَنْواعُهُ

الدرس الخامس والثلاثون: الشِّرْكُ في الطَّاعَةِ وفي المحَبَّةِ

الدرس السادس والثلاثون: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ والشِّرْكُ الخَفِيُّ

الدرس السابع والثلاثون: الكُفْرُ وأَنْواعُهُ

الدرس الثامن والثلاثون: بَقِيَّةُ أنواعِ الكُفْرِ الأكبَرِ

الدرس التاسع والثلاثون: الكُفْرُ الأَصْغَر

الدرس الأربعون: النِّفاقُ وأَنْواعُهُ

الدرس الحادي والأربعون: نَواقِضُ الإِسْلامِ

الدرس الثاني والأربعون: مِن نَواقِضِ الإسلامِ

الدرس الثالث والأربعون: بَقِيَّة نَواقِضِ الإسلامِ

الدرس الرابع والأربعون: ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان والتنجيم.. إلخ.

الدرس الخامس والأربعون: السِّحر والكهانة والعرافة.

الدرس السادس والأربعون: الرّقى والتّمائم

الدرس السابع والأربعون: تقديم القرابين والنّذور والهدايا للمزارات والقبور وتعظيمها.

الدرس الثامن والأربعون: تعظيم التّماثيل والنصب التّذكارية.

الدرس التاسع والأربعون: الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته.

الدرس الخمسون: ادّعاء حقّ التّشريع والتّحليل والتّحريم.

الدرس الحادي والخمسون: الحكم بغير ما أنزل اللّه.

الدرس الثاني والخمسون: الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهليّة.

الدرس الثالث والخمسون: النّظرة المادية للحياة.

الدرس الرابع والخمسون: التّوسل بغير الله والاستعانة بالمخلوق.

الدرس الخامس والخمسون: تعريف البدعة – أنواعها – أحكامها.

الدرس السادس والخمسون: ظهور البدع في حياة المسلمين. والأسباب التي أدَّت إليها.

الدرس السابع والخمسون: موقف الأمّة الإسلامية من المبتدعة، ومنهج أهل السُّنّة والجماعة في الردّ عليهم.

الدرس الثامن والخمسون: نماذج من البدع المعاصرة، وهي:

١– الاحتفال بالمولد النَّبويّ.

٢ – التَّبرك بالأماكن والآثار والأشخاص.

٣ – البدع في مجال العبادات والتَّقرب إلى الله.

الدرس التاسع والخمسون: الواجِبُ على المسْلِم لِلرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم–

الدرس الستون: محبَّة الرَّسول وتعظِيمه، والنَّهي عن الغُلوّ والإطراء في مَدْحِه، وبيان منزلته – صلى الله عليه وسلم–.

الدرس الحادي والستون: طاعته –صلى الله عليه وسلم– والاقتداء به والصّلاة والسّلام عليه.

الدرس الثاني والستون: الواجِبُ لِصَحابَةِ الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم–

الدرس الثالث والستون: فضل الصّحابة وما يجب اعتقاده فيهم. ومذهب أهل السُّنّة والجماعة فيما حدث بينهم.

الدرس الرابع والستون: النّهي عن سبِّ الصّحابة وأئمة الهدى.

الدرس الخامس والستون: الواجِب لِلخَلفاءِ الرّاشِدِين رَضِيَ اللهُ عنهم.

الدرس السادس والستون: فضل أهل البيت وما يجب لهم من غير جفاء ولا غلو.

الدرس السابع والستون: الواجِبُ لِزَوْجاتِ نَبِيِّنا -صلى الله عليه وسلم-

الدرس الثامن والستون: الواجِبُ لأئِمَّة المسلِمِينَ

الدرس التاسع والستون: وُجوبُ الإيمانِ بِما وَرَدَ في السُّنَّة مِن الأحادِيث الصَّحيحَةِ

الدرس السبعون: نَعِيمُ القَبْرِ وعَذابُهُ

الدرس الحادي والسبعون: مِن أحوالِ يَوْمِ القِيامَةِ

الدرس الثاني والسبعون: عَدَمُ الحُكْمِ لأحَدٍ مِن أهلِ القِبْلَةِ بِجَنَّةٍ أو نارٍ

الدرس الثالث والسبعون: الوَلاءُ والبَراءُ (تَعامُلُ المسلِم مع المسلِم وغَيْرِ المسْلِم)

الدَّرس الأوَّل

أسبابُ الفَلاحِ

اِعْلَم – رَحمك الله – أنَّه يجِب عَلَيْنا تَعَلُّم أَرْبَع مَسائِل:

الأولى: العِلْمُ: وهو مَعرِفَة اللهِ، ومَعْرِفَة نَبِيِّهِ، ومَعْرِفَة دِينِ الإسلامِ بِالأدِلَّة.

الثّانية: العَمَل به.

الثّالِثة: الدَّعْوَة إليه.

الرّابِعَة: الصَّبْر على الأذَى فيه.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾[العصر: ١ - ٣].

قال الشافعي [1] – رحمه الله تعالى–:" لو ما أنزَلَ اللهُ حُجَّةً على خَلْقِه إلّا هذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُم ".

إرْشادات الدَّرس:

* أقْسَمَ اللهُ أنَّ كُلَّ النّاسِ خاسِرون إلّا مَن أخذَ بِأسبابِ النَّجاةِ والفَلاحِ.

* يجِب على المسلِم تَعَلُّم أسبابِ النَّجاةِ مِن الخسارَة، وهي أربعة:

١– العِلْمُ بِاللهِ تعالى، وبِنَبِيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم، وبِدِينِه عِلْماً نافِعاً يُؤَدِّي إلى العَمَل.

٢– العَمَلُ بِالدِّين الذي آمَنَ بِه بِفِعْلِ الطّاعات، وتَرْكِ المحرَّمات.

---

(١) هو محمَّد بن إدريس القُرَشِيِّ الشّافعي، ولد سنة (١٥٠هـ)، عالم بِالفقه والحديث، له مُؤَلَّفاتٌ كثيرَة مِن أشهَرِها: كتاب " الأُمّ "، و" الرِّسالَة "، توفي سنة (٢٠٤هـ).

٣- الدَّعْوَة إلى دِينِ الإسلامِ ونَشْره بين النّاسِ.

٤- الصَّبْرُ على فِعْلِ الطّاعات، والصَّبْرُ على الأذى الذي يُصِيبُه بِسَبَبِ دَعْوَتِه لِلنّاسِ.

* هذه الأسباب الأربعَة مُتَرَتِّبَة على بَعضِها؛ فإنَّ العَمَل يقوم على العِلْمِ، ودَعْوَة النّاسِ يَنْبَغي أن يَسْبِقَها التِزامه بِتَعالِيمِ الدِّينِ.

* على المسلم أن يحفَظَ هذه المسائِلَ ويُعَلِّمَها غيرَه؛ لأنَّ هذا مِن نَشْرِ العِلْمِ ودَعْوَةِ النّاسِ إلى الخير.

الأسئِلَة:

س١: أُذْكُر المسائِلَ التي يجِب عليك تَعَلُّمها.

س٢: على أيِّ شَيْءٍ أقسَمَ اللهَ بِالعَصْرِ ؟

س٣: ما أسباب الفَلاحِ المذكورَة في سُورَةِ العَصْرِ ؟

س٤: رَتِّب هذه الأُمورَ حسب أَوْلَوِيَّتِها:

الصَّبرُ - العِلْمُ - الدَّعوةُ إلى الله - العَمَلُ.

س٥: ماذا قال الشّافعي - رحمه الله - عن سورة العصر ؟، وعلى ماذا يَدُلُّ ذلك ؟

الدَّرس الثّاني

العِلْمُ يَسْبِقُ العَمَلَ

وقال البُخاري [1] – رحمه الله تعالى –:

باب: العِلْم قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ.

والدَّلِيلُ قولُه تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[محمد: ١٩].

فبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَل.

إرْشاداتُ الدَّرْسِ:

* العِلْمُ الحقُّ هو ما جاء بِه رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– في القرآنِ والسُّنَّةِ.

* المسلم يجِب أن تكون أعمالُه وعباداتُه قائِمَةً على عِلْمٍ صَحِيحٍ بِالشَّريعَةِ حتَّى تكون عبادَةً صَحِيحَةً مَقْبُولَةً.

* كَثِيرٌ مِن الأخطاءِ والبِدَع التي يقع فيها النّاس سَبَبُها الجهلُ بِالدِّينِ الحقِّ، وعَدَمُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ.

الأسئِلَة:

س١: ما العِلْمُ الحقُّ ؟

س٢: ما سَبَب وُقوعِ النّاس في البِدَعِ والأخطاء ؟

س٣: بِمَ أمرَ اللهُ تعالى في الآية الكريمة ؟

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ولد سنة (١٩٤هـ)، عالم في الحديث، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: صحيح البخاري المسمى بـ" الجامع المسند الصحيح المختصر مِن أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسُنَنه وأيّامِه ". توفي سنة (٢٥٦هـ).

س٤: لماذا كان العِلْمُ سابِقاً لِلعَمَلِ ؟

الدَّرس الثّالِث

وُجوبُ طاعَةِ الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم– والبُعْد عن الشِّرْكِ

اعلم – رحمك الله – أنَّه يجب على كُلِّ مُسلِمٍ ومُسلِمَةٍ تَعَلُّم ثَلاثَةِ مَسائِلَ والعَمَل بِهِنَّ:

الأوَّل: أنَّ اللهَ خَلَقَنا ورَزَقَنا ولم يَتْرُكْنا هَمَلاً؛ بل أرسَلَ إلينا رسولاً، فمَن أطاعَه دَخَل الجنَّة، ومَن عصاه دَخَل النّارَ.

والدَّلِيل قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) ﴾[المزمل: ١٥ – ١٦].

الثّانية: أنَّ اللهَ لا يَرْضى أن يُشْرَكَ معه أَحَدٌ في عبادَتِه، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

والدَّليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) ﴾[الجن: ١٨].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* مِن نِعْمَةِ اللهِ علينا أن أوجَدَنا لِعِبادَتِه بعد أن لم نَكُن شَيْئاً، ورَزَقَنا النِّعَمَ لِنَسْتَعِينَ بها على ما خُلِقْنا لأجْلِهِ.

* مِن نِعْمَةِ اللهِ على الإنسان أنَّه لم يترُكْه هَمَلاً يَعِيشُ كالحيواناتِ؛ بل أرسَلَ إليه الرُّسُلَ بِالحَقِّ.

* الرَّسولُ –صلى الله عليه وسلم– بَيَّن لِلنّاسِ طَرِيقَ الجنَّة ودَعاهُم إليه، وعَرَّفَهُم طَرِيقَ النّارِ وحذَّرَهُم منه، ولذا يجِب طاعَتُه كما قال النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–:« كلُّ أُمَّتي يدخُلون الجنَّة إلّا مَن أبى، قالوا: يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال: مَن أطاعَني دَخَل الجنَّة، ومَن عَصاني فَقَدْ أبى ». رواه البخاري في كتاب الاعتصام والسُّنَّة، باب: الاقتداء بِسُنَن رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم–، رقم (٧٢٨٠).

* اللهُ تعالى ليس له شَرِيكٌ في المُلْكِ حتّى الملائِكَة والأنبياء هم عَبِيدٌ فُقَراء إلى اللهِ، فلا يجوزُ لأحَدٍ أن يَعْبُدَهُم مع الله تعالى.

الأسئِلَة:

س١: ما الحِكمَة مِن بَعْثِ الرُّسُلِ إلى النّاسِ ؟

س٢: ما حُكْمُ دَعْوَةِ غير اللهِ مِن الأنبِياءِ والصّالحين، مع ذِكْرِ الدَّليل ؟

س٣: ما جزاء من أطاع الله وأطاع الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-؟

س٤: ما جَزاء مَن عصى اللهَ تعالى ورَسُولَه محمَّداً -صلى الله عليه وسلم- ؟

س٥: ما عاقِبَة فِرْعَون حِينَما عَصَى مُوسى عليه السَّلام ؟

الدَّرس الرّابع

لا تَجوزُ مُوالاةُ مَن حادَّ اللهَ ورَسُولَه

الثّالثة: أنَّ مَن اطاعَ الرَّسولَ ووَحَدَّ اللهَ لا يجوزُ له مُوالاةُ مَن حادَّ اللهَ ورَسولَه ولو كان أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾[المجادلة: ٢٢].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* الموالاةُ: هي الحبُّ والنُّصْرَة للهِ ولِرسولِه ولِلمؤمنين في الأقوالِ والأفعالِ، وهي مِن أعْظَمِ مَعالِمِ الدِّينِ.

* المؤْمِن المُوَحِّد وَلاؤُهُ للهِ ولِرسولِهِ ولِلمُؤمِنِينَ.

* يحرُمُ على المسلِم أن يُواليَ مَن لا يُؤمِن بِاللهِ ورَسولِه، أو يُحارِبَ دِينَ الإسلامِ.

* المسلِم ولو كان بَعِيدَ الدّارِ فهو أخوكَ في الدِّين، والمحادُّ للهِ ولو كان أخاك في النَّسَبِ فهو عَدُوُّكَ في الدِّين.

* لقد ضَرَبَ الصَّحابَة – رضي الله عنهم – أَرْوَعَ الأمثِلَة في الوَلاءِ الصّادِق للهِ ولِدِينِهِ حينما قاتَلوا أقارِبَهُم الذين حارَبوا الرَّسولَ **–صلى الله عليه وسلم–**، فمَدَحَهُم اللهُ بِذلك [1].

(١) أُنظر: كتاب" الوَلاء والبَراء في الإسلام "، للشيخ محمَّد بن سعيد القحطاني – حفظه الله –.

الأسئِلَة:

س١: هل يجوزُ حُبُّ اليَهودِ والنَّصارى، مع ذِكْرِ الدَّليل ؟

س٢: ما جَزاء مَن أَبْغَضَ أعداءَ اللهِ ؟

س٣: أُذْكُر معنى الوَلاءِ.

س٤: أُذْكر المسائِلَ الثَّلاثَ التي يجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ تَعَلُّمها.

الدَّرس الخامِس

الحَنِيفِيَّةُ

اِعْلَم – أرشَدَك اللهُ لِطاعَتِه – أنَّ الحنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إبراهيمَ، أن تَعْبُدَ اللهَ وحدَه مخلِصاً له الدِّين، وبِذلك أمَرَ اللهُ جميعَ النّاسِ وخَلَقَهُم لها، كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾[الذاريات: ٥٦]. ومَعْنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾: يُوَحِّدون، وأعظَم ما أمَرَ اللهُ بِه: التَّوحِيد، وهو: إفرادُ اللهِ بِالعِبادَةِ، وأعظَمُ ما نهى عنه: الشِّرْك، وهو: دَعْوَة غَيْرِهِ مَعَه.

والدَّلِيل قوله تعالى:﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء: ٣٦].

إرشاداتُ الدَّرس:

* الحَنِيفُ: هو المُسْتَقِيم على التَّوحِيدِ، التّارِكُ لِلشِّرْكِ والضَّلالِ، وقد مَدَحَ اللهُ نَبِيَّه إبراهِيمَ عليه الصَّلاة والسَّلام بِأنَّه كان (حَنِيفاً) حيث خالَفَ قَوْمَه المشركين ووَحَّدَ اللهَ تعالى.

* أمَرَ اللهُ نَبِيَّه محمَّداً –صلى الله عليه وسلم– وأصحابَه إذا دعاهُم أهلُ الأديان أن يقولوا لهم: إنّا على الدِّينِ الحقِّ دِينِ إبراهِيم، وهو (الحنِيفِيَّة)، قال سبحانه:﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[البقرة: ١٣٥]

* دَينُنا الإسلامُ الذي جاء بِه محمَّد **–صلى الله عليه وسلم–** هو الحنِيفِيَّة التي لا تُوجَد لدى غَيْرِ المسلِمِين المُوحِّدِين، فيجب علينا أن نَلْتَزِمَ بها، ونَدْعُو كُلَّ الأُمَمِ إليها.

* أعظَمُ الواجِبات: الأَمْرُ بِالتَّوحِيدِ، والنَّهْيُ عن الشِّرْك؛ ولذا ابْتَدَأَ اللهُ بِالأمْرِ بِهِ في آيَةِ الحقوقِ العَشَرَة في قوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾[الذاريات:

.[٥٦

الأسئِلَة:

س١: اختَر الإجابَة الصَّحِيحَة ممّا يلي:

- أعظَمُ ما نهى اللهُ عنه:

أ- الكَذِب ( ).

ب- الشِّرْك( ).

ج- الغِشّ ( ).

- أعظَم ما أَمَرَ اللهُ بِه:

أ- الصِّدْق ( ).

ب- الأمانَة ( ).

ج- التَّوحِيد ( ).

س٢: بِمَ أمَرَ اللهُ نَبِيَّه محمَّداً -صلى الله عليه وسلم- وأصحابَه إذا دَعاهُم اليَهُودُ والنَّصارى إلى أديانِهِم ؟

س٣: ما مِلَّة إبراهِيم عليه الصَّلاة والسَّلام.

الدَّرس السّادس

الأُصولُ الثَّلاثَةُ

فإذا قِيلَ لك: ما الأُصولُ الثَّلاثَةُ التي يجِب على الإنسانِ مَعْرِفَتُها ؟
فقل: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّه، ودِينَه، ونَبِيَّهُ محمَّداً -صلى الله عليه وسلم-.

الأَصْلُ الأَوَّل: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ:

فإذا قِيلَ لَك: مَن رَبُّكَ ؟
فَقُل: رَبِّيَ اللهُ الذي رَبّاني، ورَبَّى جَمِيعَ العالَمِين بِنِعَمِه، وهو مَعْبُودِي، ليس لِي مَعْبُودٌ سِواه.
والدَّلِيلُ قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾[الفاتحة:٢].
وكُلُّ مَن سِوى اللهِ عالَمٌ، وأنا واحِدٌ مِن ذلك العالَمِ.

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* الأُصولُ: جمع أَصْلٍ، وهو ما يُبْنى عليه غَيْرُه، ومِن ذلك: أَصْلُ الجِدارِ، أيْ: أساسُهُ، وابْتَدَأ المؤلِّف – رحمه الله – بِذِكْرِ الأُصولِ الثَّلاثَةِ هنا مُجمَلَةً، ثمَّ بعد ذلك فَصَّلَها أَصْلاً أَصْلاً؛ تَتْمِيماً لِلفائِدَةِ، وتَنْشِيطاً لِلْمُتَعَلِّمِ.

* هذه الأُصولُ الثَّلاثَة إشارَة إلى الأُصول التي سَيُسْأَلُ عنها الإنسانُ في قَبْرِهِ، وهي: مَن رَبُّكَ ؟، وما دِينُك ؟، ومَن نَبِيُّك ؟.

* اللهُ وَحْدَه هو خالِقُ العالَمِ كُلِّه: النّاس، والجمادات، والنَّباتات، والحيوانات وغيرها، وسُمّوا عالماً؛ لأنَّهم عَلَمٌ على خالِقِهِم ومالِكِهم، وهو اللهُ سبحانَه وتعالى.

* اللهُ سبحانَه هو الذي أمَدَّ النّاسَ بِأسبابِ الحياةِ مِن الطَّعامِ والشَّرابِ والصِّحَّةِ ونحوِها.

* اللهُ هو الخالِق الرّازِقُ؛ فيَجِب أن يكونَ هو المَعبُودُ وَحْدَه دون مَن سِواه.

الأسئِلَة:

س١: ما الأُصولُ الثَّلاثَة التي يجِب على العَبْدِ مَعرِفَتُها ؟

س٢: ما معنى الرَّبِّ ؟

س٣: أُذْكُر الدَّلِيلَ على رُبُوبِيَّةِ اللهِ لجمِيعِ العالَمِينَ.

الدَّرس السّابع

آياتُ اللهِ ومَخلوقاتُه

فإذا قِيلَ لك: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟

فقُل: بِآياتِهِ ومخلوقاتِه.

ومِن آياتِهِ: اللَّيلُ والنَّهار، والشَّمسُ والقَمَر.

ومِن مخلوقاتِه: السَّموات السَّبع، والأَرضونَ السَّبْع، ومَن فِيهِنَّ، وما بَيْنَهما.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[فصلت:٣٧].

وقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾[الأعراف:٥٤].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* الإنسانُ العاقِلُ لا يَنْظُر إلى الكَوْنِ وهو مُعْرِضٌ غافِلٌ، وإنَّما يَتَأمَّل في هذه المخلوقات العَظِيمَة وما تَدُلُّ عليه مِن عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِه، فيَخْشَع إجلالاً لِخالِقِها سُبحانه، قال الشّاعِر وهو يَتَأمَّل ما حَوْلَه:

فواعَجباً كيف يُعصى الإله ** أم كيف يجحَدُه الجاحِدُ

ولله في كلِّ تحريكَةٍ ** وتَسكِينَةٍ أبداً شاهِدُ

وفي كلِّ شيءٍ له آيَةٌ ** تَدُلُّ على أنَّه واحِدُ

* نبَّهَ اللهُ عِبادَه في كِتابِه الكريم إلى آياتِه ومخلوقاتِه، وأمَرَ بِالتَّفَكُّر فيها، فينبغي لِلمُسلِم أن لا يَغْفَل عن ذلك إذا قَرأ القُرآن، وإذا نَظَرَ في الكَوْنِ مِن حَولِه.

الأسئِلَة:

س١: بِمَ نَعْرِفُ رَبَّنا ؟

س٢: أُذكُر بَعْض آياتِ اللهِ ومخلوقاتِه.

س٣: استَخْرِج مِن الآياتِ ما يَدُلُّ على قُدْرَةِ اللهِ تعالى.

س٤: تأمَّل في المخلوقاتِ التّالية ثُمَّ اذكُر أمامَ كُلٍّ مِنها ما تَعْرِفه مِن وُجوهِ العَظَمَة فيها، وعلى ماذا تَدُلُّ:

الشَّمس، الأرض، اللَّيل، القَمَر.

س٥: تَفَكَّر في المخلوقاتِ والآيات التّالية، ثم عَدِّد وُجوهَ النِّعْمَة في كُلٍّ واحِدَةٍ منها:

بَدَن الإنسانِ، النَّهار، المطَر، النُّجُوم.

الدَّرس الثّامِن

الخالِقُ المُنْعِمُ هو الذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ

والرَّبُّ هو: المعبودُ.

والدَّلِيل قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾[البقرة:٢١- ٢٢]..

قال ابن كثير[1] رحمه الله تعالى:" الخالِقُ لهذهِ الأشياءِ هو المُسْتَحِقُّ لِلعِبادَةِ ".

إرشاداتُ الدَّرس:

* الرَّبُّ هو اللهُ تعالى؛ لأنَّه خالِقُ الموجوداتِ، المُدَبِّر في العالَمِ كُلِّه، ولهذا فإنَّه سبحانَه وَحْدَه الذي يَسْتَحِقُّ العِبادَة، فهو المعبود الحقُّ، وكُلُّ مَعبُودٍ سِواه باطِلٌ.

(١) هو: أبو الفِداء إسماعيل بن عمر بن كثير القُرشي، ولد سنة (٧٠١هـ)، عالم بِالتَّفسير والحديث، له مُؤلَّفات كثيرة أشهرها:" تفسير القرآن العظيم"، و" البداية والنهاية "، توفي رحمه الله سنة (٧٧٤هـ).

الدَّرسُ التّاسِع

أنواعُ العِبادَةِ، وحُكْمُ مَن صَرَفَ شَيْئاً مِنها لِغَيْرِ اللهِ

وأنواعُ العِبادَة التي أمَرَ اللهُ بها، مِثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومِنه الدُّعاء، والخَوْف، والرَّجـاء، والتَّوكُّـل، والرَّغْبَـة، والرَّهْبَـة، والخشُـوع، والخشْـيَة، والإنابَـة، والاسْـتِعانَة، والاسْـتِعاذَة، والاسْتِغاثَة، والذَّبْح، والنَّذْر، وغير ذلك مِن أنواعِ العِبادَة التي أمَرَ اللهُ بها، كلُّها للهِ.

والدَّليل قولُه تعالى:﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾[الجن: ١٨].

فمَن صَرَفَ مِنها شَيْئاً لِغَيْرِ اللهِ فهو مُشرِكٌ كافِرٌ.

والدَّليل قولُه تعالى:﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) ﴾[المؤمنون: ١١٧].

وفي الحديث:« الدُّعاءُ هو العِبادَةُ » [(١)].

والدَّليل قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾[غافر: ٦٠].

إرشاداتُ الدَّرسِ:

* المسلِم الحَقُّ هو الذي يُخلِصُ العِبادَة للهِ وحْدَه، أمّا الذي يَصْرِف بَعْضَ أنواعِ العِبادَةِ لِغَيْرِ اللهِ فهو مُشْرِكٌ كافِرٌ – والعِياذ بِالله –.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء حديث رقم (١٤٧٩)، والترمذي في أبواب التفسير، باب تفسير سورة المؤمن (غافر) حديث رقم (٣٢٤٧). قال أبو عيسى:" هذا حديث حسن صحيح "، ورواه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، حديث رقم (٣٨٢٨)، وأحمد ج٤ ص٢٦٧، ٢٧٦، وهو صحيح الإسناد، أمّا حديث أنس بن مالك (الدُّعاء مُخُّ العِبادَةِ) فهو حديث ضَعِيف الإسناد، رواه الترمذي في الدعوات برقم (٣٣٧١)، وقال:" هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلّا مِن حديث ابن لهيعة ".

* الدُّعاءُ يَتَضَمَّن:

أ- تَعْظِيمَ اللهِ وتَقْدِيسَه.

ب- تَذَلُّل الدّاعِي وتَضَرُّعُه.

ج- رَجاءُ اللهِ وطَلَبُه، ولهذا وَصَفَه الرَّسولُ **-صلى الله عليه وسلم-** بِأنَّه هو العِبادَة.

* أخبَرَ سُبحانَه أنَّ مَن دَعا غيرَ اللهِ، أو اسْتَكْبَرَ عن دُعائِه تعالى فلم يَدْعُه فإنَّه:

- كافِرٌ كما في الآيَةِ الأولى.

- ومَصِيرُه جَهَنَّم كما في الآية الثّانية.

* أنواعُ العِبادَة كَثِيرَةٌ، ولا تكون عِبادَةً صَحِيحَةً مقبولَةً إلّا إذا تَوَفَّر فيها شَرْطان:

١- أن يُقْصَد بها وَجْهِ اللهِ تعالى.

٢- أن تكون مِمّا ثَبَتَ بِالشَّرعِ، لا مِمّا أحدَثَ النّاسُ مِن البِدَعِ.

الأسئِلَة:

س١: ما حُكْمُ مَن صَرَفَ شيئاً مِن أنواعِ العِبادَة لِغيرِ الله ؟

س٢: ما عاقِبَة مَن اسْتَكْبَر عن عِبادَةِ الله ؟

س٣: ما الدَّلِيل على أنَّ الدُّعاءَ عِبادَةٌ ؟

س٤: لو سمعت شَخصاً يقول عند أحد القُبور: يا صاحِبَ القَبْرِ أغِثْني، أو اكشِف كَرْبِي، فما حُكْمِ فِعْلِه ؟، وبماذا تَنْصَحُه ؟

س٥: أُذكُر بعضَ أنواعِ العِبادَة.

س٦: أُذكُر شُروطَ قَبولِ العَمَلِ الصّالح.

الدَّرس العاشِر

أدِلَّة بَعْضِ أنواعِ العِبادَةِ

ودَلِيلُ الخَوْفِ:

قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾[آل عمران: ١٧٥].

ودَلِيلُ الرَّجاءِ:

قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[الكهف: ١١٠].

ودَلِيلُ التَّوكُّلِ:

قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله:﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾[الطلاق: ٣].

ودَلِيلُ الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والخُشوعِ:

قوله تعالى:﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء: ٩٠].

ودَلِيلُ الخَشْيَةِ:

قوله تعالى:﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) ﴾[البقرة: ١٥٠].

ودَلِيلُ الاسْتِعانَةِ:

قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾[الفاتحة:٥].

إرشادات الدَّرس:

* الخَوْفُ والخشْيَةُ والرَّهْبَةُ عِباداتٌ مُتقارِبَة المعنى يجب أن تُصرَفَ للهِ وَحْدَه، ذلك أنَّ ما يحجز المؤمِنُ بِه نَفْسَه عمّا حَرَّمَ اللهُ عليه هو الخوفُ مِن اللهِ تعالى وخَشْيَتُه، والحَذَرُ مِن وَعِيدِهِ.

* الرَّجاءُ والرَّغْبَة عِبادتان تَتَحَقَّقان بأن يَتَعَلَّق المؤمِنُ بِفَضْلِ اللهِ ورِضْوانِهِ، ويسعى مجتَهِداً لِتَحْصِيلِهِ؛ بِفِعْلِ الطّاعاتِ، وتَرْكِ المنهِيّاتِ.

* التَّوَكُلُ: هو اعْتِمادُ القَلْبِ على اللهِ تعالى، وحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ، فمَن فَعَلَ ذلك؛ فإنَّ اللهَ يَكْفِيه هُمومَه، ويَتولَّى أمْرَه، ويَرْزُقه مِن حيث لا يحتَسِب.

* معنى الإنابَة: الرُّجوعُ إلى اللهِ بِتَوْبَةٍ وخُضوعٍ رَجاءَ رَحْمَتِهِ.

* هذه العِبادات بمعانِيها العَظِيمَة يجِب أن تُصْرَفَ للهِ وَحْدَه دون سِواه مِن المخلوقِين.

الأسئِلَة:

س١: املأ الفَراغات فيما يلي:

- مِن أنواع العِبادة: الخوف ..... ، ..... ، .....

س٢: اربِط كلَّ كَلِمَةٍ في العمود (أ) بمعناها في العَمُود (ب) فيما يلي:

العمود (أ)	العمود (ب)

الخوف والرَّهبة	اعتِماد القلب على الله
التَّوكُّل	الرُّجوع إلى الله
الإنابَة	أن يحجز المؤمِن نَفْسَه عمّا حَرَّم الله عليه هو الخوف مِن وَعِيدِ اللهِ

س٣: استَدِل مِن القرآن على ما يأتي:

أ- الرَّجاء.

ب- التَّوكُّل.

ج- الخشْيَة.

د- الإنابَة.

هـ- الرَّغبة.

الدَّرس الحادِي عَشَر

أدِلَّةُ بعض أنواعِ العِبادَةِ

ودَلِيلُ الاسْتِعانَة:

قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾[الفاتحة:٥].

وفي الحديث:« إذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِن بِالله »[(١)].

ودَلِيلُ الاسْتِعاذَةِ:

قوله تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾[(٢)] [الفلق:١]،﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾[الناس:١]

ودَلِيلُ الاسْتِغاثَةِ:

قوله تعالى:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال:٩]

ودَلِيلُ الذَّبْحِ:

قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾[الأنعام:١٦٢ - ١٦٣].

---

(١) هذا جزء من حديث ابن عباس، رواه الترمذي وقال:" حديث حسن صحيح "، كتاب صفة القيامة، باب ٥٩، حديث رقم (٢٥١٦)، وأحمد ج١ ص٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، والمعنى: إذا أرَدْتَ طَلَبَ المعونَةِ في عَمَلِ المؤونَة المتعَلِّقة بأمر الدُّنيا والآخِرَةِ فاسْتَعِن بالله؛ إذ لا مُعِين سِواه، ولا فاتِحَ باب، ولا مانِعَ عطاء إلّا إيّاه، فلا بُدَّ مِن قَطْعِ الوَسائِط في مَقامِ قُرْبِه، كما يُشِير إليه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾أي: لا نعبُد إلّا إيّاك، ولا نَسْتَعِين إلّا بِك.

(٢) والفَلَق: الصُّبْح، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾.

ومن السُّنَّةِ:« لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ » [1].

ودَلِيلُ النَّذْرِ:

قوله تعالى:﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧)﴾[الإنسان: ٧] [2].

إرشاداتُ الدَّرس:

* الاستِعانَة هي: طَلَبُ العَوْنِ مِن اللهِ عزَّ وجَلَّ، المتضَمِّن كَمالَ الذُّلِّ مِن العَبْدِ لِرَبِّهِ، وتَفويضَ الأَمْرِ إليه.

* الاستِعاذَة هي: الالْتِجاءُ والاعْتِصامُ باللهِ المتَضَمِّن كمالَ الافْتِقارِ إليه.

* الاستِغاثَة هي: طَلَبُ الغَوْثِ مِن اللهِ بجَلْبِ الخيرِ، أو دَفْعِ الشَّرِّ.

* إذا اسْتَغَثْتَ بِشَخْصٍ حَيٍّ حاضِرٍ، واسْتَعَنْتِ بِه على أَمْرٍ يَقْدِر عليه، كَحَمْلِ مَتاعِك على السَّيارَةِ، أو إنقاذِكَ مِن الغَرَقِ؛ فإنَّ هذا جائِزٌ، وليس مِن الشِّرْك.

* يجِب على المسلم أن يجعلَ ذَبْحَهُ عِبادَةً للهِ وبِاسْمِهِ كما قال سبحانه:﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾[الكوثر: ٢].

* النَّذرُ: أن يُوجِب الإنسانُ على نَفْسِه ما ليس واجِباً، مثل: إذا نَجَحْت في الامتِحان فعَلَيَّ صِيامُ ثَلاثَةِ أيّامٍ.

* النَّذْرُ عِبادَة لا يجوز أن يَصرِفَها الإنسانُ لِغَيْرِ اللهِ تعالى، فلا يقول: نَذَرْت لِلقَبْرِ كذا وكذا.

---

(١) رواه مسلم مُطوَّلاً، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله (١٥٦٧/٣) برقم (١٦٧٨).
واللَّعْن: الإبعادُ عن الرَّحمةِ، واللَّعِين والملعون: مَنْ حَقَّت عليه اللَّعْنَةُ.

(٢) مُسْتَطِيراً: أي مُنْتَشِراً عامّاً على النّاسِ.

الأسئِلَة:

س١: بِمَ أمرَنا اللهُ سُبحانَه في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾؟

س٢: بِمَ أمرَنا الرَّسولُ **-صلى الله عليه وسلم-** في الحديث:« إذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِن بالله » ؟

س٣: بَيِّن معنى ما يلي: الاسْتِعانَة، والاستِغاثَة، والاستِعاذَة ؟

س٤: استَدِل مِن القرآن الكريم على ما يأتي:

- الاستِعانَة.
- الاستِغاثَة.
- الذَّبْح.
- النَّذْر.

الدَّرس الثّاني عَشَر

دِينُ الإسلامِ

الأصل الثّاني: مَعْرِفَة دِينِ الإسلامِ بِالأدِلَّة.

وهو الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوحِيدِ، والانقِيادُ له بِالطّاعَةِ، والبَراءَةُ مِن الشِّرْكِ وأهلِهِ.

وهو ثَلاثُ مَراتِبَ:

(الإسلام)، و (الإيمان)، و (الإحسان)، وكلُّ مَرْتَبَةٍ لها أركان.

إرشادات الدَّرس:

* الأديانُ التي يَتَّبِعها النّاسُ ويخضَعون لها على ظَهْرِ الأرضِ كَثِيرَةٌ، لكنَّ الدِّينَ الحقَّ واحِدٌ وهو (دِينُ الإسلام)، أمّا الأديان الأخرى فهي باطِلَة، قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾[آل عمران: ٨٥].

* دِينُ الإسلامِ نَعْرِفُه مِن القرآن الكريم ومِن أحادِيثِ الرَّسولِ **-صلى الله عليه وسلم-**.

* العالَمُ كُلُّه مِن جِنٍّ وإنْسٍ يجِب عليه أن يَدْخُل في الإسلامِ، ويَتْرُكَ أديانَه الباطِلَة، وإلّا فإنَّ مَصِيرَه النّار، قال **-صلى الله عليه وسلم-**:« والذي نَفْسُ محمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَع بي أحَدٌ مِن هذه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ولا نَصْرانِيٌّ ثم يموتُ ولم يُؤْمِن بِالذي أُرْسِلْتُ بِه إلّا كان مِن أصحابِ النّار »[1].

* يجب على المسلم أن يَدْعُو النّاسَ إلى الإسلامِ، لِقَوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾[النحل: ١٢٥].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١/١٣٤)، برقم (١٥٣).

الأسئِلَة:

س١: ما الدِّين الحقُّ ؟، وما الدَّلِيل على ذلك ؟

س٢: عَدِّد مَراتِبَ الدِّين.

س٣: أكمِل الفَراغ فيما يلي:

الإسلام: هو الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوحيد، و ..... بِالطّاعَة، والبَراءَة مِن ..... و .....

س٤: اجِب بـ (نعم) أو (لا):

- دِينُ الإسلام هو الطَّرِيق الموصِلُ إلى الجنَّةِ ( ).
- الأديان الأخرى مُهلِكَة لِصاحِبِها ( ).
- دِينُ الإسلامِ نَعْرِفُه مِن القرآن والسُّنَّة ( ).

الدَّرس الثالث عشر

شَهادَة أن لا إِلَهَ إلّا اللهُ

المَرتَبَةُ الأولى:

فأركانُ الإسلامِ خمسَةٌ: شَهادَةُ أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمَّداً رَسولُ اللهِ، وإقام الصَّلاةِ، وإيتاء الزَّكاة، وصَوْم رمضان، وحَجّ بَيْتِ اللهِ الحرامِ.

فدَلِيلُ الشَّهادَةِ:

قوله تعالى:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾[آل عمران: ١٨].

ومعناها: لا معبودَ بحَقٍّ إلّا الله.

(لا إله): نافياً ما يُعْبَد مِن دون الله.

(إلا الله): مُثْبِتاً العِبادَةَ للهِ وَحْدَه لا شَرِيكَ له في عِبادَتِه، كما أنَّه ليس له شَرِيكٌ في مُلْكِه، وتَفسيرُها الذي يُوَضِّحُها قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾[1] [الزخرف: ٢٦- ٢٨].

وقوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾[آل عمران: ٦٤].

إرشادات الدرس:

---

(١) فَطَرَنِي: خَلَقَنِي وأَوْجَدَنِي بعد أن لم أَكُن شَيْئاً.

* شَـهادَة (لا إلـه إلّا الله) هـي الحقِيقَـة العُظْمـى الـتي شَـهِد بهـا أعْـدَلُ الحـاكِمِين رَبُّنـا، وشَهِدَت بها الملائِكَة، وشَهِد بها أهلُ العِلْمِ الحقِّ.

* لا إله إلّا الله تَتَضَمَّن أمرين:

الأول: نَفْيُ جَمِيع ما يُعبَد مِن دون الله.

الثّاني: إثباتُ أنَّ المعبودَ الحقَّ هو اللهُ وَحْدَه سُبحانَه.

* فكما أنَّ اللهَ وَحْدَه الخالِق المدَبِّر لا شريك له، فهو المعبودُ وَحْدَه لا شَرِيكَ له.

* (لا إله إلّا الله) هي دَعْوَة الإسلامِ التي يُوجِّهُها المسلِم إلى النّاسِ كلِّهِم.

* شَهادَة أن لا إله إلّا الله تَقْتَضي البَراءَةَ مِن الشِّرْكِ وأهلِه كما فَعَلَ إبراهِيم عليه الصَّلاة والسَّلام مع قَوْمِه.

* أهلُ الكِتابِ هم اليَهودُ والنَّصارى.

* لا يمتَنِع المسلِم مِن إعلانِ إسلامِهِ والدَّعْوَة إليه بِسَبَبِ إعراضِ النّاس عن الدُّخولِ فيه ﴿ ق تي □ □ □ □ ﴾ .

الأسئِلَة:

س١: تتَضَمَّن شَهادَة أن لا إله إلّا الله نَفْياً وإثباتاً. فماذا تنفي ؟، وماذا تُثْبِت ؟

س٢: أكمل الفَراغ فيما يأتي:

الله سبحانه وتعالى هو الخالِق المدَبِّر لهذا الكَوْنِ لا شَرِيكَ له. لِذلِك يجِب أن تُصرَفَ ..... له وَحْدَه.

س٣: أُذكر دَلِيلاً على شَهادَة أن لا إله إلّا الله.

س٤: ماذا يجِب على المسلمين تجاهَ دِينِهِم ؟

س٥: ضَع خطّاً تحت النَّفْي، وخَطَّيْن تحت الإثباتِ في الآيات الآتية:

أ- قوله تعالى:﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾[الزخرف: ٢٦- ٢٧].

ب- قوله تعالى:﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥)﴾[الأعراف: ٦٥].

الدَّرس الرابع عشر

شَهادَة أنَّ مُحمَّداً رَسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-

ودَلِيلُ شَهادَةِ أنَّ مُحمَّداً رَسولُ اللهِ:

قوله تعالى:﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)﴾[1] [التوبة: ١٢٨].

ومعنى شَهادَةِ أنَّ محمداً رسولُ الله: طاعَتُه فيما أمَر، وتَصدِيقُه فيما أخبَر، واجْتِنابُ ما نهى عنه وزَجَر، وأن لا يُعْبَد اللهُ إلّا بما شَرَع.

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* تَتَضَمَّن شَهادَة أنَّ محمَّداً رَسولُ اللهِ:

أ- الإيمان بأنَّ اللهَ تعالى قد بَعَثَ محمَّداً رَسُولاً إلى النّاسِ، وأوحى إليه بِدِينِهِ الحقِّ.

ب- تَصدِيقُ محمَّدٍ **-صلى الله عليه وسلم-** في كلِّ ما أخْبَرَ بِه عن اللهِ والملائِكَة والأنبِياءِ والآخِرَة ونحوِ ذلك؛ لأنَّه لا يَنْطِق عن الهوى.

ج- اتِّباع ما جاء بِه مِن شَرِيعَةٍ في كُلِّ الأُمورِ.

د- الابْتِعاد عن الابْتِداع في الدِّين بِالزِّيادَة أو النُّقصانِ.

---

(١) قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: مِن جِنْسِكُم تَعرفون نَسَبَه وحَسَبَه ولُغَتَه، وقوله: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي: يَشُقُّ عليه ما يُرْهِقُكُم ويُتْعِبُكُم؛ لِكَوْنه مِن جِنْسِكم ومَبعوثاً لِهدايَتِكم. ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: على إيمانِكُم وهِدايَتِكُم.

الأسئِلَة:

س١: ماذا تَتَضَمَّن شَهادَة أنَّ محمَّداً رَسولُ الله **–صلى الله عليه وسلم–** ؟

س٢: املأ الفَراغات بما يُناسِبُها مِن الكَلِمات الآتِيَة:

بَعثَ – تَصدِيق – النّاس – الله – الأنبياء – الهجرَة.

تَتَضَمَّن شَهادَة أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ الإيمان بِأنَّ الله تعالى: قد ..... محمَّداً رسولاً إلى ..... وأوحى إليه بِدِينِ الحقِّ، ويستلزم هذا الإيمان ..... محمَّداً **–صلى الله عليه وسلم–** في كلِّ ما أخبر به عن ..... والملائِكَة ..... والآخِرة ونحو ذلك.

س٣: ما معنى شَهادَة أنَّ محمَّداً رَسولُ الله **–صلى الله عليه وسلم–؟**

س٤: أُذكُر الدَّلِيلَ على شَهادَةِ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ.

الدَّرس الخامس عشر

أدِلَّة بَقِيَّة أركانِ الإسلامِ

ودَلِيلُ الصَّلاةِ والزَّكاةِ وتَفسِير التَّوحِيدِ:

قوله تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾[1] [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيامِ:

قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾[2] [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الحَجِّ:

قوله تعالى:﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾[آل عمران: ٩٧].

إرشادات الدَّرس:

* الصَّلاةُ عَمودُ الإسلامِ التي بها تَتَحَقَّق الشَّهادتان تحقُّقاً وافِياً، ولهذا فإنَّ تارِكَها كافِرٌ، قال تعالى في سورة المدثر:﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) ﴾[المدثر: ٤٢ - ٤٣].

---

(١) الحُنَفاء: الذين الْتَزَموا وتَركُوا الشِّرْكَ. القَيِّمَة: يعني العادِلَة المستَقِيمَة.

(٢) كُتِبَ: يعني: فُرِضَ.

* إخراجُ الزَّكاةِ بِطِيبِ نَفْسٍ دَلِيلٌ على اسْتِسْلام المسلِم لِرَبِّه في أَمْرِ أموالِه.

* الصِّيامُ والحجُّ رُكْنانِ مِن أركانِ الإسلام، أمَرَ اللهُ بِهما نَبِيّه كما أمَرَ بِهما الأنبياءَ السّابِقِينَ.

* هذه الأركان الأربعَة تجعَل شَخْصِيَّةَ الإنسانِ شَخْصِيَّةً مُسلِمَةً حَقّاً، فالصَّلاةُ أساسُ عِبادَةِ الذِّكْرِ وقِراءَةِ القُرآنِ وتَقْدِيسِ اللهِ، والزَّكاةُ أساسُ الجانِبِ الماليِّ، والصِّيامُ أساسُ ضَبْطِ النَّفْسِ على أَمْرِ الحقِّ، والحجُّ أساسُ بَذْلِ الجهدِ والمالِ معاً في سَبِيلِ الله. فما أعْظَمَ الإسلامَ مِن دِينٍ !

الأسئِلَة:

س١: عَدِّد أركانَ الإسلام.

س٢: لماذا كانت الصَّلاة عَمُودَ الإسلامِ ؟

س٣: مَن المخاطَب في قوله تعالى: ﴿ □ □ يم ﴾؟

س٤: ضَعْ علامَة (صح) أو (خطأ) فيما يأتي:

- الزَّكاة فَرَضَها الله تعالى على عِبادِهِ ( ).
- الصَّلاة عَمُودُ الإسلامِ ( ).
- الحجُّ واجِب على كلِّ مُسْلِمٍ اسْتَطاعَ أم لم يَسْتَطِع ( ).
- الصَّوم يُعَوِّد النَّفْسَ على التَّحَمُّلِ ( ).

س٥: أُذكر الأدِلَّة على وُجوبِ الزَّكاةِ والصَّومِ والحجِّ.

الدَّرس السادس عشر

الإيمانُ

المَرْتَبَةُ الثانِيَة:

الإيمان: وهو بِضْعٌ وسَبْعونَ شُعْبَةً، فأعلاها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطَة الأذى عن الطَّريق، والحياءُ شُعْبَةٌ مِن الإيمان [1].

وأركانُه سِتَّةٌ: أن تُؤْمِنَ بِاللهِ، ومَلائِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليَوْمِ الآخِرِ، وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ.

والدَّلِيلُ على هذِه الأركانِ السِّتَّةِ:

قوله تعالى:﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾[البقرة: ١٧٧].

ودَلِيلُ القَدَرِ:

قوله تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾[القمر: ٤٩].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* الإيمانُ يَشْمَل تَصْدِيقَ القَلْبِ، وإقرارَ اللِّسانِ، وعَمَلَ الأعضاءِ.

* الإيمان شَرْطٌ لِصِحَّة الأعمالِ، فالأعمال المجرَّدَة مِن الإيمانِ لا قِيمَةَ لها، وهذا معنى قوله

(١) هذه رواية ابن حبان، ورواية مسلم (فأفضلها قول: لا إله إلّا الله)، ورواية البخاري في صحيحه بلفظ:(الإيمان بِضْعٌ وسِتُّون شُعْبَةً، والحياء شُعْبَةٌ مِن الإيمان).

سبحانه: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾.

* يجب على المسلِم أن يُقَوِّي إيمانَه دائِماً حتى يَتَمَكَّن في قَلْبِه، وذلك بِفِعْلِ الطّاعاتِ وتَرْكِ المحرَّمات.

الأسئِلَة:

س١: ما أعلى شُعَب الإيمان ؟، وما أدناها ؟

س٢: أكمِل ما يأتي:

الإيمان يَشْمَل تَصْدِيقَ ..... وإقرارَ ..... وعَمَلَ .....

س٣: اختر الإجابَة الصَّحيحَة مِن بين الإجاباتِ المعطاةِ الآتية:

الإيمان يَشْمَل:

أ- تَصْدِيقَ القَلْبِ وعَمَل الأعضاءِ.

ب- إقرارَ اللِّسانِ.

ج- العَمَل فقط.

د- (أ+ب) جميعاً.

س٤: أُذكُر ثَلاثَةً مِن أركانِ الإيمان مع أدِلَّتِها.

س٥: أُذكُر دَلِيلَ الإيمانِ بِالقَدَرِ.

الدَّرس السابع عشر

الإحسانُ

المَرْتَبَةُ الثّالِثَة:

الإحسانُ: رُكْنٌ واحِدٌ، وهو: أن تَعْبُدَ اللهَ كأنَّك تَراه، فإن لم تَكُن تَراه فإنَّه يَراك [1].

والدَّليل قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾[النحل: ١٢٨].

وقوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)﴾[الشعراء: ١١٧ - ١٢٠].

وقوله تعالى:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)﴾[يونس: ٦١].[2]

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* لا يَتَحَقَّق الإحسانُ إلّا بِأن يَعْبُدَ المسلِم رَبَّه وهو مُوقِنٌ أنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عليه يَرى فِعْلَه ويحصِي عليه أعمالَه.

* يكونُ الإحسانُ في شَيْئَيْن:

- في النِّيَّةِ بأن يُنَقِّيها مِن الرِّياءِ والنِّفاقِ.

---

(١) جُزء مِن حديث رواه البخاري ومسلم في صَحِيحَيهما، وهو حديث جبريل عليه الصَّلاة والسَّلام المشهُور.

(٢) تُفِيضُون: أي تَقومُون بِه.

- وفي العَمَلِ بأن يَتَّبعَ بِه الشَّرْعَ، ويُؤدِّيه بِعَزِيمَةٍ وقُوَّةٍ.

الأسئِلَة:

س١: أُذكُر مَراتِب الدِّين الثَّلاث.

س٢: عَرِّف الإحسان.

س٣: في أيِّ شَيْءٍ يكون الإحسان ؟

س٤: أُذكُر الدَّلِيلَ على الإحسان.

س٥: لو رَأَيْت إنساناً مُصِرّاً على ارتكابِ المعاصِي وعندما تَنْصَحه يقول: إنَّ النّاسَ لا يَرَوْنَه، ولا يَعْلمون عنه شَيْئاً. فماذا تقول له ؟

الدَّرس الثامن عشر

الدَّلِيلُ مِن السُّنَّة على مَراتِب الدِّينِ

والدَّليل مِن السُّنَّة: حديث جِبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:« بينا نحن جُلوسٌ عند النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–إذْ طَلَع علينا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعْرِ، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفَر، ولا يَعرِفه مِنّا أحَدٌ، فجَلَس إلى النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–فأسنَد رُكْبَتَيْه إلى ركبَتَيْه، ووَضَع كَفَّيْه على فَخِذَيه[1]، وقال: يا محمد، أخبِرني عن الإسلام. قال:« أن تَشْهَد أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمَّداً رَسولُ الله، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكاةَ، وتَصومَ رَمَضان، وتحجَّ البَيْتَ إن اسْتَطَعْت إليه سبيلاً، قال: صَدَقْت. فَعَجِبْنا له يَسأَلُه ويُصَدِّقه . قال: أخبرني عن الإيمان. قال: أن تُؤمِنَ بِاللهِ ومَلائِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، وبِالقَدَر خَيرِهِ وشَرِّه، قال: أخبرني عن الإحسانِ. قال: أن تَعْبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تَكُن تراه فإنَّه يَراك، قال أخبرني عن السّاعَة. قال: ما المسؤول عنها بِأعلَم مِن السّائِل، قال: أخبرني عن أماراتها. قال: أن تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها [2]، وأن ترى الحفاةَ العُراةَ العالَة رعاء الشّاءِ يَتَطاوَلون في البنْيان [3]، قال: فمضى. فلبثنا [4]، مَلِيّاً. فقال: يا عمر أتدرون مَن السّائل؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا جبريل أتاكم يعلمُكم أمرَ دِينِكم » [5].

إرشادات الدَّرس:

* حديث جبريل حَدِيث عظيم بيَّن فيه الرَّسولُ –صلى الله عليه وسلم– مَراتِب الدِّين الثَّلاث (الإسلام – الإيمان – الإحسان) بَياناً كافِياً شافِياً، فيَنْبَغِي لِلمُسلِم أن يحفَظَه، وأن

---

(١) يعني أنَّ الرَّجُلَ الدّاخِلَ وَضَعَ كَفَّيْه على فَخِذَي نَفْسِه، وجَلَس على هَيْئَةِ المتَعَلِّم.

(٢) يعني تَلِدُ الأَمَةُ المملوكة سَيِّدَها أو سَيِّدتَها.

(٣) يعني أنَّ أهل البادِيَة وأشباهَهُم مِن أهل الحاجَة والفاقَة تُبْسَط لهم الدُّنيا حتى يَتَباهون في البُنْيانِ.

(٤) مَلِيّاً: وَقْتاً طويلاً.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (١).

يَفْهَم مَعانِيه.

* مِن نِعْمَة اللهِ على المسلمين أنَّ دِينَهُم واضِحٌ بَيِّنٌ بخلافِ الأديان الأخرى والمذاهِب التي تجلِب لأَتْباعِها الاضطِرابَ، وتجعلهم يَعِيشون في ظَلامٍ.

* جبريل مَلَكٌ عَظِيمٌ عند الله، وهو الذي يَنْزِل بِالوَحْي على الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-، ولا يراه أصحابُ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-، لكنَّه في هذه المرَّة جاءَهُم مُتَمَثِّلاً بِصُورَةِ إنسانٍ.

* عِلْمُ السّاعَةِ غَيْبٌ اختَصَّ اللهُ بِعِلْمِهِ، فلا يَعْلَمُه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

الأسئِلَة:

س١: اسْتَخرِجْ مِن حديث جبريل ما يأتي:

أ- دَلِيل مَرتَبْة الإسلام. ب- دَلِيل مَرتَبَة الإيمان. ج- دَلِيل مَرتَبَة الإحسان.

س٢: اسْتَخْرِج مِن حديث جبريل أمارات السّاعَة التي وردت فيه.

س٣: لماذا جاء جبريل عليه السَّلام يَسْأَل الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-؟

س٤: ما الذي تَعَجَّب منه الصَّحابَة في هذا الحديث ؟

س٥: لِمَ كان هذا الحديث عَظِيماً ؟

س٦: ما معنى قولِ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- لجبريل عليه الصَّلاة والسَّلام:" ما المسؤولُ عنها بِأعْلَمَ مِن السّائِلِ ".

الدَّرس التاسع عشر

مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-

الأصلُ الثّالِثُ: مَعْرِفَة نَبِيِّكُم مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

وهو محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. وهاشِم مِن قريش، وقُرَيْش مِن العَرَب، والعَرَبُ مِن ذُرِيَّة إسماعِيلَ بن إبراهيم الخلِيل، عليه وعلى نَبِيِّنا أفضَل الصَّلاة والسَّلام، وله مِن العُمُرِ ثَلاثٌ وسِتُّون سَنَةً، منها أربعون قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وثَلاثٌ وعِشرون نَبِيّاً رَسولاً، نُبِّيءَ بـ ﴿اقْرَأْ﴾ وأُرسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾، وبَلَدُهُ مَكَّةَ، وهاجَرَ إلى المدِينَة.

إرشادات الدَّرسِ:

* مِن فَضْلِ اللهِ على الأُمَّة الإسلامِيَّة أنَّها تَعْرِف تَفاصِيلَ حَياةِ نَبِيِّها -صلى الله عليه وسلم-، وهي حَياةٌ واضِحَة ممّا يُيَسِّر على أُمَّتِه اتِّباعَ هَدْيِه والاقْتِداءَ بِه.

* مِن فَضْلِ اللهِ على العَرَبِ أن بَعَثَ محمَّداً خاتَم الأنبِياء مِنهم، فأصبَحوا بهذا الفَضْلِ مَسؤولِين عن نَشْرِ الإسلامِ بين الأُمَمِ.

* ابتَدَأت نُبُوَّةُ محمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- بِنزولِ جِبريلَ عليه السَّلام بِسورة اقرأ، ثمَّ أمرَه اللهُ عزَّ وجلَّ بِتَبْلِيغ الرِّسالَة حينما نَزَلَ عليه جبريل بِسورَةِ المدثر.

الأسئِلَة:

س١: أُذكر نَسَب الرَّسولِ محمَّد -صلى الله عليه وسلم-.

س٢: املأ الفَراغات الآتية:

- وُلِدَ النَّبيُّ محمَّد -صلى الله عليه وسلم- بـ ..... وهاجَرَ إلى .....
- الرَّسولُ محمَّد -صلى الله عليه وسلم- له مِن العُمُرِ ..... منها ..... قبل النُّبُوَّة، و ..... نَبِيّاً رَسُولاً، نُبئ ..... وأُرْسِل .....

س٣: بِمَ فَضَّلَ اللهُ العَرَبَ ؟

س٤: ما فائِدَة مَعرِفَةِ تَفاصِيل حَياةِ محمَّد -صلى الله عليه وسلم- ؟

الدَّرس العشرون

دَعْوَةُ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-

بَعَثَه اللهُ بِالنَّذارَةِ عن الشَّرْكِ، ويَدعو إلى التَّوحِيد.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴾[1] [المدثر: ١ - ٧].

ومعنى:﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)﴾ يُنْذِر عن الشِّرْكِ، ويدْعُو إلى التَّوحيد، ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣)﴾أي: عَظِّمْه بِالتَّوحِيد، ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾أيْ: طَهِر أعمالَك مِن الشِّرْك، ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾الرُّجْز: الأصنامُ، وهَجْرُها: تَركها وأهلها، والبَراءة مِنها وأهلِها، أخذ على هذا عَشر سِنِين يدعو إلى التَّوحِيد، وبعد العَشر عُرِجَ بِه إلى السَّماء، وفُرِضَت عليه الصَّلوات الخمس، وصلَّى في مَكَّة ثَلاثَ سِنِينَ، وبَعْدَها أُمِرَ بِالهجْرَةِ إلى المدينة.

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* تَتَلَخَّصُ دَعْوَة الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم- أنَّها بَيانٌ لِقُبْحِ الشِّرْكِ والتَّحذِيرِ منه، وبيانٌ لِعَظَمَةِ التَّوحِيدِ والدَّعوةِ إليه.

* طَبَّقَ -صلى الله عليه وسلم- ما أُمِرَ بِه؛ فَطَهَّر قَلْبَهُ وأعمالَهُ مِن كلِّ أقسامِ الشِّرْك، وحارَبَ الأصنامَ، ووَحَّدَ اللهَ تعالى.

---

(١) ومعنى المُدَّثِّر، أي: قُم أيُّها المتَغَطِّي بِثِيابِك مِن الرُّعْبِ الذي داخَلَه عند رُؤْيَةِ الملَكِ عند نُزولِ الوَحْي.

* مما يَدُلُّ على أهمِيَّة التَّوحيد أنَّه -صلى الله عليه وسلم- ظَلَّ ثَلاثَ عَشرَةَ سَنَةً في مَكَّة يدعو إليه ويَغرِسه في نُفوسِ أصحابِه، عشر سِنين قبل الإسراءِ، وثلاثاً بعدَها.

* قَبْلَ هِجْرتِه -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة أَكْرَمَه رَبُّه بأن أسرى بِه إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِجَ بِه إلى السَّماوات العُلى، وكَلَّمُه رَبُّه، وكُلُّ هذا في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ.

الأسئِلَة:

س١: بِمَ أُمِرَ الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- في الآيات الكَريمة ؟

س٢: فِيمَ تَتَلَخَّصُ دَعْوَة الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- ؟

س٣: بِمَ يكون هَجْرُ الأصنامِ ؟

س٤: هل طَبَّقَ الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- ما أُمِرَ بِه ؟، كيف ذلك ؟

س٥: أين فُرِضَت الصَّلوات الخمس ؟، وعلى ماذا يَدُلُّ ذلك ؟

الدَّرس الحادي والعشرون

الهِجْرَةُ

الهِجْرَةُ: الاِنْتِقالُ مِن بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإسلامِ.

والهِجْرَة فَرِيضَةٌ على هذه الأُمَّة مِن بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإسلامِ، وهي باقِيَةٌ إلى أن تقوم السّاعة:

والدَّليل قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ﴾[النساء: ٩٧ - ٩٩].

وقوله تعالى:﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) ﴾[العنكبوت: ٥٦].

قال البَغوي[1] - رحمه الله -:" سَبَبُ نُزولِ هذه الآية في المسلمين الذين في مَكَّةَ لم يُهاجِروا، ناداهُم اللهُ بِاسم الإيمان ".

والدَّلِيلُ على الهِجْرَةِ مِن السُّنَّةِ:

قوله: -صلى الله عليه وسلم-:« لا تَنقَطِعُ الهِجْرَةُ حتى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنْقَطِع التَّوْبَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمسُ مِن مَغرِبِها »[2].

---

(١) هو الحسين بن مسعود البغوي، عالم في التَّفسير والحديث والفقه، له مُؤلَّفات كثيرة مِن أشهرها: " معالم التَّنزيل "، و" شرح السُّنَّة "، توفي - رحمه الله - في عام (٥١٦هـ).

(٢) رواه أحمد (٦٥/٥) رقم (١٦٤٦٣)، وأبو داود في أول كتاب الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت (١/٣)، رقم (٢٤٧٩)، واللَّفظ له.

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* هَدَف وُجودِ المسلِم في هذه الحياة هو أن يَعْبُدَ اللهَ ولا يُشْرِك به شيئاً، ولِذا فَرَضَ الله على المسلم – إذا كان قادِراً – أن يُهاجِرَ مِن بَلَدِ الشِّرْكِ الذي لا يستطِيع أن يُظْهِرَ فيه شَعائِر اللهِ إلى بَلَدِ الإسلام.

* ليس الهدَفُ مِن الهجْرَةِ المشروعَة مجَرَّد الانتِقالِ البَدَنيِّ فقط، وإنما التِزامُ أوامِرِ اللهِ واجتِنابِ نَواهِيه، قال –صلى الله عليه وسلم–:« المُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نهى اللهُ عنه »[1].

الأسئِلَة:

س١: عَرِّف الهجْرَة.

س٢: اختر الجوابَ الصَّحِيح فيما يأتي:

حكم الهجرة:

- سُنَّة ( ).
- جائِزَة ( ).
- فريضَة ( ).

س٣: أُذكر الدَّليل على الهجْرَة مِن السُّنَّةِ.

س٤: أُذكُر الهدَف مِن الهجْرَةِ.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم (١٠).

الدَّرس الثاني والعشرون

كمالُ رِسالَةِ نَبِيِّنا محمَّد -صلى الله عليه وسلم- وعُمومها

فلمّا استَقَرَّ في المدينَة، أُمِرَ بِبَقِيَّة شَرائِع الإسلام، مثل: الزَّكاة، والصَّوم، والحجّ، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وغير ذلك مِن شَرائِع الإسلام، أخذ على هذا عَشر سِنين، وبعدها تُوفي صلوات اللهِ وسَلامُه عليه، ودِينُه باقٍ، وهذا دِينُه لا خيرَ إلّا دَلَّ الأُمَّةَ عليه، ولا شَرَّ إلّا حَذَّرها منه.

والخير الذي دلها عليه: التَّوحيدُ، وجِميعُ ما يحبُّه اللهُ ويرضاه. والشَّرُّ الذي حذَّرها منه: الشِّرْك، وجميع ما يَكْرَهُه اللهُ ويأباه.

بَعَثَه اللهُ إلى النّاس كافَّة، وافتَرَضَ طاعَتَه على جميع الثَّقَلَيْن: الجنّ والإنس.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾[الأعراف: ١٥٨].

وأكمَلَ اللهُ به الدِّين.

والدَّليل قول تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)﴾[المائدة: ٣].

والدَّليلُ على مَوْتِهِ-صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾[الزمر: ٣٠ - ٣١].

إرشادات الدَّرس:

* في المدينة النَّبويَّة نَزَلَت التَّشريعات العَمَلِيَّة، كالصَّوم، والزَّكاة، والحجِّ بعد أن رَسَخَ التَّوحيدُ والإيمانُ في قُلوبِ المسلمين.

* كان محمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- حَرِيصاً على أُمَّتِهِ، رَؤوفاً رَحِيماً بها، ولهذا دَلَّها على كُلِّ خَيْرٍ، ونهاها عن كلِّ شَرٍّ.

* رِسالَة محمَّد -صلى الله عليه وسلم- عامَّة إلى الجنِّ والإنس، ولهذا فإنهم جميعاً سَيُسألُون في قُبورِهِم عنه -صلى الله عليه وسلم-.

* رسالة نَبِيِّنا محمَّد -صلى الله عليه وسلم- هي الرِّسالَة الكامِلَة، ومِن عَلامات كَمالِها:

أ- اشْتِمالها على كُلِّ ما يُصْلِح أَمْرَ الدِّينِ والدُّنيا.

ب- خُلُوّها مِن النَّقصِ، وعَدَم حاجَتِها إلى الزِّيادَة.

* نَبِيُّنا محمَّد -صلى الله عليه وسلم- مات كما يموت البَشَر، وعُمرُه (٦٣) سَنَةً صَلواتُ اللهِ وسَلامُه عليه.

الأسئِلَة:

س١: متى نزلَت التَّشريعات العَمَلِيَّة ؟، وأين نَزَلَت ؟

س٢: ما الخير الذي دَلَّ الرَّسولُ محمَّد -صلى الله عليه وسلم- الأُمَّةَ عليه ؟

س٣: إلى مَن بُعِثَ الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- ؟ أُذكر الدَّليل على ذلك.

س٤: أُذكر بعض عَلاماتِ كَمالِ رِسالَة نَبِيِّنا محمَّد -صلى الله عليه وسلم-.

س٥: هل مات الرَّسولُ محمَّد -صلى الله عليه وسلم- كما يموت البشر ؟، أُذكر الدَّليل على ذلك.

الدَّرس الثالث والعشرون

البَعْثُ بَعْدَ المَوْتِ

والنّاس إذا ماتوا يُبْعَثُونَ.

والدَّليلُ قوله تعالى:﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[طه: ٥٥].

وقوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) ﴾[نوح: ١٧ - ١٨].

وبَعْدَ البَعْثِ مُحاسَبون ومَجْزِيُّون بِأعمالِهِم.

والدَّليل قول تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) ﴾[النجم: ٣١].

ومَن كذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)﴾[التغابن: ٧].

إرشادات الدَّرس:

* كتَبَ اللهُ الموتَ على النّاس كلِّهِم حتى الأنبياء، لا باقِي إلّا وَجْهُه سبحانَه، قال تعالى:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾[الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

* الموت ليس هو النِّهايَة الأبدِيَّة، ولكنَّه مَرْحَلَةٌ مُتَوَسِّطَة بين حَياتَيْن يُبعَث الخَلْقُ بَعدَها

مِن قُبورِهِم يَوْمَ القِيامَة.

* بعد البَعْثِ يحاسِبُ اللهُ النّاسَ على ما فعلوه في هذهِ الدُّنيا، قال تعالى:﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾[الزلزلة: ٧ - ٨].

الأسئِلَة:

س١: ما الدَّليل على بَعْثِ النّاسِ يَوْم القِيامَة ؟

س٢: ما الدَّليل على الجزاء على الأعمال ؟

س٣: ما حُكْم مَن أنكَر البَعْثَ بعد الموت ؟

س٤: ما اعتِقاد الكُفّار في البَعْثِ ؟، وبماذا تَرُدُّ عليهِم ؟

الدَّرس الرابع والعشرون

أوَّلُ الرُّسُلِ وخاتَمُهُم

وأرسَلَ اللهُ جَميعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرينَ ومُنذِرينَ.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾[النساء: ١٦٥].

وأوَّلُهم نُوح عليه السَّلام، وآخِرُهُم محمَّد –صلى الله عليه وسلم– وهو خاتَم النَّبِيِّينَ.

والدَّليل على أنَّ أولهم نُوحٌ قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣)﴾[النساء: ١٦٣].

وكلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إليها رَسُولاً مِن نوحٍ إلى مُحمَّدٍ، يأمُرُهُم بِعِبادَةِ اللهِ وَحْدَه، ويَنهاهُم عن عِبادَةِ الطّاغوتِ.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾[النحل: ٣٦].

وافْتَرَضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكَفْرَ بِالطّاغوت، والإيمانَ بِاللهِ [1].

إرشادات الدَّرس:

* مُهِمَّة الرُّسُل هي: التَّبشِير بما أعَدَّ اللهُ مِن نَعِيمٍ لأهلِ الطّاعَةِ والإيمانِ، والإنذار بما أعَدَّه

(١) انتهت رسالة:" الأُصول الثَّلاثة وأدِلَّتُها ".

اللهُ مِن عذابٍ لأهلِ الشِّرْك والعِصيان، وبيانُ عِبادَةِ الله تعالى.

* أوَّل رُسُلِ اللهِ (نوح) عليه السَّلام، وآخِرهُم (محمَّد) -صلى الله عليه وسلم-، وبينَهما بَعَثَ اللهُ رُسُلاً كثِيرين، منهم: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم صلوات اللهِ وسلامُه عليهِم أجمعين.

* محمَّد -صلى الله عليه وسلم- خاتَم الأنبياءِ، فليس بَعدَه نَبِيٌّ، وكلُّ مَن زَعَمَ أنَّه يُوحى إليه وادَّعى النُّبُوَّةَ بَعْدَه فهو دَجّالٌ كذّابٌ، مثل: مُسَيلمَة الكذّاب، قال تعالى:﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾[الأحزاب: ٤٠].

الأسئِلَة:

س١: ما مُهِمَّة الرُّسُلِ عليهم الصَّلاة والسَّلام ؟ مع ذِكْر الدَّلِيل.

س٢: مَن أوَّل الرُّسُلِ عليهم الصَّلاة والسَّلام ؟ أُذكر الدَّليل على ذلك.

س٣: مَن آخِر الرُّسُلِ عليهم الصَّلاة والسَّلام ؟ أُذكر الدَّليل على ذلك.

س٤: بماذا تَرُدُّ على مَن ادَّعى النُّبُوَّةَ بعد الرَّسولِ محمَّد -صلى الله عليه وسلم- ؟

س٥: ما الدَّعوة التي جاءَت بها الرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام إلى أقوامِهِم ؟

الدَّرس الخامس والعشرون

أَهَميَّةُ التَّوحِيد

أَسأَلُ [1] اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العَظِيمِ أن يَتولّاك في الدُّنيا والآخِرَةِ، وأن يجعلَك مُباركاً أيْنَما كنتَ، وأن يجعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِي شَكَرَ، وإذا ابْتُلِي صَبَرَ، وإذا أَذْنَبَ استَغْفَرَ، فإنَّ هؤلاء الثَّلاثَ عُنوانُ السَّعادَة.

اعلم – أرشَدَك اللهُ لِطاعَتِه – أنَّ الحنِيفِيَّةَ مِلَّة إبراهيمَ أن تَعْبُدَ اللهَ وحْدَهُ مخلِصاً له الدِّينَ، وبذلك أمرَ اللهُ جميع النّاسِ وخَلَقَهُم لها.

كما قَال اللهُ تعالَى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا عرفتَ أنَّ الله خَلَقَكَ لِعبادَته، فَاعْلَمْ أنَّ العَبادَةَ لا تُسَمَّى عبادةً إلّا مع التَّوحِيد، كما أنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صلاةً إلّا مع الطَّهارةِ، فإذا دَخَلَ الشِّرْكُ في العِبادَة فَسَدَتْ كَالحَدَثِ إذا دَخَلَ في الطَّهارَة.

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* السَّعادَةُ هي الشُّعورُ بِالرِّضا والأَمْنِ، وأَكْثَرُ النّاسِ يبحَثُ عن السَّعادَة في المالِ، والمَلْبَسِ والمركَبِ، وفي وَسائِل التَّرفِيهِ، ولكنَّ السَّعادَةَ لا تَتَحقَّقُ بمجَرَّدِ حُصُولِ ذلكَ.

* السَّعَادَةُ الحَقَّةُ إنَّما تحصُلُ بِثَلاثِ خِصالٍ يجمعُها الإيمانُ باللهِ والتَّقربُ إليهِ، وهِيَ:

الأُولَى: الاعتِرافُ بِفَضْلِ اللهِ عَليك، والشُّكْرُ له على نِعَمِهِ.

الثّانيةُ: إيمانُهُ بِقَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ وحكْمَتِهِ، والصَّبْرُ على بَلائِهِ.

الثالثةُ : الرُّجوعُ الدّائِمُ إلى اللهِ بِالتَّوْبَة والاستِغْفارِ خاصةً عند ارتِكابِ الذَّنْبِ.

* إبراهيمُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ جاءَ بِالحنِيفِيَّةِ، وهي: إخلاصُ العِبادَةِ للهِ، وبهذا جاءَ محمدٌ

(١) هذه الرِّسالة بعنوان:" القَواعِد الأربع ".

-صلى الله عليه وسلم-، وبه تحصل السَّعادَة لِلبَشَرِيَّة.

* العِبادةُ لا تكون صَحِيحَةً إلّا بالتَّوحيد، كما قال سبحانه:﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١)﴾ [الزمر: ١١].

الأسئِلَة:

س١: اختر الإجابَة الصَّحيحَة لِلجملَة التّالِيَة:

السَّعادَةُ الحَقَّةُ إنَّما تَحصُل بـ .....

أ- المال. ب- وَسائِل التَّرفِيه. ج- الاسْتِغْفار والصَّبْرُ والشُّكْرُ لله تعالى.

س٢: لماذا خَلَق اللهُ الجنَّ والإنسَ ؟

س٣: ما الحنِيفِيَّة ؟

س٤: ضَعْ عُنواناً لقولِهِ تعالَى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾[الذاريات: ٥٦].

س٥: إذا وقعتَ في ذنبٍ أو مَعْصيةٍ فماذَا تَفْعل حتى تَنالَ رِضا اللّه تعالى ؟

الدَّرس السادس والعشرون

الإقْرارُ بِالتَّوحيد

الإقْرارُ بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَحْدَهُ لا يُدْخِلُ في الإسْلامِ.

فإذا عرفتَ أنَّ الشِّركَ إذا خَالَطَ العِبادَةَ أَفسدَها، وأحْبَطَ العملَ، وصارَ صاحِبُهُ مِن الخالدِينَ في النَّارِ، عَرفْتَ أنَّ أهَمَّ ما عليك، مَعْرِفةُ ذلك، لعلَّ اللهَ أن يُخَلِّصَكَ مِن هذه الشَّبَكَة، وهي الشِّركُ باللهِ، الذي قَالَ اللهُ تعالى فيه:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾ [النساء: ٤٨]﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) ﴾[النساء: ١١٦].

وذلك بمعرفةِ أربَعِ قواعدَ ذَكَرَها اللهُ تعالى في كِتابِهِ:

القاعِدَة الأُولى:

أن تعلمَ أنَّ الكُفّارَ الذين قاتَلَهم رَسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– مُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ تعالى هو الخالِقُ المدَبِّرُ.

وأنَّ ذلكَ لم يُدْخِلْهم في الإسلامِ.

والدَّليل قَوْل اللهِ تعالى:﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾[يونس: ٣١].

إرشاداتُ الدَّرس:

* التَّوحيدُ هو طَرِيقُ النَّجاة؛ فإنَّ مَن لَقِيَ اللهَ مُوَحِّداً نجَا وأفلحَ، والشِّرْكُ طَرِيقُ الهلاكِ؛ فمَن لَقِيَ اللهَ مُشركاً فقد خابَ وخَسِر.

* الشِّرْكُ نجاسَةٌ إذا دَخَل العِبادةَ أفسدَها وأحبطَ ثوابَها، فيَجِب على المسلِم أن يَحفَظَ نَفْسَهُ مِن التَّلوُّثِ بِه.

* الذي يُقرُّ بوجودِ اللهِ تعالى، وأنَّه خالِقُ العالِم، وأنَّه الذي يُدَبِّرُ أُمورَ النّاسِ ويُصَرِّفُ شُؤونَ الكَوْنِ كانَ إقرارهُ صَحِيحاً، ولكنَّه لا يكونُ بهذَا مُسلِماً حتَّى يُؤْمِنَ بأنَّه لا يستَحِقُّ العِبادَةَ سِواهُ، وحتَّى يَعْبُدَهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه.

الأسئِلَة:

س١: ما الشَّيءُ الذي إذا خالَطَ العِبادةَ أفسَدَها وأحبطَ العَمَلَ ؟

س٢: ما طَرِيقُ هَلاكِ الإنسانِ ؟

س٣: ما طريقُ النَّجاةِ مِن عذابِ اللهِ ؟

س٤: أذكر دليلاً على أنَّ الشِّرك لا يغْفِرُهُ اللهُ.

س٥: عرِّف تَوحِيدَ الرُّبوبِيَّةِ.

س٦: هل الإقرارُ بتَوحيدِ الرُّبوبِيَّةِ يكفِي الإنسانَ لأَن يكونَ مُسلِماً ؟

الدَّرس السابع والعشرون

طَلَبُ القُرْبَةِ والشَّفاعَةِ مِن الأصْنامِ شِرْكٌ

القاعِدَة الثّانية:

أنَّهم يقولونَ: ما دعَوْناهُم وتَوجَّهْنا إليهِم إلّا لِطَلَبِ القُربةِ والشَّفاعةِ.

فدَلِيل القُرْبَةِ: قَوْلُ اللهِ:﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾[الزمر:٣].(١)

ودَلِيلُ الشَّفاعَةِ: قَوْل اللهِ تعالى:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾[يونس: ١٨].

إرشادات الدَّرس:

* الشَّفاعَةُ: هي التَّوسُّطُ لِغَيْرِكَ بجَلْبِ مَنْفَعَةٍ له، أو دَفْعِ مَضَرَّةٍ عنه.

* كانَ غالِبُ الجاهِليينَ يعتقدُونَ أنَّ آلِهَتَهُم تَتوسَّطُ لهم عند اللهِ، فَهُم يعبدُونَها مِن أجل أن تَشْفَعَ لهم عندَ ربِّهم، وهذا اعتِقادٌ باطِل؛ لأنَّه افتِراءٌ على اللهِ، ولم يَأْمُر بِه نَبِيٌّ.

الأسئِلَة:

س١: مَن الذين يقولونَ ما دعَوْنا الأولياءَ وتَوجَّهنا إليهم إلّا لِطلبِ القُربةِ والشَّفاعةِ ؟

س٢: ماذا يعتقدُ أهلُ الجاهِلِيَّة في آلهتِهم ؟

س٣: هَلْ آلهةُ الجاهلِيَّةِ تنفعُهم أو تَشْفَع لهمُ عندَ الله ؟، ولماذا ؟

س٤: مَن جَعَلَ بينَه وبين اللهِ واسِطةً ماذا يُسَمَّى ؟

---

(١) القُرْبَة: هي المكانَة والمَنزِلَة. لِيُقرِّبونا إلى اللهِ، أي: لِيَجْعَلوا لَنا عندَه مَكانَةً ومَنْزِلَةً.

س٥: ما الدَّليلُ على أنَّ أهلَ الجاهِلِيَّةِ يطلبُونَ الشَّفاعةَ مِن معبوداتِهِم ؟

الدَّرس الثامن والعشرون

أَنْواعُ الشَّفاعَةِ

والشَّفاعَةُ شَفاعَتان:

شَفاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وشَفاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

أ- فالشَّفاعَةُ المَنْفِيَّةُ: ما كانتْ تُطلَبُ مِن غيرِ اللهِ فيما لا يَقْدِرُ عليه إلّا اللهُ.

والدَّليلُ قولُ الله تعالَى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾[البقرة: ٢٥٤].

ب- والشَّفاعَةُ المُثْبَتَةُ: هي التي تُطلَبُ مِن اللهِ.

والشّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفاعةِ، والمشفوعُ لَهُ مَن رضيَ اللهُ قولَهُ وعمَلَهُ بعدَ الإذْنِ.

كما قَال اللهُ تعالَى:﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾[البقرة: ٢٥٥].

إرشاداتُ الدَّرس:

* الشَّفاعَةُ عند اللهِ يجبُ أن تُطلَبَ منهُ مُباشرةً؛ بأنْ يقولَ طالِبُ الشَّفاعةِ مثلاً: اللَّهمَّ شَفِّعْ فِيَّ نبيَّكَ محمَّداً -صلى الله عليه وسلم-.

* لا تَتَحَقَّقُ الشَّفاعةُ عندَ اللهِ إلّا بشرطيْنِ:

١- رِضاهُ تعالَى عن المشفوعِ لَه . ٢- إذنُه للشَّافِعِ أنْ يَشْفَع.

* طلَبُ الشَّفاعةِ مِن الأوثانِ أو مِن أصحاب القُبورِ بِالاتجاهِ إليهِم بِالدُّعاءِ وطلَبِ الشَّفاعةِ

باطلٌ، وهو مِن الشِّركِ باللهِ.

* في قبولِ الشَّفاعةِ إكرامٌ مِن اللهِ لِلشّافعِ وإظهارٌ لِفَضْلِهِ، ونَفْعٌ لِلمَشْفوعِ لَهُ.

الأسئِلَة:

س١: بَيِّن أقسامَ الشَّفاعَة.

س٢: عَرِّف الشَّفاعة المَنفِيَّةَ، مع ذِكرِ الدَّليلِ.

س٣: عرف الشَّفاعةَ المُثْبَتةَ، مع ذِكرِ الدَّليلِ.

س٤: أكمل ما يلي:

لا تتحقَّقُ الشفاعةُ إلّا بشرطَيْنِ، هُما:

-إذنُ اللهِ تعالى لـ .....

رضا اللهِ تعالى عن . . . . . .

س٥: هَلْ يجوزُ طلَبُ الشَّفاعةِ مِن أصحابِ القبورِ ؟، ولماذا ؟

الدَّرس التاسع والعشرون

كُلُّ عِبادَةٍ لِغَيْرِ اللهِ ضَلالٌ

القاعِدة الثّالثة:

أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ظَهَرَ على أُناسٍ متفرقينَ في عبادَتِهم: منهم مَنْ يعبُدُ الملائِكةَ، ومِنهم مَنْ يعبدُ الأنبِياءَ والصّالحينَ، ومِنهم مَنْ يعبدُ الأشجارَ والأحجارَ، ومِنهم مَنْ يعبدُ الشَّمسَ والقمرَ.

وقاتَلَهم رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- ولَمْ يفرِّق بينَهم.

والدَّليلُ قولُ اللهِ تعالى:﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)﴾[الأنفال: ٣٩].

ودلِيل الشَّمسِ والقمرِ: قوله تعالى:﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧)﴾[فصلت: ٣٧].

ودليل المَلائكةِ: قولُ الله تعالى:﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠)﴾[آل عمران: ٨٠].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* ليس في الكَوْنِ إلهٌ مَعبودٌ بحقٍّ إلّا اللهُ وحدَهُ.

* الكُفْرُ واحِدٌ، والآلِهَة مُتنوِّعَةٌ، فمِنها: عبادةُ الأصنامِ، والشَّمسِ، والقمرِ، والملائكةِ، والجنِّ، ونحوِ ذلك، والعابدُونَ لهذِهِ الآلهةِ أو بعضِها كفّارٌ، « والكُفْرُ ملّةٌ واحدةٌ »، ولهذَا لَمْ يفرِّق الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- بينَهم في دَعْوَتِهِ ولا في جِهادِهِ.

الأسئِلَة:

س١: عَدِّد بعض العِباداتِ الموجودةِ قبلَ ظُهورِ الإسلامِ.

س٢: أكمل ما يأتي:

أ – قال تعالَى: ﴿ □ □ □ سم □ □ □ □ .....﴾.

ب – قال تعالَى: ﴿ □ □ □ □ □ □ .....﴾ .

س٣: ما جَزاءُ مَن صَرفَ شيئاً مِن أنواعِ العِبادةِ لغيرِ اللهِ ؟

الدَّرس الثلاثون

عِبادَةُ الأنْبِياءِ والصَّالحينَ والأَشْجارِ والأَحْجارِ شِرْكٌ

ودَليل الأنبِياءِ:

قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) ﴾[المائدة: ١١٦].

ودلِيل الصّالِحين:

قَولُه تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) ﴾[الإسراء: ٥٧].

ودَلِيل الأحجارِ والأشْجار:

قَولُه تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)﴾[1][النجم: ١٩ - ٢٠].

وحَديث أَبِي واقدٍ اللَّيثِي رضي الله عنه قال:« خرجْنَا مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى حُنَيْن ونحن حُدَثاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلمشركين سِدْرةٌ يَعكُفُونَ عندَها، وينوطُونَ بها أسلِحَتَهُم، يُقالُ لها: ذاتُ أنواطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فقُلنا: يا رسول الله، اجعل لنَا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:« الله أكْبَرُ، إنَّها السُّنَنُ قُلْتُمْ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ كَما قالَتْ بَنُو إسْرائيلَ:« اجْعَلْ لَنا إلهاً كَما لَهُمْ آلِهةٌ »، قال: إنَّكُم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، لَتَرْكَبُنَّ

(١) هذه أسماءُ آلهةٍ كان المشركون يَعبُدونها في جزيرة العَرَبِ قبل الإسلام، اللّات: رَجُلٌ كان يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلحُجّاجِ، فلمّا ماتَ عَبَدُوه، والعُزَّى قيل: صَنَم لِغَطفان، ومَناة: ثالِثَة الصَّنَمَيْن، صَنَم لِهُذَيل وخُزاعَة.

سَنَنَ مَن كان قَبْلَكُمْ» [1].

إرشاداتُ الدَّرسِ:

* الأنبياءُ والصّالحونَ لا يُقِرُّون عِبادَةَ النّاسِ لهم؛ بل يَتبرؤُون مِمَّنْ يَعْبُدُهُم.

* الذينَ يعبدُونَ عيسىَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وأُمَّه إنَّما افترَوا ذلك مِن أنفسِهم، ولم يأْمُرْهُم اللَّهُ ولا عيسى بِذلكَ .

* الأنبياءُ والصّالحونَ محتاجُونَ إلى اللهِ، يَتَقَرَّبُونَ إليهِ بالعَمَلِ الصّالِحِ، فكيفَ يُعْبَدُونَ مِنْ دون الله ؟!

* التَّبَرُّكُ بِالأشجارِ والأحجار وقُبورِ الصّالحين شِرْكٌ بِاللهِ.

* البَرَكَة التي يَعتَقِدها المشركون في الأشجارِ والأحجارِ والقُبور ما هي إلّا أوهامٌ لا حَقِيقَةَ لها، فهي مجرَّد أشجارٍ وأحجارٍ عادِيَّة، ولهذا قال سبحانه:﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)﴾[النجم: ٢٣].

الأسئِلَة:

س١: لماذا طلب بعض الصَّحابة مِن الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- أن يجعلَ لهم ذات أنواط ؟

س٢: هل وافقَ الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- أنْ يجعلَ لأصحابِهِ ذاتَ أنواطٍ مثل المشركينَ ؟

س٣: أُذكر الدَّليلَ على أن عبادةَ الصالحينَ شركٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب: ما جاء لتركبُنَّ سنن مَن كان قبلكم برقم (٢١٨٠)، (٤/٤٧٥)، وقال:" حديث حسن صحيح "، ورواه أحمد (٥/٢١٨)، والطبراني في الكبير (١٧/٢١)، واللَّفظ له.

س٤: أُذكر الدَّليلَ على أنَّ عِبادَة الأحجارِ شِرْكٌ.

س٥: أُذكر الدَّليلَ على أنَّ عِبادَةَ الأنبِياءِ شِرْكٌ.

الدَّرس الحادي والثلاثون

غِلَظُ شِرْكِ أَهلِ هذا الزَّمانِ

القاعِدَة الرّابِعَة:

أنَّ مشرِكِي زمانِنا أَغْلَظُ شِرْكاً مِن الأوَّلينَ؛ لأنَّ الأوَّلينَ يُشرِكُونَ في الرَّخاءِ، ويُخْلصون في الشِّدَّةِ، ومُشرِكُو زَمانِنا شِرْكُهُم دائِمٌ، في الرَّخاءِ والشِّدَّةِ.

والدَّليل قول الله تعالى:﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾[العنكبوت: ٦٥].

تمَّت، وصلَّى الله على محمَّد وآله وصحبه وسلَّم [1].

إرشاداتُ الدَّرس:

* مِمَّا يدلُّ على فَسادِ عِبادَةِ تلكَ الآلهةِ أنَّ الذينَ يعبدُونَها يترُكونَها في وَقْتِ الشِّدَّةِ ويَلجَؤونَ إلى اللهِ وحدَهُ.

* الذي يَسْتَمِرُّ على ضَلالِهِ حتَّى في حالِ الشِّدَّةِ أشَدُّ شِركاً ممَّن يُشرِكُ في الرَّخاءِ دونَ الشِّدَّةِ.

* الذين يَعبُدونَ القُبورَ في هذِه الأزْمِنَة يَدْعونها في الرَّخاءِ والشِّدَّةِ، وهذا أشَدُّ شِركاً مِمَّن سَبَق.

الأسئِلَة:

س١: ما الفرقُ بين مُشركِي زمانِنا والمشركينَ الأوَّلينَ ؟

س٢: ما البُرهان على فَسادِ عِبادَةِ الأصنام ؟

س٣: ما الدَّليلُ على أنَّ المشركينَ يُخلِصونَ في حالِ الشِّدَّةِ ؟

س٤: أُذكر القَواعِد الأربَع إجمالاً.

---

(١) تمت رسالة:" القَواعِد الأربع ".

الدرس الثاني والثلاثون

الانحِراف في حَياةِ البَشَرِيَّة

عِبادَةُ اللهِ تعالى هي الغايَة:

خَلَقَ اللهُ الخلقَ لِعِبادَتِه، وهيَّأ لهم ما يُعِينُهم عليها مِن رِزْقِه. قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾[الذاريات:٥٦ - ٥٨].

التَّوحِيدُ هو الفِطْرَةُ:

والنَّفسُ بِفِطْرتها إذا تُرِكَت كانَت مُقِرَّةً للهِ بِالإلهيَّة، مُحِبَّةً للهِ، تَعْبُدُه لا تُشْرِك بِه شَيْئاً. فالتَّوحِيد مرَكوزٌ في الفِطَر، والشِّرك طارِئٌ ودَخِيلٌ عليها، قال الله تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾[الروم : ٣٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال -صلى الله عليه وسلم-:" كلُّ مَوْلُودٍ يُولَد على الفِطْرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنَصِّرانه، أو يمجِّسانِه "[1]. فالأصل في بني آدم التوحيد، والدين والإسلام من عهد آدم عليه السلام ومن جاء بعده من ذريته قروناً طويلة، قال تعالى:﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾[البقرة: ٢١٣].

([1]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، رقم (١٢٩٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، رقم (٢٦٥٨).

بِدايَة الانحِرافِ في تارِيخ البَشَرِيَّة:

وأوَّلُ ما حدَثَ الشِّركُ والانحِرافُ عن العَقِيدَةِ في قوم نُوحٍ، فكان عليه السَّلام أوّل رسولٍ ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣)﴾[النساء: ١٦٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما:" كان بين آدَم ونوح عليهِما السَّلام عَشَرة قُرونٍ كلُّهم على الإسلامِ ".

قال ابن القيِّم:" وهذا القَوْل هو الصَّواب قطعاً، فإنَّ قراءَة أُبيّ بن كعب يعني في آية البقرة: " فاختَلفوا فبعث الله النبيين "[1]. ويشهد لهذه القِراءة قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) ﴾[يونس:١٩]. فبِعْثَة النَّبِيِّين سَبَبها الاختِلاف عمّا كانوا عليه مِن الدِّين الصَّحيح.

وكان العرب بعد ذلك على دِين إبراهيم عليه السّلام، حتى جاء عَمْرو بن لُحَي الخزاعِي، فغيَّر دين إبراهيم، وجلَب الأصنامَ إلى أرضِ العَرَب وإلى أرض الحجاز بصِفَةٍ خاصَّة، فعُبِدَت مِن دون اللهِ، وانتشر الشِّرك في هذه البلاد المقدَّسة وما جاورها إلى أن بَعَثَ اللهُ نبيَّه محمَّداً خاتم النَّبِيِّين –صلى الله عليه وسلم– فدعا النّاسَ إلى التَّوحِيد واتِّباع مِلَّة إبراهيم، وجاهد في الله حقّ جهادِه، حتى عادت عقيدة التّوحيد وملّة إبراهيم، وكسر الأصنام، وأكمَل اللهُ به الدِّين. وأتمَّ به النِّعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضَّلة مِن صَدْرِ هذه الأُمَّة إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخِّرة، ودخلها الدَّخِيل مِن الدِّيانات الأخرى، فعاد الشِّرك إلى كثِيرٍ مِن هذه الأُمَّةِ بِسَبب دُعاةِ الضَّلالِ، وبِسَبَبِ البِناءِ على القبور، مُتَمَثِّلاً بِتَعْظِيم الأولياء والصّالحين، وادِّعاء المحبَّة لهم حتى بُنِيَت الأضرِحَة على قبورهم. واتخذت أوثاناً تُعْبَد مِن دونِ اللهِ بأنواع القُرُبات مِن دُعاءٍ واستِغاثَةٍ وذَبْحٍ ونَذْرٍ لمقاماتهم.

([1]) إغاثة اللهفان (١٠٢/٢).

وسموا هذا الشِّرك توسُّلاً بالصّالحين إظهاراً لمحبَّتِهم وليس عِبادَةً لهم بِزَعْمِهم، ونَسُوا أنَّ هذا هو قَوْلُ المشركِينَ الأوَّلِينَ حيث يقولون:﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾[الزمر:٣].

ومع هذا الشِّرك الذي وقع في البشَريّة قديماً وحدِيثاً فالأكثرية منهم يُؤمِنون بِتَوحِيد الرُّبوبِيَّة، وإنما يشركون في العِبادَة، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾[يوسف:١٠٦].

ولم يجحَد وُجودَ الرَّبِّ إلّا نزرٌ يسيرٌ مِن البشر، كفرعون والملاحِدَة الدَّهريِّين والشُّيوعِيِّين في هذا الزمان، وجُحودهُم بِه مِن باب المكابَرَةِ، وإلّا فهم مُضْطَرُّون للإقرارِ بِه في باطِنِهِم وقرارَةِ أنفسِهم، كما قال تعالى:﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾[النمل:١٤].

وعقولهم تعرِف أنَّ كلّ مخلوق لا بدَّ له مِن خالِق. وكلُّ موجود لا بدّ له مِن مُوجِد. وأنّ نِظامَ هذا الكون المنضبِط الدَّقيق لا بدّ له مِن مُدَبِّر حكيمٍ قدير عليم، مَن أنكَره فهو: إمّا فاقِدٌ لِعَقْلِه، أو مُكابِرٌ قد ألغَى عَقْلَه، وسَفِه نَفْسَه، وهذا لا عِبرَةَ به.

الأسئِلَة:

س١: لماذا خلقَ اللهُ الخلقَ مع الاستِدلال على ذلك.

س٢: ضَع علامة (✓) أمام العبارة الصَّحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطِئَة مع تصحِيح الخطأ.

أ- الإنسان مَفطورٌ على الخيرِ والشَّرِّ.

ب- الأصل في بني آدَم الشِّرك، فبَعث الله النَّبِيِّين لِدَعوتهم إلى التَّوحيد.

ج- كان بين آدَم ونُوح عليهِما السّلام عَشَرة قُرونٍ كلّهم على الإسلام.

د- جاء قصي بن كلاب فغير دين إبراهيم الذي كان عليه العرب.

هـ- أول من عبد الأصنام وجلبها إلى جزيرة العرب قبيلة خزاعة.

س٣: ما المراد بالإيمان في قوله تعالى: ﴿آبي □ □ □ □ ﴾ ؟.

الدرس الثالث والثلاثون

خطر الشرك وعظمه

تَعْرِيفُه:

الشِّرك هو: جَعْل شَرِيكٍ للهِ تعالى في ربوبِيَّتِه وإلهيَّتِه. والغالِب الإشراك في الأُلُوهِيَّة بأن يَدْعُو مع اللهِ غيرَه، أو يَصرِفَ له شيئاً من أنواع العبادة: كالذَّبح والنَّذر والخوف والرجاء والمحبَّة.

خَطَر الشِّرْكِ وعَظِمُهُ:

الشِّرك أعظم الذُّنوب، وذلك لأمورٍ، منها:

١ - أنَّه تشبِيهٌ للمخلوقِ بالخالِقِ في خصائِص الإلهيَّة، فمَن أشرَكَ مع اللهِ أحداً فقد شَبَّهَه بِه. وهذا أعظَمُ الظُّلم، قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾[لقمان:١٣].

والظُّلم هو وَضْعُ الشَّيءِ في غير مَوضِعه. فمَن عبدَ غيرَ اللهِ فقد وَضَع العِبادة في غير موضِعها، وصَرَفَها لغير مستَحِقِّها، وذلك أعظَم الظُّلم.

٢ - أنَّ اللهَ أخبَر أنَّه لا يغفِر لِمَن لم يتُب منه - قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾[النساء:٤٨].

٣ - أنَّ اللهَ أخبَر أنَّه حرَّم الجنَّة على المشْرِك، وأنَّه خالِدٌ مخلَّد في نارِ جهنَّم، قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾[المائدة:٧٢].

٤ - أنّ الشِّرك يحبِط جميعَ الأعمالِ، قال تعالى:﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) ﴾[الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾[الزمر: ٦٥].

٥ – أنَّ المشرِك إذا قاتَل المسلمين يكون حلالَ الدَّم والمال، أما إذا لم يُقاتِل المسلمين فلا يُعتَدى عليه كما قال تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩)﴾[البقرة: ١٩٠].

أمّا الكافِر الموجود في بلادِ المسلمين التي فتَحوها أو مَن جاء مِن الكفّار إلى بلاد المسلمين لِعَملٍ أو تجارةٍ وأعطوا العهد والأمان فهؤلاء لا يجوز الاعتِداء على أموالهم أو أعراضهم أو قتلهم، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:" مَن قَتَل معُاهَداً لم يرَح رائِحَة الجنَّة " [1].

٦ – أنَّ الشِّرك تَنَقُّصٌ وعَيْبٌ نَزَّهَ الرَّبُّ سبحانَه نفسَه عنهما، فمَن أشركَ باللهِ فقد أثبت للهِ ما نزَّه نفسَه عنه، وهذا غاية المحادَّة للهِ تعالى، وغاية المعانَدَة والمشاقَّة للهِ.

٧ – أنّ الشِّرك أكبَر الكبائِر، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال –صلى الله عليه وسلم–:" ألا أنبِّئكم بأكبَر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين "[2] الحديث.

قال ابن القيم رحمه الله:" أخبر سبحانه أنّ القصدَ بالخلق والأمر أن يُعرَف بأسمائه وصِفاته، ويعبد وحدَه لا يشرك به "، قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾[الذاريات:٥٦].وأن يقوم النّاس بالقِسط، وهو العدل الذي قامت به

---

(١) كتاب الحرية والموادعة، باب: إثم من قتل معاهداً بغير جرم، رقم (٣١٦٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، رقم (٢٥١١)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨٧)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، رقم (٣٠١٩)، وأحمد (٣٧/٥).

السّموات والأرض، كما قال تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾[الحديد: ٢٥]، ومِن أعظَم القِسط التَّوحيد، وهو رَأْسُ العدل وقِوامه. وأنَّ الشِّرك ظُلْمٌ، كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾[لقمان:١٣].

فالشِّرك أظلَم الظُّلم. والتَّوحِيد أعدَل العَدْلِ. فما كان أشَدّ مُنافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائِر "[1].

الأسئِلَة:

س١: عرِّف الشِّرك، ولماذا صار أعظَم الذّنوب ؟

س٢: أُذكر الدَّليل على:

أ- أنَّ اللهَ لا يغفِر لِمَن أشرَكَ بهِ.

ب- أنَّ اللهَ حرَّم الجنَّة على المشرِك، وأنَّه مخلَّدٌ في النّار.

ج- أنَّ الشِّركَ أكبَر الكبائِر.

س٣: علِّل لِما يأتي:

١- الشِّرك أظلَم الظُّلم.

٢- الشِّرك تنَقُّص وعَيْبٌ نَزَّه اللهُ سبحانَه نفسَه عنه.

٣- المشرك أجْهَل الجاهلين بالله.

([1]) الجواب الكافي (ص ١٠٩).

الدَّرس الرابع والثلاثون

الشِّرْكُ وأنْواعُهُ

اعْلَمْ أنَّ ضِدَّ التَّوحِيدِ الشِّركُ، وهو ثلاثةُ أنواع:

شِرْكٌ أكبرُ، وشِركٌ أصغرُ، وشِركٌ خفيٌ.

والدَّليلُ على الشِّرْكِ الأكبَرِ:

قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾ [النساء: ٤٨]﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾ [والمائدة: ١١٦].

وقوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾[المائدة: ٧٢].

وهو: أربَعَةُ أنواعٍ:

النَّوعُ الأوَّلُ: شِرْكُ الدَّعْوَةِ.

والدَّليل عليه قوله تعالى:﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦)﴾[العنكبوت: ٦٥ - ٦٦].

النَّوع الثّاني: شِرْكُ النِّيَّةِ، وهي الإرادَةُ والقَصْدُ:

والدَّلِيل عليه قوله تعالى:﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾[1] [هود: ١٥ - ١٦].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* الشِّركُ الأكبرُ: هو صَرْفُ شَيْءٍ مِن أنواعِ العِبادَةِ لغير اللهِ، كَدُعاءِ غير اللهِ، والذَّبح لِغَيْرِ اللهِ، وهو مخرِجٌ مِن المِلَّةِ، ويخلد صاحِبُه في النّار إذا مات ولم يَتُب منه.

* شِركُ الدَّعوةِ: هو دُعاءُ غيرِ اللهِ لِكَشْفِ الضّرِّ أو جَلْبِ النَّفعِ كما يَقَعُ مِن المشركينَ في حالَةِ السَّرّاءِ.

* رَكِبَ مجموعةٌ مِن المشركينَ سَفِينةً وكانوا ينادُونَ آلهتَهم ويَدْعُونَها، ثم هاجَت الرِّياحُ واضطَرَبَت السَّفينةُ فقالَ أهلُهَا: أخلِصُوا لِربِّكُم الدُّعاءَ، فإنَّه لا يُنْجِي ها هُنا إلّا هو، وكان في السَّفِينةِ شَخْصٌ قد هربَ مِن الرَّسولِ **-صلى الله عليه وسلم-** حينمَا دخلَ مكةَ فقال: لَئِنْ كانَ لا يُنجِي في البَحْرِ غيرُهُ فإنَّه لاَ يُنْجي في البرِّ غيرُهُ أيضاً.

ورَجَعَ فدخلَ في الإسلامِ، وهو عكرمةُ بْنُ أبِي جَهل رضي الله عنه [2].

* دعاءُ غيرِ اللهِ سواءٌ أكانَ في حال رَخاءٍ، أم حالِ شِدَّة، شِرْكٌ أكبرٌ.

* شِركُ النِّيَّةِ يقعُ مِن الذينَ نَسُوا الآخِرةَ ولم يعملوا لها، وإنَّما جَعلوا هَمَّهُم وسَعْيَهم وحتى عِبادتَهم مِن أجل الدُّنيا فقط، كمَنْ يجاهِدُ لأجلِ الغَنِيمَةِ فقط.

* يجب على المسلم أن يُخلِصَ نِيَّتهَ وإرادتهُ ودُعاءَهُ لله ربِّ العالمينَ لا شريكَ له.

الأسئِلَة:

---

(١) يُبْخَسُون: يُنْقَصُونَ.

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤٩٦/٢).

س١: أُذكر أنواعَ الشِّرك.

س٢: عَرِّف الشِّركَ الأكبرَ.

س٣: بيِّن معنَى شِرْكِ الدَّعوَةِ.

س٤: اختر الجوابَ الصَّحيحَ لما يلي:

قال تعالى: ﴿□ □ □ □ □ يم يي □ □ □ □ □ ﴾.

المقصود هم: أ – المشركون . ب – المنافقون . ج – المسلمون.

س٥: مثِّل لِلشِّركِ الأكبرِ.

س٦: أُذْكُر الدَّليلَ على شِرْكِ النِّيَّةِ.

الدَّرس الخامس والثلاثون

الشِّرْكُ في الطَّاعَةِ وفي المَحَبَّةِ

النَّوع الثّالث: شِرْكُ الطّاعَةِ:

والدَّليلُ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ تعالى:﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾[1] [التوبة: ٣١].

وتَفسِيرُها الذي لا إشكالَ فيه:

هو طاعَةُ العُلماءِ والعُبّادِ في مَعْصِيةِ اللهِ سبحانه، لا دُعاؤهُمُ إيّاهم، كما فَسَّرها رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- لِعَدِيِّ بْنِ حاتِم لما سأله فقال: لَسْنا نَعْبُدُهم. فذكرَ له أنَّ عِبادَتَهُم طاعَتُهُم في المعصِيَة.

النَّوع الرابعُ: شِرْك المَحَبَّة:

والدَّليل عليه قول الله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾[2] [البقرة: ١٦٥].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* عن عَدِيّ بن حاتم - رضي الله عنه - قال: أتيت النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- وفي عُنُقي صَلِيب مِن ذَهَبٍ فقال:« يا عدي اطرَح هذا الوَثَنَ مِن عُنُقِك » فطَرَحْتُه فانتَهَيْت إليه وهو يقرأ سُورة براءة، فقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ حتى

---

(١) الأحبارُ هم: عُلَماء اليَهود. والرُّهبان هم: عُبّاد النَّصارَى.

(٢) أنداداً: أمْثالاً ونُظَراء وأشْباهاً.

فرغ منها فقلت: إنّا لسنا نعبدهم. فقال:« أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتُحَرِّمونَه، ويحلُّون ما حَرَّمَ اللهُ فتَسْتَحِلُّونَه ». قلت: بلى. قال:« فتِلْكَ عِبادَتهم » [1].

فبَـيَّن النَّـبِيُّ –صـلى الله عليـه وسـلم– أنَّ هـذا الشِّـركَ الـذي وقَعُـوا فيـه هـو أنَّهـم أمَـرُوهُم بِالمعصِيَة فَفَعلُوها، ونَهَوهُم عن الطّاعَةِ فتركُوها.

* مَن أطاعَ غيرَ اللهِ في تحريم الحلالِ أو تَحليلِ الحرامِ مُعتَقِداً أنَّه يحِقُّ لهم ذلك؛ فإنَّه مُشرِكٌ شِركاً أكبَر.

* المحبَّةُ مع اللهِ هي محبَّة المشركين لآلهتِهِم وأندادِهم مِن شَجَرٍ وحَجَرٍ ومَلَكٍ وغيرِها، وهي أَصْلُ الشِّرْكِ وأساسُه.

* المحبَّةُ هي أَصْلُ العِبادَةِ، ولهذا يجِب على المسلِم ألّا يحِبَّ أحداً أكثرَ مِن حُبِّهِ للهِ، ولا مِثْل حُبِّهِ لَهُ، وإلّا وَقَعَ في الشِّركِ.

الأسئِلَة:

س١: ما المقصودُ بشِركِ الطّاعةِ ؟، مع ذكرِ الدَّليلِ.

س٢: ما المقصودُ بشِركِ المحبَّةِ ؟، مع ذِكْرِ الدَّليلِ.

س٣: مَن الطّائفةُ التي تَعْبدُ المسيحَ عيسى بْنَ مريمَ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ؟، وما حكُم عبادِتِهم هذه ؟

س٤: ما حكُم مَنْ أطاعَ غيرَ اللهِ في تحريمِ الحلالِ أو تحليلِ الحرامِ ؟

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب:« ومن سورة التوبة »، برقم (٣٠٩٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، واللَّفظ له (٩٢/١)، برقم (٢١٨)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:« وهو حَدِيث حَسَن » كما في مجموع الفتاوى، كتاب الإيمان (٦٧/٧).

الدَّرْسُ السادس والثلاثون

الشِّرْكُ الأصْغَرُ والشِّرْكُ الخَفِيُّ

النَّوع الثّاني: الشِّرْكُ الأصغَر (وهو الرِّياء).

والدَّليل عليه قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾[الكهف: ١١٠].

النَّوع الثّالث: الشِّرك الخَفِيُّ:

والدَّليلُ عليه قولُه –صلى الله عليه وسلم–:« الشركُ في هذه الأمة أخفَى من دَبيبِ النملِ على الصَفاة السَوداءِ في ظُلمَةِ اللَّيل » [(١)]. وفسَّر ابنُ عباسٍ هذا الشركَ بمثلِ قولِ الرجلِ لصاحِبِهِ: «ما شاءَ اللهُ وفلان» [(٢)].

وكفّارةُ هذا الشِّركِ قولُ الرسولِ –صلى الله عليه وسلم–:« اللَّهمّ إني أعوذ بك أن أُشْرِكَ بك شيئاً وأنا أعلمُ، وأستَغْفِرك مِن الذَّنْبِ الذي لا أعلم » [(٣)].

الفرق بين الشِّرك الأكبَر والشِّرك الأصغَر:

يتَّضِح مِما سبق أن هناك فُروقاً بين الشِّركِ الأكبَر والأصغَر، وهي:

١ – الشِّركُ الأكبر يخرِج مِن الملّة، والشِّرك الأصغر لا يخرج مِن الملَّة.

٢ – الشِّرك الأكبر يخلُد صاحِبُه في النّار، والشِّرك الأصغَر لا يخلُد صاحِبُه فيها إن دَخَلَها.

٣ – الشِّرك الأكبر يحبِطُ جميعَ الأعمالِ، والشِّرك الأصغَر لا يحبِط جميع الأعمال، وإنما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي موسى رضي الله بلفظ:« أيُّها النّاس اتَّقوا هذا الشِّرْكَ فإنَّه أخفى مِن دَبِيبِ النَّمل » (٤٠٣/٤)، وأمّا هذا الحديث فمَوقُوفٌ على ابنِ عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه بلفظ:« اللَّهم إنّا نعوذ بِك مِن أن نُشْرِكَ بِك شَيْئاً نَعْلَمُه، ونَسْتَغْفِرك لِما لا نَعْلَمُه» (٤٠٣/٤).

يحبِط الرِّياءُ والعملُ لأجلِ الدُّنيا العملَ الذي خالَطاه فقط.

٤ – الشِّرك الأكبر يُبِيح الدَّم والمالَ [1]، والشِّرك الأصغَر لا يُبِيحُهُما.

٥– الشِّرك الأكبر يُوجِب العَداوَة الخالِصَة بين صاحِبِه وبين المؤمِنِين، فلا يجوز لِلمُؤمنين محبَّتَه ومُوالاتِه ولو كان أقرَب قَرِيب، وأمّا الشِّرك الأصغَر فإنَّه لا يمنَع الموالاةَ مُطلقاً؛ بل صاحِبه يحَبُّ ويُوالى بِقَدْرِ ما فيه مِن الإيمانِ، ويُبْغَض ويُعادَى بِقَدْرِ ما فيه مِن العِصْيانِ.

والمقصود بِتَحريم محبَّة الكافِر هنا المحبَّة الدِّينِيَّة التي تقتَضي المناصَرَةَ والمؤازَرَة، فهذه لا تجوز إلّا لِلمُسلِم، وأمّا الكافِر فَيُبْغَض لأجلِ كُفْرِه، ولو كان أقرَبَ قرِيبٍ، وأدلَّة هذا الأصلِ كثيرة قال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)﴾[الممتحنة: ٤]، وقوله تعالى:﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾[المجادلة: ٢٢]، وأمّا المحبَّة الطَّبيعِيَّة كمَحَبَّة الزَّوجة أو الوالِد أو الوَلَد أو الأخ إذا كانوا كفّاراً غيرَ محارِبِينَ فَجائِزة، فطَبِيعَة العَلاقَةِ بينَهما عَلاقَة بِرٍّ وتَعاوُنٍ وإحسانٍ ودَعْوَةٍ، ولذلك يجوز الإهداءُ إليهِم والتَّعامُل معهم، ويحرُم التَّعدِّي عليهِم وظُلْمِهِم، قال تعالى:﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) ﴾[الممتحنة: ٨-٩]، فالنَّهي

(١) لكن هذا ليس مباحاً لكلِّ أحَدٍ، وإنما هو للإمام العام لِلمُسلِمِين.

واقِعٌ على التَّولي والمحبَّةِ لأجلِ الدِّين، والأَمْرُ بالإحسانِ والبِرِّ واقِعٌ على الإحسانِ لأجلِ القَرابَة، أو لأجل الجوارِ على وَجْهٍ لا يخِلُّ بِدِينِ المسلِم.

إرشاداتُ الدَّرس:

* التَّوحِيدُ: هو إفرادُ اللهِ بالعِبادةِ، والشِّركُ: هو إشْراكُ أَحَدٍ مع اللهِ في حقِّهِ مِن التَّعظِيمِ والتَّعَبُّدِ.

* قول « ما شاءَ اللهُ وشِئْتَ »، و « لَوْلا اللهُ وفُلان »، إنما كانت شِركاً؛ لأنَّ فيها مُساواةً بين اللهِ وخلقهِ، تعالى اللهُ عن ذلك.

* يجب على المسلم أن يقولَ: « ما شاء اللهُ، ثم شئتَ »، و « لولا الله ثمّ فُلان »، وإذا زلَّ لِسانُهُ فأخطَأ فينبغِي أن يُكَفِّرَ بِالدُّعاءِ الواردِ عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

* الشِّركُ الأصغرُ هو: جميع الأقوالِ والأفعالِ التي يُتَوَسَّل بها إلى الشِّرْكِ، كالحلِف بغير الله، ويَسِيرِ الرِّياء، ونحوِ ذلك.

* الشِّركُ الأصغرُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ لا يُخْرِجُ صاحبَه مِن الإسلامِ.

الأسئِلَة:

س١: مثِّل للشِّركِ الخفيِّ، واذكر كفّارتَهُ.

س٢: أيُّهما أصحُّ قولُ الرجل:« ما شاءَ اللهُ وشئتَ »، أو « ما شاءَ اللهُ ثُمَّ شئتَ »؟، مع التَّعليل.

س٣: ما الفرقُ بينَ الشِّركِ الأكبر والشِّركِ الأصغرِ ؟

س٤: أُذكُر الدَّليلَ على الشِّركِ الأصْغَرِ.

الدَّرْسُ السابع والثلاثون

الكُفْرُ وأَنْواعُهُ

الكُفْرُ في اللُّغَةِ: التَّغطِيَة والسّتْرُ.

والكُفْرُ شرعاً: ضِدُّ الإيمانِ، فإنَّ الكُفْرَ عَدَم الإيمانِ باللّهِ ورُسُلِه، سواء كان معه تَكذِيبٌ أو لم يكُن معه تَكذيبٌ؛ بل شَكٌّ ورَيْبٌ أو إعراضٌ أو حَسَد أو كِبْرٌ أو اتِّباعٌ لِبَعضِ الأهواءِ الصّادَّة عن اتِّباع الرِّسالة، وإن كان المكذِّب أعظَم مِن غيرِه. [1]

والكُفْرُ كُفْرانِ: كُفرٌ أكْبَرُ وَكُفْرٌ أَصْغَرُ.

والكُفرُ الأكْبَرُ: يُخرِجُ مِن المِلَّة، وهو خمسَةُ أنواعٍ:

النَّوعُ الأوَّلُ: كُفْرُ التَّكْذِيبِ:

والدَّليلُ قولُ اللهِ تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٦٨)﴾[العنكبوت: ٦٨].

النَّوعُ الثَّاني: كُفرُ الإباءِ والاسْتِكبارِ مع التَّصْدِيقِ:

والدَّليلُ قولُ اللهِ تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾[البقرة: ٣٤].

النَّوعُ الثَّالث: كُفْرُ الشَّكِّ، وهو كُفرُ الظَّنِّ:

والدَّليلُ قولُ اللهِ تعالى:﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا

([1]) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٣٣٥).

(٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨)﴾[الكهف:٣٥ - ٣٨].

إرشاداتُ الدَّرس:

* الكُفْرُ ضِدُّ الإيمانِ، وهو عَدَم الإيمانِ بِاللهِ ورُسُلِه، سواء أكان معه تَكذِيبٌ، أم لم يَكُن معه تَكذِيب؛ بل شَكٌّ وريْبٌ، أو إعراضٌ، أو حَسَدٌ، أو كِبْرٌ، أو اتِّباعٌ لِبَعْضِ الأهواءِ الصّادَّةِ عن اتِّباع الرِّسالَة.

* الكُفْرُ الأكبَرُ يُخرِجُ الإنسانَ مِن الإسلامِ.

* يَحصُلُ كُفْرُ التَّكذِيبِ بِأُمورٍ، منها:

١- جَحْدُ وَحدانِيَّةِ اللهِ تعالى.

٢- التَّكذيبُ بِرِسالةِ محمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

٣- التَّكذيبُ بِالقرآنِ ورَفْضُ شَريعَة اللهِ.

* لو عرفَ الإنسانُ صِدْقَ النَّبيِّ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، ولكنَّه رَفَضَ أن يُؤْمِن بِرِسالَتِه؛ فإنَّه كافِرٌ مِثْل عَمِّ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أبي طالب الذي قال:

ولقد عَلِمتُ بأنَّ دِينَ محمَّدٍ * * مِن خَيْرِ أديانِ البَرِيَّة دِينا

ولكنَّهُ ماتَ مُتَمَسِّكاً بِعِبادَةِ الأصنامِ، فماتَ كافِراً، وكذا لو اسْتَكْبَرَ عن طاعَةِ اللهِ فهو كافِرٌ، كما فعلَ إبليسُ.

* يجب على المسلِم أن يَحْذَرَ الشُّبُهاتِ والأفكارَ الفاسِدةَ التي قد تُفسدُ عليه إيمانَهُ، وتُثيرُ في نفسِهِ الشُّكوكَ والوَساوِسَ.

الأسئِلَة:

س١: كم أقسامُ الكُفرِ ؟

س٢: بمَ يحصلُ كُفُر التَّكذِيب ؟

س٣: اذكُر ثَلاثَةَ أنواعٍ مِن الكُفرِ الأكبرِ مع الدَّلِيلِ.

س٤: ضَعْ خطّاً تحتَ الكَلِمَةِ التي تَدُلُّ على نَوْعِ الكُفْرِ في الآيَة الكريمة:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٦٨)﴾[العنكبوت: ٦٨].

الدَّرْسُ الثامن والثلاثون

بَقيَّةُ أنواعِ الكُفْرِ الأكبَرِ

النَّوع الرّابع: كُفْرُ الإعراضِ.

والدَّليل عليه قول الله تعالى:﴿) مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣)﴾[الأحقاف: ٣].

النَّوع الخامِس: كُفْرُ النِّفاقِ.

والدَّليل عليه قول الله تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ﴾[1] [المنافقون: ٣].

إرشاداتُ الدَّرسِ:

* كُفْرُ الإعراضِ معناه: أن يُعْرِضَ عن دِينِ الإسلامِ، لا يَتَعَلَّمُه ولا يَعْمَل بِه.

* جَمَعَ رسولُ الله **–صلى الله عليه وسلم–** مَن حولَهُ مِنْ قريشٍ ودعاهُم إلى توحِيدِ الله فقالَ أبو لهبٍ: تبّاً لك ألهذا جَمَعْتَنا ؟ ولم يقبل ما جاء به [2]. وهذا الموقِفُ مِن أبي لهبٍ يُسمَّى: إعراضاً عن الحقِّ، وهو أَحَدُ أنواعِ الكُفْرِ.

* يجِب على المسلِم إذا دعاه أحَدٌ إلى الحقِّ أن يستَجِيبَ لِدَعْوَتِه، ولا تَأخُذه العِزَّةِ بِالإثم، فيَجلِب لِنَفْسِه الشَّقاء، قال سبحانه:﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ﴾[الأعلى:٩ - ١٢]

* النِّفاقُ: هو إظهارُ الإسلامِ وإبْطان الكُفْرِ، مثل: أن يُظْهِرَ إنسانٌ الإسلامَ بِلِسانِه ويُصَلِّي مع النّاس، ولكنَّ قَلْبَه لا يُؤمِن بِالله، ويُبْغِض شَرْعَه، فإنَّه لا تَنْفَعه صَلاتُه ولا إعلانُه

---

(١) طُبِعَ: يعني خُتِمَ على قُلوبِهِم فصارَت محجُوبَةً عن الحقِّ بِسَبَبِ كُفْرِهِم وتَلاعُبِهِم بِالدِّين.

(٢) انظر: صحيح البخاري في كتاب التفسير، باب: سورة « تبَّت يدا أبي لهب »، برقم (٤٩٧١).

أنَّه مُسلِم، وهذا هو (كُفْر النِّفاقِ).

الأسئِلَة:

س١: بيِّن معنى كُفْرِ الإعراض، وأُذكر الدَّليلَ عليه.

س٢: عَرِّف النِّفاقَ، مع التَّمثيل.

س٣: ما نوعُ الكُفْرِ الذي وقع فيه أبو لَهَبٍ عندما دعا النَّبيُّ **-صلى الله عليه وسلم-** قريشاً إلى التَّوحيد ؟

س٤: ماذا يجبُ على المسلمِ أن يفعلَ إذا دعاه أحدٌ إِلى الحقِّ ؟

س٥: ما عاقبةُ المنافقِ ؟، وهل تنفعُهُ صلاتُه وصيامُه عند الله ؟

س٦: إِنسانٌ يُظْهِرُ الإِسلامَ بلسانِهِ، ولكنَّ قلبَهُ لا يؤمِنُ بالله، ماذا يُسَمَّى ؟

س٧: اذْكُر الدَّليلَ على كُفْرِ النِّفاق.

الدَّرس التاسع والثلاثون

الكُفْرُ الأصْغَر

الكُفْرُ الأَصْغَرُ لا يُخْرِجُ مِن الملَّةِ، وهو: كُفْرُ النِّعَمِ.

والدَّليل عليه قوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾[النحل: ١١٢].

وقوله تعالى:﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾[إبراهيم: ٣٤].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* الكُفْرُ الأصغرُ: هو الذُّنوب التي وَرَدَت تَسْمِيَتُها في الكتاب والسُّنَّةِ كُفْراً ولم تَصِل إلى حَدِّ الكُفْرِ الأكبَر، مثل: كُفْر النِّعْمَة، والحلِف بِغَيْرِ اللهِ.

* كُفرُ النِّعمةِ ذَنْبٌ عظيمٌ، ودَليلٌ على قِلَّةِ إيمانِ صاحِبِهِ، ولكنَّه لا يُخْرِجُ مِن الإسلامِ.

الأسئِلَة:

س١: عَرِّف الكُفْرَ الأصغر.

س٢: هل الكفرُ الأصغرُ يُخرِجُ مِن الملَّةِ ؟

س٣: مَن كَذَّبَ بِرِسالةِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم هل كَفَرَ كُفْراً أكبَرَ أم أصْغَرَ ؟

الدَّرس الأربعون

النِّفاقُ وأَنْواعُهُ

النِّفاقُ لغَةً: مصدر: نافَقَ، يُقال: نافَقَ، يُنافِقُ، نِفاقاً ومُنافَقَةً، وهو مَأخُوذ مِن النّافِقاء: أَحَد مخارِجِ اليَرْبُوعِ مِن جُحْرِهِ، فإنَّه إذا طُلِبَ مِن واحِدٍ هَرَب إلى الآخَر وخَرَجَ منه، وقيل: هو مِن النَّفَق، وهو السّرْبُ الذي يُسْتَتَر فِيهِ [1].

وأما النِّفاق في الشَّرع فمعناه: إظهارُ الإسلامِ وإبطانُ الكُفْرِ والشَّرِّ، سمِّي بذلك؛ لأنَّه يَدْخُل في الشَّرْعِ مِن بابٍ ويخرُج منه مِن بابٍ آخَر. وإلى ذلك نَبَّهَ اللهُ تعالى بِقوله:﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)﴾[التوبة: ٦٧]، أي: الخارِجون مِن الشَّرْعِ.

وجَعَلَ اللهُ المنافِقِين شَرّاً مِن الكافِرِين فقال:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾[النساء: ١٤٥]. وقال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) ﴾[النساء: ١٤٢]، وقال تعالى:﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) ﴾[البقرة: ٩ - ١٠].

النِّفاقُ نَوعانِ: نفاقٌ اعتقادِيٌّ، ونفاقٌ عَمَلِيٌّ:

الأوَّلُ: الاعتِقادِيُّ، وهو النِّفاق الأكبَر الذي يُظْهِر صاحِبه الإسلامَ ويُبطِن الكُفْرَ. وهذا النَّوع مخرِجٌ مِن الدِّين بِالكلِّية، وصاحِبه في الدَّرك الأسفَل مِن النّار.

([1]) النهاية لابن الأثير (٥/٩٨) بمعناه.

صِفاتُ أهلِه والتَّحذِير منهم: وقد وَصَف اللّه أهلَه بِصِفاتِ الشَّرِّ كلِّها: مِن الكُفرِ، وعَدَمِ الإيمانِ، والاسْتِهزاءِ بِالدِّينِ وأهلِه، والسُّخْرِيَة منهم، والميلِ بِالكُلِّيَة إلى أعداءِ الدِّينِ لِمُشارَكَتِهِم لهم في عَداوَةِ الإسلامِ، وهؤلاء مَوجودون في كلِّ زَمانٍ، ولا سيَّما عندما تظهَر قُوَّة الإسلامِ ولا يَستَطِيعون مُقاوَمَته في الظّاهر، فإنهم يُظهِرون الدُّخول فيه لأجل الكيدِ له ولأهلِه في الباطِن. ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمَنوا على دمائهم وأموالهم. فيُظهِر المنافِق إيمانَه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو في الباطِن مُنْسَلِخٌ مِن ذلك كلِّه، مُكَذِّبٌ بِه.

وقد هتَك اللهُ أسْتارَ هؤلاءِ المنافِقين، وكشَفَ أسرارَهُم في القرآن الكريم، وجلَّى لِعبادِه أمورَهم ليكونوا منها ومِن أهلها على حَذر. وذكر طوائِف العالم الثَّلاثَة في أوَّل سورةِ البقرة مِن المؤمنين والكفّار والمنافقين. فذكَر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفّار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لِكَثْرتِهم وعُمومِ الابتِلاء بهم، وشِدَّة فِتْنَتِهِم على الإسلامِ وأهلِه، فإنَّ بَلِيَّةَ الإسلامِ بهم شَدِيدَةٌ جِدّاً؛ لأنَّهم مَنسوبون إليهِ وإلى نُصْرَتِه ومُوالاتِه، وهم أعداؤُه في الحقِيقَةِ يخرِجون عَداوَتَه في كلّ قالَبٍ، يَظنُّ الجاهِل أنَّه عِلْمٌ وإصلاحٌ، وهو غايَةُ الجهْلِ والإفسادِ [1].

وهو سِتَّةُ أنَواعٍ:

١- تَكْذِيبُ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم.

٢- تَكذِيبُ بعضِ ما جاءَ بِه الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم-.

٣- بُغْضُ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم- .

٤- بُغْضُ بعضِ ما جاءَ بِه الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم-.

٥- المِسَرَّةُ بِانخِفاضِ دِينِ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-.

٦- الكَراهِيَّةُ لانْتِصارِ دِينِ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-.

فهذهِ الأنواعُ السِّتَّةُ صاحِبُها مِن أهْلِ الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النّار - نعوذ بالله مِن الشِّقاقِ والنِّفاقِ -.

([1]) انظر: مدارج السالكين (١/٣٤٧ - ٣٤٨).

الثّاني: العَمَليُّ، وهو النِّفاق الأصغَر، وهو عَمَلُ شَيْءٍ مِن أعمالِ المنافِقِين مع بَقاءِ الإيمانِ في القَلْبِ، وهذا لا يخرج مِن الملَّة، لكنَّه وَسِيلَة إلى ذلك، وصاحِبه يكون فيه إيمان ونِفاق، وإذا كثر صار بِسَبَبِه مُنافِقاً خالِصاً، والدَّليل عليه قوله –صلى الله عليه وسلم–:" أربَعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافِقاً خالِصاً، ومَن كانت فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانت فيه خَصْلَة مِن النِّفاق حتى يَدَعَها: إذا اؤْتمنَ خانَ، وإذا حَدَّث كَذَب، وإذا عاهَد غَدَر، وإذا خاصَمَ فَجَرَ " [1].

فمَن اجتَمَعت فيه هذه الخصالُ الأرْبَع فقد اجتَمَع فيه الشَّرّ، وخَلصت فيه نُعوت المنافقين، ومَن كانت فيه واحِدةٌ منها صارَ فيه خَصْلَةٌ مِن النِّفاق، فإنَّه قد يجتَمِع في العبد خِصالُ خَيْرٍ وخِصالُ شَرٍّ، وخِصالُ إيمانٍ وخِصالُ كُفْرٍ ونِفاقٍ. ويستَحِقّ مِن الثَّواب والعِقاب بحسب ما قام بِه مِن مُوجبات ذلك، ومنه التَّكاسل عن الصَّلاة مع الجماعة في المسجد، فإنَّه مِن صِفات المنافقين، فالنِّفاق شَرٌّ وخَطِير جدّاً، وكان الصَّحابة يَتَخَوَّفون مِن الوُقوع فيه. قال ابن أبي مليكة:" أدرَكْتُ ثَلاثين مِن أصحابِ رَسولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– كلهم يخافُ النِّفاقَ على نَفْسِه ".

وهو خَمْسةُ أنواعٍ:

١– إذا حَدَّثَ كَذَب.

٢– إذا خاصَم فَجَرَ.

٣– إذا عاهَدَ غَدَرَ .

٤– إذا اؤْتُمِنَ خانَ.

٥– إذا وَعَدَ أَخْلَفَ.

والدَّليل قوله –صلى الله عليه وسلم–:« آية المنافِق ثَلاث: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ

([1]) رواه البخاري في صحيحه (١/١٤)،كتاب الإيمان، باب: علامة المنافِق، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال النّفاق، رقم (٥٨).

أَخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ» [1].

وفي حديث آخر:« إذا خاصَمَ فَجَرَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ » [2].

الفرق بين النِّفاق الأكبر والنِّفاقِ الأصغَر:

١ – أنَّ النِّفاقَ الأكبر يخرِجُ مِن الملَّة ويخلد صاحِبه في النّار، والنِّفاق الأصغَر لا يخرج مِن الملَّة، ولا يخلد صاحِبُه في النّار.

٢ – أنّ النِّفاق الأكبَر اختِلافُ السِّرِّ والعَلانِية في الاعتِقاد، والنِّفاق الأصغَر اختِلافُ السِّرِّ والعَلانِيَة في الأعمالِ دون الاعتِقاد.

٣ – أنَّ النّفاق الأكبر لا يصدُر مِن المسلِم، وأمّا النِّفاق الأصغَر فقد يصدُر مِن المسلم.

٤ – أنَّ النّفاقَ الأكبَر في الغالِب لا يتُوب صاحِبُه، بخلافِ النِّفاق الأصغَر فإنّ صاحِبه يتوبُ إلى اللهِ في الغالِب فيتوب اللهُ عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وكثيراً ما تَعْرِضُ لِلمُؤمِن شُعْبَة مِن شُعَبِ النِّفاق ثم يَتوب اللهُ عليه، وقد يَرِد على قَلْبِه بعض ما يُوجِب النِّفاقَ ويَدفَعُه اللهُ عنه. والمؤمِن يُبْتَلى بِوساوِس الشَّيطانِ وبِوساوِس الكُفْرِ التي يَضِيقُ بها صَدْرُه، كما قال الصَّحابة:" يا رسول الله، إنَّ أحدَنا لَيَجِدُ في نفسِه ما لَئِن يخرَّ مِن السَّماء إلى الأرض أحبّ إليه مِن أن يَتَكَلَّم بِه، فقال:" ذلك صَرِيح الإيمان "، وفي رواية:" ما يَتَعاظُم أن يَتَكَلَّم بِه. قال: الحمد للهِ الذي رَدَّ كَيْدَه إلى الوَسْوَسَةِ "[3]، أي: حُصولُ هذا الوساوسِ مع هذه

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: علامات المنافِق مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٣٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: علامَة المنافق مِن حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ومسلم كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق. فَجَر: يعني أطلَق لِسانَه بِالفُحْشِ والسُّوءِ مِن القَوْلِ بِدُونِ مُبالاةٍ.

(٣) الحديث في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ مِن أصحاب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فسألوه إنّا نجد في أنفسنا ما يتَعاظم أحدُنا أن يتَكَلَّم به، قال:" وقد وَجَدتموه "؟ قالوا: نعم، قال:" ذاك صَرِيح الإيمان ". كتاب الإيمان، باب: الوسوسة في الإيمان وما يقوله مَن وجدها، رقم (١٣٢)، و جاء في سنن أبي داود بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنَّ أحدَنا يجِد في نفسِه يعرض بِالشَّيء لأن يكونَ حُمَمَة أحبّ إليه مِن أن يَتكَلَّم به. فقال:" الله أكبَر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردَّ كَيْدَه إلى الوسوسة ". وانظر: المسند (٣٩٧/٢، و٤٤١، و٤٥٦).

الكَراهة العَظِيمَة، ودَفْعِه عن القَلْبِ هو مِن صَرِيح الإيمان "[1].

وأمّا أهل النِّفاق الأكبَر، فقال اللّه فيهم:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) ﴾[البقرة: ١٨]، أي: في الإسلام في الباطِن. وقال تعالى فيهم:﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) ﴾[التوبة: ١٢٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وقد اختَلَف العُلماء في قَبُولِ تَوْبَتِهِم في الظّاهِر، لِكَوْنِ ذلك لا يُعْلَم؛ إذْ هم دائِماً يُظْهِرون الإسلامَ "[2].

واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبِه وسلَّم تسلِيماً كثيراً.

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* النِّفاقُ يجمَعُ بينَ الكُفْرِ ومُخادَعَةِ المؤمِنِينَ، ولهذا جازَى اللهُ أهلَهُ بِالعُقوبَةِ الشَّدِيدَةِ، قال سبحانه:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾[النساء: ١٤٥].

* مِن صُوَرِ النِّفاقِ:

- تَكذِيبُ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم- فيما جاء به، مثل: ألّا يُصَدِّق أنَّ آدَم خُلِقَ مِن تُرابٍ، أو أنَّ محمَّداً خاتَمُ الأنبياء صلَّى الله عليه وسلَّم، ونحو ذلك؛ فإنَّه يكون كافِراً مُنافقاً .

- بُغْضُ بعض ما جاءَ به الرسولُ -صلى الله عليه وسلم-، كأن يَكْرَهَ تحرِيمَ شُرْبِ الخمرِ، أو أن يُبْغِضَ الصَّلاةَ ويَسُبَّها.

- الفَرَحُ بِعَدَمِ تَطبِيقِ الشَّريعةِ، وكَراهيَة نَصْرِ الإسلامِ وأهلِهِ.

([1]) انظر: كتاب الإيمان (ص ٢٣٨).

([2]) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٤٣٤ - ٤٣٥).

* إذا أتَى المسلِمُ عمَلاً مِن أعمالِ النِّفاقِ العَمِلِيِّ كالكَذِبِ والغَدْرِ فإنَّه لا يَخْرُجُ مِن الإسلام، لكنَّه واقِعٌ في إثمٍ عظيمٍ يُخْشَى أن يَجُرَّهُ ذلك إلى النِّفاقِ الاعتِقاديِّ.

* النِّفاقُ الاعتِقاديُّ يُخْرِجُ مِن مِلَّة الإسلام، والنِّفاقُ العمليُّ لا يخرج مِن مِلَّة الإسلام.

الأسئِلَة:

س١: عرِّف النِّفاقَ لغةً وشَرعاً.

س٢: ما أنواع النِّفاق ؟، وأيّ الأنواعِ المخرِج مِن الملَّة ؟

س٣: أيُّهما أشَدُّ خَطَراً على الدِّين الكفّار أم المنافقون ؟، ولماذا ؟

س٤: بَيِّن النِّفاقَ الاعتِقادِيّ والعَمَلِيّ في الصُّور التّالية:

أ- تَكذِيب بعض ما جاء به الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-.

ب- التَّكاسُل عن الصَّلاة مع الجماعة في المسجد.

ج- الكَراهية لانتِصار دِين الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-.

د- الكَذِب في الحديث.

هـ- الفُجور في المخاصَمة.

و- المسرَّة بانخفاضِ دِين الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-.

س٥: أُذكر الفَرق بين النِّفاق الأكبَر والنِّفاق الأصغر.

الدَّرس الحادي والأربعون

نَواقِضُ الإسْلامِ

اعْلَمْ [1] أَنَّ نَواقِضَ الإِسْلامِ عَشَرَةُ نَواقِض:

الأَوَّلُ: الشِّرْكُ في عِبادَةِ اللهِ.

قال تَعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)﴾[النساء: ٤٨].

وقال تَعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾[المائدة: ٧٢].

ومِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَن يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أو لِلقَبْرِ.

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ وَسائِطَ يَدْعُوهُم ويسْأَلُهُمْ الشَّفاعَةَ، ويَتَوَكَّلُ عَلَيْهِم كَفَرَ إِجْماعاً.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ المشْرِكِينَ أو شَكَّ في كُفْرِهِم، أو صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ.

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* نَواقِضُ الإسلام: هي الأُمور التي إذا فَعَلَها الإنسانُ بَطلَ إسلامُه، وأصبَح كافِراً خارِجاً مِن الملَّة – والعياذ بالله –.

* الشِّرْكُ: هو تَسْوِيَة غيرِ اللهِ بِاللهِ فيما هو مِن خَصائِصِ الله، وهو أعظَم ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ بِه، وهَضْمٌ لِلرُّبوبِيَّةِ، وتَنَقُّصٌ لِلأُلُوهِيَّة، ومِثاله: أن يَعْبُدَ الإنسانُ مع اللهِ أحداً غيرَه، كعِيسى، أو مَلَكاً مِن الملائِكَة، أو يَصْرِفَ نَوْعاً مِن العِبادَة، كمَن يَذْبَح لِلجِنِّ أو لِلْقَبْرِ، أو يَنْذر لِغَيْر اللهِ

(١) هذه الرِّسالة بعنوان:" نواقِض الإسلام ".

تعالى.

* مِثال النّاقِض الثّاني: دُعاء أصحابِ القُبورِ والاستِغاثَة بهم وسُؤالهم الشَّفاعَة لِيكونوا وَسائِطَ بين اللهِ وعبادِهِ، وهذا النّاقِض مِن أكثَرِ النَّواقِضِ وُقوعاً وأعظَمِها خَطَراً على المرْءِ، ولا حول ولا قُوَّةَ إلّا بِالله.

* مَن لم يُكفِّر المشركين أو شَكَّ في كُفْرِهم أو صَحَّحَ مَذْهَبَهُم فهو كافِرٌ؛ لأنَّه مُكَذِّبٌ بِالقرآنِ والسُّنَّةِ.

* مِن النَّواقض أيضاً: أن يَعْتَقِدَ الإنسانُ أن مَذاهِبَ الكُفّار التي تخالِف الإسلامَ صَحِيحَة؛ لأنَّ هذا يعني أنَّ الإسلامَ باطِلٌ، فَيَكْفُر بِذلك.

الأسئِلَة:

س١: كم نَواقِض الإسلام ؟، وما معناها ؟

س٢: ما حُكْمُ مَن جَعَلَ بينَه وبين اللهِ واسِطَة ؟

س٣: هل يَغْفِر اللهُ لِمَن مات على الشِّرْك؟، أُذكر الدَّليل على ذلك.

الدَّرس الثاني والأربعون

مِن نَواقِضِ الإسلامِ

الرَّابِع: مَن اعْتَقَدَ أنَّ غَيْرَ هَدْي النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَكْمَلُ مِن هَدْيِهِ، أو أنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِن حُكْمِهِ، كَالذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّواغِيتِ على حُكْمِهِ، فهُوَ كافِرٌ.

الخامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً مِمَّا جاءَ بِه الرَّسُولُ -صلى الله عليه وسلم-، ولو عَمِلَ بِهِ، كَفَرَ.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)﴾[محمد: ٩].

السَّادِسُ: مَن اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ -صلى الله عليه وسلم-، أو ثَوابِ اللهِ، أو عِقابِهِ، كَفَرَ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾[التوبة: ٦٥ - ٦٦].

السَّابِعُ: السِّحْرُ - ومِنْهُ: الصَّرْفُ والعَطْفُ [1] -، فَمَن فَعَلَهُ أو رَضِيَ بِهِ كَفَرَ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا

---

(١) الصَّرف: هو التَّسَبُّب في مَنْعِ شَخْصٍ مِن فِعْلِ الخير، أو صَرفه عن زَوْجَتِه. والعَطْفُ: هو التَّسَبُّب في تحبِيبِ الرَّجُلِ أو المرأةِ إلى الزَّوْجِ عن طَرِيقِ السِّحْر.

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾[البقرة:١٠٢].

إرشاداتُ الدَّرْسِ:

* الذي يَعْتَقِد أنَّ ما وَضَعَه البَشَرُ مِن قَوانِينَ ونَظرياتٍ أحسَن وأفضَل ممّا جاء عن الله وعن رسولِه –صلى الله عليه وسلم– يُعَدُّ كافِراً؛ لأنَّه لم يَنْقَدْ إلى مُقتَضى شهادَةِ لا إله إلّا الله؛ بل أتى بِما يُناقِضُها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* مثال النّاقض الخامِس: أن يكرَهَ وُجوبَ الصَّلاة ولو صلَّى، أو يَكْرَه تحريمَ الخمْرِ ولو تركَها، أو أن يُبْغِضَ شَيْئاً ممّا جاء به الرَّسول –صلى الله عليه وسلم–، سواء مِن الأقوالِ أو الأفعالِ.

* مِن أمثِلة النّاقض السّادس: الاستِهزاء بالقرآنِ، أو الرَّسول، أو بِبَعض شَعائِر الإسلام، كالصَّلاة، أو الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، أو بِتارِك الرِّبا لأجْلِ تَرْكِه، ونحوِ ذلك، ولا فرق في ذلك بين الجادّ والهازِل.

* السَّحَرة كُفّارٌ؛ لأنَّهم يَسْتَعِينون بِالشَّياطِين بعد أن يَتَقَرَّبوا إليهِم بِالكُفْر، وبِناءً على ذلك يحرُم الذَّهاب إليهِم وسُؤالهم والعِلاجُ عِندَهُم.

الأسئِلَة:

س١: ما حُكْمُ مَن اعتَقَد أنَّ رَأْيَه أكمَلُ مِن هَدْي الرَّسولِ **–صلى الله عليه وسلم–** ؟

س٢: ما حُكْمُ مَن فَضَّلَ حُكْمَ الطّاغوتِ على حُكْمِ اللهِ ورسولِهِ **–صلى الله عليه وسلم–** ؟

س٣: ما حُكم مَن اسْتَهزَأ بِشَيْءٍ مِن الدِّين ولو كان مازِحاً ؟، مع ذِكْرِ الدَّلِيل.

س٤: لماذا كان السِّحْرُ كُفراً ؟

س٥: إذا أصابَك مَرَضٌ هل يجوز لك أن تُعالج عند السَّحَرَة ؟، ولماذا ؟

الدَّرس الثالث والأربعون

بَقِيَّة نَواقِضِ الإسلامِ

الثَّامِنُ: مُظاهَرَةُ المشْرِكِينَ ومُعاوَنَتُهُم على المسْلِمِينَ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾[المائدة: ٥١].

التَّاسِعُ: مَن اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- فهُوَ كافِرٌ.

العاشِرُ: الإعْراضُ عن دِينِ اللهِ تعالى لا يَتَعَلَّمُهُ ولا يَعْمَلُ بِهِ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٢) ﴾[السجدة: ٢٢].

ولا فَرْقَ في جَمِيعِ هذه النَّواقِضِ بين الهازِلِ والجادِّ والخائِفِ، إلّا المكْرَهِ [(١)].

وكُلُّها مِن أَعْظَمِ ما يكون خَطَراً، وأَكْثَرِ ما يكون وُقُوعاً، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أنْ يَحْذَرَها ويَخافَ مِنْها على نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِن مُوجِباتِ غَضَبِهِ، وأَلِيمِ عِقابِهِ.

وصَلَّى اللهُ على خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّم [(٢)].

إرشاداتُ الدَّرسِ:

---

(١) المراد بِالمُكْرَهِ هنا: الشَّخصُ الذي وَقَعَ بِأيْدي كُفّارٍ فأجبَروه على أن يَنْطَقَ بِالكُفْرِ فَنَطَقَ بِه، لكنَّ قَلْبَه مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ، ودليل العُذْرِ بالإكراه قوله تعالى:﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ﴾[النحل: ١٠٦].

(٢) انتهت رسالة:" نواقض الإسلام ".

* مِن أمثلةِ النّاقِض الثّامن: محبَّة الكُفّار ومُناصَرتهم، ومُعاوَنَتُهم على المسلمين، ومن يَفْعَل ذلك فإنَّه يكون مِثْلَهُم عَدُوّاً للهِ ودِينِه، ما لم يكُن فاعِل ذلك جاهِلاً، أو مُتَأوِّلاً، أو مُكْرَهاً، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾[المائدة: ٥١].

* مِن أمثِلَة النّاقِضِ التّاسِع: أن يعتَقِدَ أنَّه يجوز له أن يَتْرُكَ بعضَ الواجِبات الشَّرعِيَّة كالصَّلاة، أو يجوز له فِعْل بعضِ المحرَّمات كَشُرْبِ الخمرِ.

* النّاقِض العاشر المراد به: الإعراضُ الكُلِّيُّ عن تَعَلُّمِ أصلِ الدِّينِ الذي بِه يكون المرءُ مُسلِماً.

* يجب على المسلِم أن يحذَرَ مِن هذِهِ النَّواقِضِ، وأن يُنَبِّهَ النّاس عليها حتى لا يُغْوِيَهم الشَّيطان فَيَقعوا في شَيْءٍ منها؛ لأنَّهم قد يَقَعُوا فيها وهم لا يشعرون، كما هو مُشاهَدٌ مِن كَثِيرٍ ممَّن يَدَّعِي الإسلامَ، ولا حول ولا قُوَّةَ إلّا بالله.

الأسئِلَة:

س١: ضَعْ خطّاً تحت الإجابَة الصَّحِيحَة:

- مُظاهَرَةُ المشركين ومُعاوَنَتُهم على المسلمين:

أ- مَكروه. ب- كُفْرٌ. ج- جائِز.

- اعتِقادُ أنَّ بعض النّاسِ يَسَعهُ الخروج عن شَرِيعَة محمَّد -صلى الله عليه وسلم-:

أ- جائِز. ب- محرَّمٌ. ج- كُفْرٌ.

- مَن أعرَضَ عن دِينِ اللهِ لا يتَعَلَّمُه ولا يَعْمَل به، فهو:

أ- كافِرٌ. ب- مُشْرِكٌ. ج- لا شَيْءَ عليه.

س٢: لو سمعت زَمِيلك يَسْخَر مِن المصلِّين أو أهلِ التَّقوى والصَّلاح فما حُكْمِ فِعْلِهِ ؟

س٣: أُذكر نَواقِضَ الإسلامِ إجمالاً.

الدرس الرابع والأربعون

ادِّعاءُ عِلْمِ الغَيْبِ في قِراءَةِ الكَفِّ والفِنْجانِ والتَّنجِيم وغيرِهما

المُراد بِالغَيْبِ:

ما غاب عن النّاس مِن الأمور المستقْبَلَة والماضِيَة وما لا يَرَوْنَه، وقد اختَصَّ اللهُ تعالى بِعِلْمِه، قال تعالى:﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) ﴾[النمل: ٦٥].فلا يعلَمُ الغيبَ إلّا اللهُ سبحانَه وَحْدَه، وقد يَطَّلع رُسلَه على ما شاء مِن غَيْبِه لحكْمَةٍ ومَصْلَحَةٍ، قال تعالى:﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾[الجن: ٢٦ - ٢٧]، أي: لا يَطَّلِع على شَيْءٍ مِن الغَيْبِ إلّا مَن اصْطَفاه لِرِسالَتِه، فَيُظْهِره على ما يشاء مِن الغَيْبِ؛ لأنَّه يستَدِلّ على نُبُوَّتِه بالمعجزات التي منها الإخبارُ عن الغَيْبِ الذي يُطْلِعه اللهُ عليه، وهذا يَعُمّ الرَّسولَ مِن الملائِكَة ومِن البَشَرِ، ولا يطَّلِع عليه غيرُهم لِدَلِيلِ الحصْرِ.

حُكْمُ ادِّعاءِ عِلْمِ الغَيْبِ:

مَن ادَّعى عِلْمَ الغَيْبِ بأيِّ وَسِيلَةٍ مِن الوَسائِل – غير مَن اسْتِثناه اللّه مِن رُسُله – فهو كاذِبٌ كافِرٌ.

صُوَرُ ادِّعاءِ عِلْمِ الغَيْبِ:

ادِّعاءُ الغَيْبِ قد يكون بِواسَطَة قِراءَة الكفِّ أو الفِنْجانِ أو الكهانَة أو السِّحْر آو التَّنجيم أو غير ذلك، وهذا الذي يحصُل مِن بَعْضِ المشَعْوذِينَ والدَّجّالين مِن الإخبار عن مَكانِ الأشياءِ المفقودَةِ والأشياءِ الغائِبة. والإخْبارِ عن أسبابِ بعض الأمراضِ، فيقولون: فلانٌ عَمِلَ لك كذا وكذا فَمَرِضْت بِسَبَبِه، إنَّما هو لِاسْتِخدامِ الجنِّ والشَّياطِين، ويُظهِرون لِلنّاسِ أنَّ هذا يحصلُ لهم عن طَرِيقِ عَمَل هذه الأشياء مِن باب الخداع والتَّدلِيس، وقد يكون إخبارُهم عن ذلك عن طَرِيقِ التَّنجِيم.

تَعْرِيفُ التَّنْجِيمِ: وهو الاسْتِدلالُ بِأحوالِ النُّجُومِ على الحوادِثِ الأرضِيَّة، فيقولون: مَن تَزَوَّج بِنَجْمِ كذا وكذا حَصَلَ له كذا وكذا، ومَن سافَر بِنَجْم كذا حَصَل له كذا، ومَن وُلِدَ بِنَجْم كذا وكذا حَصَل له كذا مِن السُّعُود أو النُّحوسِ، كما يُعْلَن في بعض المجلّات السّاقِطَة من الخزعْبَلات حَوْلَ البُروجِ وما يجري فيها مِن الحظوظِ.

وقد يذهب بعض الجهّال وضِعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجِّمِين فيسألهم عن مستقبَلِ حَياتِه وما يجري عليه فيه مِن زواجٍ وغير ذلك. ومَن ادَّعى علمَ الغيبِ أو صدَّق مَن يدَّعيه فهو مُشرِك كافِر؛ لأنَّه يدَّعي مُشارَكَة اللهِ فيما هو مِن خَصائِصِه، والنُّجومُ مُسَخَّرَةٌ مخلُوقَةٌ ليس لها مِن الأمر شَيْءٌ، ولا تدلُّ على نحوسٍ ولا سُعودٍ، ولا مَوْتٍ ولا حَياةٍ.

وليس مِن علم التَّنجيم المحرَّم تَعَلُّم مَنازِل الشَّمس والقَمَرِ ومَعرِفَة النُّجوم للاسْتِدلالِ بذلك على جِهَةِ القِبْلَة وأوقات الصَّلوات والفُصول، قال تعالى:﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾[النحل: ١٦]. وقال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)﴾[الأنعام: ٩٧].

الأسئِلَة:

س١: ما المراد بالغيب ؟ وما الدَّليل على اختِصاص الله تعالى به ؟

س٢: مَن الذي يُطْلِعُه اللهُ على شَيْءٍ مِن الغيب ؟، وما الحكمة مِن ذلك ؟

س٣: ما سَبَبُ إخْبارِ الكُهّانِ عن بعضِ المغَيَّباتِ ؟

س٤: عرِّف التَّنجِيم، وما حكمُه ؟ مع التَّعليل.

س٥: بيِّن حكمَ ما يأتي:

أ- ذَهابُ بعضِ النّاسِ إلى المنجِّمِين لِيَسألُوهم عن مُستَقْبَل حَياتهم.

ب- تعلُّم بعضِ النّاسِ مَنازِل الشَّمسِ والقَمَرِ لِمَعرِفَة جِهَة القِبْلَةِ.

ج- تعلَّم بعضِ النّاسِ مَنازِلَ النُّجُومِ لِمَعرِفَة الفُصُولِ.

د- الإعلانُ في بعض المجلّاتِ حول البُروجِ وما يجري فيها مِن الحظوظ.

الدرس الخامس والأربعون

السِّحْرُ والكهانَة والعِرافَة [1].

١- تَعْرِيفُ السِّحْرِ:

لغةً: ما خَفِيَ ولَطُفَ سَبَبُهُ، وسمِّي سِحراً؛ لأنَّه يحصُل بِأمورٍ خَفِيَّة لا تُدْرَك بِالأبصارِ.

وشَرْعاً: عَزائِم وعُقَدٌ يُنْفَثُ ويُنفَخ فيها ورُقىً وكَلامٌ يُتَكَلَّم بِه وأدوِيَة وتَدخِينات، وله حَقِيقَة، ومنه ما يُؤَثِّر في القلوبِ والبَدَنِ فيُمْرِض ويَقْتُل ويُفَرِّق بين المرءِ وزَوْجِه، وتَأثِيرُه بإذنِ اللّهِ الكَونيِّ القَدَرِيّ.

والسِّحْرُ عَمَلٌ شَيْطانيٌّ، وكثِير منه لا يُتَوَصَّل إليه إلّا بِالشِّركِ والتَّقرُّبِ إلى الأرواح الخبِيثَة بما تحبّ والتَّوصّل إلى استِخدامِها بالإشراك بها، ولهذا قَرَنَه الشّارِع بِالشِّرك حيث يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-:" اجتَنِبوا السَّبْعَ الموبِقات. قالوا: وما هي؟ قال: الإشراكُ باللّهِ والسِّحْرُ ..."[2] الحديث.

حُكْمُ السِّحْرِ:

السِّحْرُ كُفْرٌ وشِرْكٌ يُناقِضُ العَقِيدَةَ، ويجِب قَتْلُ مُتَعاطِيه، كما قَتَل جماعَةٌ مِن أكابِر الصَّحابَة رضي اللّه عنهم، وقد تَساهَل النّاس في شأن السّاحر والسِّحر، وربما عَدوا ذلك فنّاً مِن الفُنون التي يفتَخِرون بها ويمنحون أصحابها الجوائِز والتَّشجِيع. ويقيمون النَّوادِي والحفلات والمسابقات لِلسَّحَرَة، ويحضُرها آلاف المتفرِّجِين والمشَجِّعِين، وهذا مِن الجهل بالدِّين والتَّهاوُنِ بِشَأنِ العقيدَةِ وتمكينٍ لِلعابِثِين بها.

---

(١) العرّاف: هو الذي يدَّعي مَعرِفة الأمور بمقدِّمات يستَدِلُّ بها على المسروقِ ومَكان الضَّالَّة ونحوِ ذلك. وقيل: هو الكاهِن. والكاهِن: هو الذي يخبِر عن المغَيَّبات في المستَقبَل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" العرّاف اسْمٌ للكافِر والمنَجِّم والرَّمّال ونحوِهم ممَّن يَتَكَلَّم في مَعرِفَة الأُمورِ بهذِه الطُّرُقِ ".

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٩٥/٣)، كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى:" إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما " الآية، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الكبائر، رقم (٨٩).

٢ – الكهانَة والعرافَة:

وهما ادِّعاء الغَيْبِ ومَعرِفَة الأُمورِ الغائِبَة: كالإخبارِ بما سيَقَع في الأرض وما سَيَحْصُل، وأين مكان الشّيءِ المفقود، وذلك عن طَريقِ اسْتِخدامِ الشَّياطِين الذين يَسْترقون السَّمْعَ مِن السَّماءِ. قال تعالى:﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)﴾[الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣]. وذلك أنَّ الشَّيطان يسترِقُ الكَلِمَة مِن كلامِ الملائكة، فيُلقِيها في أُذُنِ الكاهِن، ويَكذِب الكاهِنُ مع هذه الكَلِمَة مائة كذْبَة، فيُصَدِّقُه النّاس بِسَبَبِ تلك الكَلِمَة التي سُمِعَت مِن السَّماء.

حُكْمُ الكِهانَة:

اللّه سبحانه وتعالى هو المنفرِد بِعلم الغَيب. فمَن ادَّعى مُشارَكته في شيءٍ مِن ذلك بكِهانة أو غيرها، أو صدَّق مَن يدَّعي ذلك فقد جَعَلَ للهِ شريكاً فيما هو مِن خَصائِصه. والكِهانة لا تخلو مِن الشِّرك، لأنها تقرُّبٌ إلى الشَّياطين بما يحبُّون. فهي شِرك في الرُّبوبِيَّة مِن حيث ادّعاء مُشاركة اللّه في عِلْمِه، وشِرْكٌ في الألوهِيَّة مِن حيث التَّقرُّب إلى غيرِ اللّه بِشَيءٍ مِن العِبادة. فعن أبي هريرة **رضي الله عنه** عن النَّبي–صلى الله عليه وسلم– أنَّه قال:" مَن أتى كاهِناً فصَدَّقَه بما يقول فقَدَ كَفَر بما أُنزِلَ على محمَّد –صلى الله عليه وسلم– "[1].

خَطَر الكَهَنَة والسَّحَرَةِ والعَرّافِينَ على النّاس:

ومما يجِب التَّنبِيه عليه والتَّنَبُّه له: أنَّ السَّحَرَةَ والكُهّان والعَرّافين يعبثون بِعقائِد النّاس بحيث يَظهَرون بمظهَرِ الأطِبّاء، فيأمُرون المرضى بِالذَّبح لغيرِ اللهِ، بأن يذبحوا خَروفاً صِفَتُه كذا وكذا أو

---

(١) رواه أحمد (٤٢٩/٢)، والحاكم (٨/١)، وصححَّه على شرطِهما، وقال الذهبي:" إسناده قوي "، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الطب، باب: في الكاهن، والترمذي، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب: النهي عن إتيان الحائض، والدارمي، كتاب الطهارة، باب: مَن أتى امرَأتَه في دُبُرِها.

دَجاجة. أو يكتُبون هم الطَّلاسِم الشِّركيَّة والتَّعاوِيذَ الشَّيطانِيَّة بِصِفَة حُروزٍ يعلِّقونها في رِقابهم أو يَضعونها في صَنادِيقِهم أو في بُيوتهم. والبعض الآخر يَظْهَر بمظهَرِ المخبِر عن المغيَّباتِ وأماكِن الأشياء المفقودَة، بحيث يأتيه الجهّال فيسألُونه عن الأشياءِ الضّائِعَة فيُخبِرهم بها، أو يحضِرُها لهم بِواسِطَة عُمَلائِه مِن الشَّياطين، وبعضهم يظهَر بمظهَر الوَلِيِّ الذي له خَوَارِق وكَرامات كدُخولِ النّار مِن دون أن تُؤَثِّرَ فيه، أو ضَرْب نفسِه بالسِّلاح، أو وَضْع نفسِه تحت عَجَلات السَّيارة ولا تؤثِر فيه، أو غير ذلك مِن الشَّعوذات التي هي في حَقِيقَتِها سِحْرٌ مِن عَمَلِ الشَّيطانِ يجري على أيدي هؤلاءِ لِلْفِتْنَة، أو هي أُمورٌ تخيُّلِيَّة لا حَقِيقَة لها؛ بل هي حِيَلٌ خَفِيفَةٌ يَتَعاطونها أمامَ الأنظارِ كَعَمَلِ سَحَرَةِ فِرْعَون بِالحبالِ والعصِيّ.

مِثالٌ مِن دَجَلِ السَّحَرَةِ وتَلْبِيسِهِم:

قال شيخ الإسلام – رحمه الله– في مُناظَرَتِه لِلسَّحَرَةِ البَطائِحيَّة الأحمَدِيَّة (الرِّفاعِيَّة) قال: (يعني شَيخ البَطائِحِيّة) ورفَع صَوته: نحن لنا أحوال. وكذا وكذا، وادَّعى الأحوالَ الخالِقَة كالنّارِ وغيرِها واختِصاصهم بها، وأنهم يَسْتَحِقُّون تَسلِيمَ الحالِ إليها لأجلِها، قال شيخ الإسلام: فقلت ورَفَعْت صوتي وغَضِبْت: أنا أخاطِب كلَّ أحمدِيٍّ مِن مَشْرِقِ الأرضِ إلى مَغرِبِها، أي: شَيْء فَعَلوه في النّار فأنا أصنَع مثل ما تصنَعون، ومَن احتَرَقَ فهو مَغْلُوبٌ، وربما قلت: فعليه لَعْنَة اللهِ – ولكن بعد أن تُغسَل جُسومنا بالخلِّ والماءِ الحارّ – فسألني الأمراءُ والنّاس عن ذلك فقلت: لأنَّ لهم حِيَلاً في الاتِّصالِ بِالنّارِ يصنَعونها مِن أشياء مِن دُهْنِ الضَّفادِعِ ومِن النّارنج وحَجَر الطَّلق فَضَجَّ النّاس بذلك – فأخذ يُظْهِر القُدْرَةَ على ذلك فقال: أنا وأنت نُلَفُّ في بارية بعد أن تُطْلَى جُسومنا بِالكبرِيت. فقلت: فَقُم. وأخذت أُكَرِّر عليه في القِّيام إلى ذلك. فمَدَّ يَدَه يُظْهِر خَلْعَ القَمِيصِ. قلت: لا حتى تَغْتَسِل بالماءِ الحارّ والخلّ فَأُظْهِرَ الوَهم على عادَتهم فقال: مَن كان يحبُّ الأميرَ فيحضِر خَشباً، أو قال حُزْمَةَ حَطَبٍ. فقلت: هذا تطويل وتفرِيقٌ لِلجَمْعِ ولا يحصُل به مقصود، بل قِنْدِيلٌ يُوقَد وأُدْخِل أُصبُعِي وأُصبعك فيه بعد الغَسْلِ، ومَن احتَرَقَت أُصبُعه فعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ أو قلت فَهو مَغلوب، فلمّا قلت ذلك تَغَيَّر وذَلَّ. انتهى[1]

([1]) مجموع الفتاوى (١١/٤٤٥ – ٤٦٦).

والمقصود منه بيانُ أنّ هؤلاء الدَّجّالين يكذِبون على النّاس بمثل هذه الحيَلِ الخفِيَّة.

عَلاقَةُ السِّحْرِ والكِهانَة والعَرافَة بِالشِّرك:

كلٌّ هذه الأمور أعمال شَيطانِيَّة محرَّمة تخِلُّ بالعَقِيدَة أو تُناقِضُها؛ لأنها لا تحصُل إلّا بِأُمورٍ شِرْكِيَّة، فهي داخِلَةٌ في الشِّرْكِ مِن ناحِيَتَيْن:

النّاحِيَةُ الأُولى: ما فيها مِن استِخدامِ الشَّياطين والتَّعَلُّق بهم والتَّقرُّبِ إليهِم بما يحبُّونَه مِن طاعَتِهم وصَرْفِ شَيْءٍ مِن العِبادَة لهم لِيَقوموا بخدْمَةِ السّاحِر. فالسِّحر مِن تَعْلِيم الشَّياطِين، قال تعالى:﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾[البقرة: ١٠٢].

النّاحية الثّانية: ما فيها مِن دَعوى عِلْمِ الغَيْبِ ودَعوى مُشارَكَة اللّهِ في ذلك. وهذا كُفْرٌ وضلالٌ، قال تعالى: ﴿ٱ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾، أي: نَصِيبٌ.

الأسئِلَة:

س١: عرِّف السِّحر لغةً وشرعاً، ولماذا سمي السِّحر سِحراً ؟

س٢: لماذ قُرِنَ السِّحر بالشِّرك ؟ مع الاستِدلال على ذلك.

س٣: ما حُكْم مُتعاطِي السِّحْر ؟، وماذا يجِب نحوه ؟ مع الاستِدلالِ.

س٤: ما الكِهانة والعرافَة، وما حكمهما.

س٥: أُذكر صُوراً تُبَيِّن خَطَرَ الكَهَنَةِ والسَّحَرة والعَرّافِين على النّاس.

س٦: ما حُكم الذَّهابِ إلى الكُهّان والعَرّافين لِلعلاجِ عندهم ؟ دَلِّل على ما تقول.

س٧: ما حكم تمكينِ الكُهّان والعَرّافين مِن إظهارِ أعمالهم أمام الجمهورِ مِن المسلمين؟ علِّل ما تقول.

س٨: ما وَجْهُ كَوْنِ الكِهانَة شِرْكاً في الرُّبُوبِيَّة وشِركاً في الأُلُوهِيَّة ؟

س٩: أُذكر مِثالاً مِن دَجَلِ السَّحَرة وتَلبِيسِهشم.

س١٠- ما علاقَة السِّحر والكِهانة والعرافَة بالشَّرك ؟

الدرس السادس والأربعون
الرُّقَى والتَّمائِمُ

تَعرِيفُ الرُّقَى:

الرُّقَى: جمع رُقْيَةٍ، وهي: العُوذَةُ التي يرُقَى بها صاحِب الآفَةِ كالحمّى والصَّرع وغيرِ ذلك مِن الآفاتِ، ويسمّونها العَزائِم، وهي على نَوعَيْن:

النَّوع الأوّل: ما كان خالياً من الشِّرك، بأن يُقْرأ على المريضِ شيءٌ مِن القرآن، أو يُعَوَّذ بأسماءِ اللّه وصفاتِه، فهذا مباحٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قد رَقى وأَمَر بِالرُّقْيَة وأجازَها.

عن عوف بن مالك قال:" كنّا نرقى في الجاهلِيَّة، فقلنا: يا رسول اللّه، كيف ترى في ذلك؟. فقال: اعْرِضوُا عليَّ رُقاكم، لا بأس بِالرُّقى ما لم تَكُن شِركاً "[1].

شُروطُ الرُّقْيَةِ الشَّرعِيَّة:

قال السيوطي: وقد أجمع العلماء على جواز الرّقى عند اجتماع ثَلاثَةِ شُروطٍ:

١- أن تكون بكلامِ اللّه أو بأسماءِ اللّه وصفاتِه أو بالأدعيَّة النَّبويَّة.

٢- أن تكون باللِّسان العربيِّ وما يُعرَف معناه.

٣- أن يعتَقِد أنَّ الرُّقى لا تُؤثِّر بذاتها؛ بل بِتَقْدِير اللّهِ تعالى [2].

كَيْفِيَّتُها:

أن يقرأَ وينْفُثَ على المرِيضِ، أو يقرأ في ماءٍ ويُسقاه المريضُ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها:" أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- كان يقول لِلمريض: بسمِ الله، تُرْبَة أرضِنا،

([1]) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: لا بأس بالرّقى ما لم يكن فيه شِرك، قم (٢٢٠٠).

([2]) فتح المجيد (ص ١٣٥) بتصرف.

بِرِيقَة بعضِنا، يُشفَى سَقِيمُنا، بإذنِ رَبِّنا "[1].

النَّوع الثّاني: ما لم يخلُ مِن الشِّرك، وهي الرُّقى التي يُستَعان فيها بغيرِ اللّهِ مِن دُعاءٍ غيرِ اللّهِ والاستِغاثَةِ والاستِعاذَةِ به، كالرُّقى بأسماءِ الجنِّ أو بأسماءِ الملائِكَةِ والأنبياء والصّالحين، فهذا دعاءٌ لِغَيْرِ اللّهِ، وهو شِرْكٌ أكبَر، أو يكون بغيرِ اللِّسان العربيِّ أو بما لا يُعرَف معناه؛ لأنَّه يخشى أن يَدْخُلَها كُفْرٌ أو شِرك ولا يعلم عنه، فهذا النَّوع مِن الرُّقيَة ممنوعٌ سَدّاً لِلذَّرِيعَة.

تعرِيفُ التَّمائِم:

التَّمائِمُ: جمع تميمَةٍ، وهي: ما يُعَلَّق بِأعناقِ الصِّبْيان لِدَفْع العَيْنِ، وقد يُعَلَّق على الكِبار مِن الرِّجال والنِّساء، وهو على نوعين:

النَّوع الأوّل: ما كان مِن القرآنِ، بأن يكتَب آياتٌ مِن القرآن، أو مِن أسماءِ اللهِ وصِفاتِه ويعلّقها للاستِشْفاء بها، فهذا النَّوع قد اختَلَف العلماء في حُكْمِ تَعلِيقِه على قولين:

القَوْلُ الأوّل: الجوازُ، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهِر ما روي عن عائِشَة، وبه قال أبو جعفر الباقِر وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وحملوا الحديث الوارِد في المنع مِن تَعلِيقِ التَّمائِم على التَّمائِم التي فيها شِرْك.

القول الثّاني: المنع مِن ذلك، وهو قول ابن مسعود وابن عباس **رضى الله عنهم**، وهو ظاهِر قَولِ حذيفَة وعقبَة بن عامِر وابن عكيم **رضى الله عنهم**، وبِه قال جماعةٌ مِن التابعين، مِنهُم أصحابُ ابن مسعودٍ وأحمَد، وفي روايَةٍ اختارَها كثيرٌ مِن أصحابِه، وجزم بها المتأخِّرون، واحتجُّوا بما رواه ابن مسعود**رضي الله عنه** قال: سمعت رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم– يقول:"إنَّ الرُّقى والتَّمائِمَ والتِّوَلَة [2]شِرْكٌ" [3]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب: رقية النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومسلم، كتاب السلام، باب: رقية المريض بالمعوذات والنفث، رقم (٢١٩٤)، ومعنى الحديث: أنَّه يأخذ مِن ريقِه على إصبُعه السَّبابَة، ثم يضَعها على التُّرابِ فيَعْلَق بها منه شَيْءٌ، فيَمْسَح بِه على الموضِع أو العَلِيل، ويقول هذا في المسحِ.

(٢) التِّوَلَة: شَيْءٌ يصنَعونَه يَزعُمون أنَّه يحبِّبُ المرأةَ إلى زَوْجِها والرَّجُل إلى امرَأَتِه.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الطِّبّ، رقم (٣٨٨٣)، وابن ماجه في كتاب الطّبّ، رقم (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٨١/١).

وهذا هو الصَّحيح لِوُجُوهٍ ثَلاثَة:

الأوّل: عُمومُ النِّهي ولا مخصِّصَ لِلعُموم.

الثّاني: سَدّ الذَّرِيعَة، فإنها تُفضِي إلى تَعْلِيقِ ما ليس مُباحاً.

الثالث: أنّه إذا عَلَّق شيئاً مِن القرآن، فلا بُدَّ أن يمتَهِنَه المعلِّق بحملِه معه في حالِ قَضاءِ الحاجَة والاستِنجاءِ ونحوِ ذلك، ولا سيَّما إذا كان مِن الصِّبيان.[1]

النَّوع الثّاني مِن التَّمائِم: ما يُعلَّق على الأشخاصِ ما كان مِن غيرِ القرآنِ، كالخرز والعِظام والوَدَع والخيوطِ والنِّعالِ والمسامِيرِ وأسماء الشَّياطِين والجنِّ والطَّلاسِم، فهذا محرَّمٌ قَطْعاً، وهو من الشِّرك؛ لأنَّه تَعَلَّق على غيرِ اللّهِ سبحانَه وأسمائِه وصِفاته وآياتِه، وفي الحديث:" مَن تَعَلَّقَ شَيئاً وُكِلَ إليه "[2]، أي: وَكَلَهُ اللهُ إلى ذلك الشَّيءِ الذي تَعَلَّقَه، فمَن تعلَّق بِاللّهِ والتَجَأ إليه، وفوَّض أمرَه إليه كفاه، وقَرَّبَ إليه كلَّ بَعِيدٍ، ويَسَّر له كُلَّ عَسِيرٍ، ومَن تَعَلَّق بغيرِهِ مِن المخلوقينَ والتَّمائِم والأدوِيَة والقبورِ وَكَلَه اللّهُ إلى ذلك الذي لا يُغني عنه شَيْئاً ولا يملِك له ضرّاً ولا نَفْعاً، فخَسِر عَقِيدَتَه وانقَطَعَت صِلَتُهُ بِرَبِّهِ وخَذَلَه اللهُ تعالى.

الواجِب على المُسلِم:

والواجِب على المسلِم المحافظَة على عقِيدَتِه ممّا يُفْسِدها أو يخِلُّ بها، فلا يَتَعاطَى ما لا يجوز مِن الأدوية، ولا يذهب إلى المخرِّفين والمشعوِذِين؛ لِيتَعالج عندهم مِن الأمراض؛ لأنهم يمرِضون قلبَه وعقِيدَته، ومَن توكَّل على اللّهِ كَفاه.

وبعض النّاس يعلِّق هذه الأشياء على نفسِه، وهو ليس في مَرَضٍ حِسِّيٍّ، وإنما في مَرَضٍ وَهْمِيٍّ، وهو الخوف مِن العين والحسَد، أو يعلّقها على سَيارَتِه أو دابَّتِه أو بابِ بَيْتِه أو دُكّانِه. وهذا كلّه مِن ضَعْفِ العَقِيدَة هو المرض الحقِيقِيّ الذي يجِب عِلاجُه بمعرِفَة التَّوحِيدِ والعَقِيدَةِ الصَّحِيحَة.

([1]) فتح المجيد (ص ١٣٦).

([2]) رواه أحمد (٣١١/٤)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٢١٦/٤).

تَنْبِيهٌ مِهِمٌّ:

الرُّقى غيرُ الشَّرْعِيَّة والتَّمائِم إن اعتَقَد مُتَّخِذها أنها تُؤَثِّر بِذاتها، أو اشتَمَلَت على تَقَرُّبٍ إلى الشَّياطِين فهِي شِرْكٌ أكبَر، وإن اعتَقَد أنها سَبَبٌ غيرُ مُؤَثِّرٍ بِذاتِه، والتَّأثِير بِتَقْدِيرِ اللهِ فهِي شِرْكٌ أصغَر.

الأسئِلَة:

س١: عرِّف الرُّقى، وما أنواعُها مع ذِكْرِ الأدِلَّة.

س٢: ما شروط الرُّقية الشَّرعيَّة ؟

س٣: عرِّف النَّمِيمَة ؟

س٤: ما حُكم تَعلِيق التَّمائِم التي تُكْتَب مِن القُرآن أو مِن أسماءِ اللهِ وصِفاتِه مع التَّرجِيح والاستِدلالِ على ذلك ؟

س٥: ما حُكمُ تَعلِيق التَّمائِم التي مِن غيرِ القرآن، كالخرز العِظامِ ونحوِ ذلك مع الاستِدلال؟

س٦: متى تكون الرُّقى غير الشِّرعيِّة شِركاً أكبَر، ومتى تكون شِركاً أصغَر ؟

س٧: ما حكم الرُّقيَة بِغَيرِ اللِّسان العَرَبِيِّ أو بما لا يُعرَف مَعناه ؟، ولماذا ؟

الدرس السابع والأربعون

تَقْدِيمُ القَرابِينِ والنُّذُورِ والهَدايا لِلمَزاراتِ [1] والقُبورِ وتَعظِيمُها

لقد سَدَّ النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– كلَّ الطُّرقِ المفضِيَة إلى الشِّرك، وحذَّر منها غايَة التَّحذير، ومن ذلك مسألة القبور، فقد وَضَع الضَّوابِطَ الواقِيَة مِن عِبادَتها، والغُلُوّ في أصحابها، ومِن ذلك:

١ – أنَّه –صلى الله عليه وسلم– حذَّر مِن الغُلُوّ في الأولياء والصّالحين، لأنَّ ذلك يُؤدِّي إلى عبادتهم، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" يا أيّها النّاس إيّاكم والغُلُوّ في الدِّين، فإنما أهلك مَن كان قبلَكم الغُلُوّ في الدِّين " [2]، وقال:" لا تطروني كما أَطرَت النَّصارى ابن مريم. إنما أنا عبد، فقولوا: عبد اللّهِ ورسولُه "[3] .

٢ – أنَّه حذَّر –صلى الله عليه وسلم– مِن البِناء على القبور، كما روى أبو الهيّاج الأسدَيّ قال: قال لي علي بن أبي طالب **رضي الله عنه**:" ألا أبعثُك على ما بعثَني عليه رسول اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– أن لا تَدَعَ تمثالاً إلّا طَمَسْتَه. ولا قَبْراً مُشْرفاً إلّا سَوَّيْتَه "[4]. ونهى عن تجصِيصِها والبِناء عليها، فعن جابر **رضي الله عنه** قال:" نهى رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– عن تجصِيصِ القَبْرِ. وأن يُقْعَدَ عليه، وأن يُبنَى عليه " [5].

٣ – أنَّه حذَّر –صلى الله عليه وسلم– مِن الصّلاة عند القبورِ، فعَن عائشةَ رضي اللّه

---

(١) المزارات: جمع مَزار وهو: ما بُرز مِن القُبورِ والآثارِ والأمكِنَة بقصد التَّعَبُّد. القَرابين: جمع قُربان، وهو: ما تُقُرِّبَ بِه مِن النَّذورِ والذَّبائح والأطعِمة. النُّذُور: جمع نَذْرٍ، وهو: ما يُلْزِمُ المرءُ بِه نفسَه مِن القُربان.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢١٥/١)، والنسائي، كتاب المناسك، باب: التقاط الحصى، رقم (٣٠٥٧)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب: قدر حصى الرمي، رقم (٣٠٢٩)، وهذا لفظُه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٤٢/١)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى:" واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها "الآية.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: الأمر بتسويَة القبر، رقم (٩٦٩).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رقم (٩٧٠).

عنها قالت:" لَمّا نُزِلَ بِرَسولِ اللّه –صلى الله عليه وسلم– طَفِقَ يطَرح خَمِيصَةً له عن وَجْهه. فإذا أَغتَمّ بها كشَفها. فقال وهو كذلك: لَعْنَةُ اللهِ على اليهود والنَّصارى اتخذوا قُبورَ أنبيائِهِم مَساجِد. يحذِّر ما صَنَعوا، ولولا ذلك أُبْرِزَ قَبْرُه غير أنَّه خَشِيَ أن يُتَّخَذَ مَسْجِداً "[1].

وعن جندب قال: سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:" ألا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يَتَّخِذون قبورَ أنبيائِهِم مَساجِد، ألا فلا تَتَّخِذوا القُبورَ مَساجِد، فإني أنهاكُم عن ذلك" [2]، واتخاذُها مَساجِدَ معناه الصَّلاة عندها، وإن لم يُبْنَ مَسْجِدٌ عليها، فكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَ لِلصَّلاةِ فيه اتخذَ مَسْجِداً، كما قال –صلى الله عليه وسلم–:" جُعِلَت لي الأرضُ مَسْجِداً وطَهُوراً "[3]، فإذا بُنِيَ عليها مَسْجِدٌ فالأَمْرُ أشَدّ.

مُخالَفة النّاس سنَّة النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– في القَبْر:

وقد خالَف أكثَر النّاس هذه النّواهِي، وارتكبوا ما حذّرَ منه النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– فوقَعوا بسبب ذلك في الشّرك، ومِن صُوَر هذه المخالَفة:

١– نهى رسولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– عن الصَّلاةِ إلى القبور، وهؤلاء يُصَلُّون عندها.

٢– نهى عن اتخاذِها مَساجِد، وهؤلاء يَبنُون عليها المساجِد ويسمُّونها مَشاهِد؛ مضاهاةً لِبُيوتِ اللّهِ.

٣– نهى عن أن تُتَّخَذ عِيداً، وهؤلاء يَتَّخِذونها أعياداً ومَناسِكَ، ويجتمِعون لها كاجتِماعِهِم لِلعِيدِ أو أَكْثَر.

٤– أمَر بِتَسْوِيَتِها، كما روى مسلمٌ في صحيحه عن أبي الهياج الأسَديّ قال: قال لي عليّ

([1]) رواه البخاري في صحيحه (١٠٦/٢)، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم (٥٢٩).

([2]) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم (٥٣٢).

([3]) رواه البخاري في صحيحه (٨٦/١)، كتاب التيمم أول الكتاب، ومسلم، كتاب المساجد، الباب الأول، رقم (٥٢١).

بن أبي طالب **رضي الله عنه**:(ألا أبعَثُك على ما بعثني عليه رسولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– أن لا تَدَعَ صُورةً إلّا طَمَسْتَها، ولا قَبْراً مُشْرِفاً إلّا سَوَّيْتَه) [1].

وهؤلاء يبالِغون في مخالَفَة هذا الحديثِ ويرفعونها عن الأرضِ كالبَيْتِ، ويَعقِدون عليها القِباب.

٥– أنَّ الحكمَة التي لأجلها شَرع النّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– زيارة القبور هي تَذَكُّر الآخِرة، والإحسانُ إلى المزورِ بِالدُّعاء له والتَّرحُّمِ عليه والاستغفارِ وسُؤال العافِية له. فيكون الزّائِر محسِناً إلى نفسِه وإلى الميِّت. فقَلَب هؤلاءِ المشركون الأَمْرَ، وعَكَسُوا الدِّين، وجَعلوا المقصودَ بِالزِّيارَة الشِّرْكَ بِالميِّت ودُعاءَه والدّعاءَ بِه وسُؤالَ حَوائِجِهِم واستِنْزالَ البَرَكات مِنه ونَصْرَه لهم على الأعداءِ ونحوَ ذلك. فصاروا مُسِيئِين إلى أنفسِهم وإلى الميِّت، ولو لم يكُن إلّا بحرمانِه بَرَكَة ما شَرَعَه تعالى مِن الدُّعاء والتَّرحُّم عليه والاستِغفار له.

فانظُر إلى هذا التَّبايُن العَظِيم بين ما شَرَعَه رسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– وقصَده مِن النَّهْي عمّا تقدم ذِكرُه في القبور، وبين ما شَرَعه هؤلاءِ وقصَدُوه، ولا ريب أنَّ في ذلك مِن المفاسِدِ ما يعجَزُ العبدُ عن حَصْرِه [2] .

حُكْمُ تَقْدِيم النُّذُورِ والقَرابِين لِلمَزاراتِ:

تقديم النُّذور والقرابين للمَزارات شِرْكٌ أكبَر. سَبَبه مخالَفَة هَدي النَّبيِّ–صلى الله عليه وسلم– في الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور، مِن عَدَم البِناء عليها، وإقامَة المساجِد عليها؛ لأنها لِمّا بُنِيَت عليها القِبابُ وأُقِيمَت حولها المساجِد والمزارات ظَنَّ الجهّال أنَّ المدفونين فيها يَنفَعُون أو يضرُّون. وأنهم يغيثون مَن اسْتَغاثَ بهم، ويقَضُونَ حَوائِجَ مَن التَجَأَ إليهِم، فقدَّموا لهم النُّذُورَ والقَرابِينَ. حتى صارت أوثاناً تُعْبَد مِن دون اللهِ، وقد قال النّبيُّ –صلى الله عليه وسلم–:" اللَّهمَّ لا تجعَل قَبْرِي وَثَناً يُعْبَد"[3] وما دعا بهذا الدُّعاء إلّا لأنَّه سيحصُل شَيْءٌ

([1]) أي: بِعَدَمِ رَفْعِه، رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب: الأمر بِتَسوِيَة القبر، رقم (٩٦٩).

([2]) انظر: إغاثة اللهفان (٢١٤/١) وما بعدها.

([3]) رواه أحمد (٢٤٦/٢)، ورواه مالك مرسلاً كتاب قصر الصلاة في السفر، باب: جامع الصلاة، رقم (٨٥).

مِن ذلك في غيرِ قبرِه –صلى الله عليه وسلم–، وقد حصَل في كثيرٍ مِن بلادِ الإسلام، أمّا قبرُه فقد حماه اللّهُ بِبَرَكَةِ دُعائِه، وإن كان قد يحصل في مَسجِده شيءٌ من المخالفات مِن بعض الجهّالِ أو المخرِّفين لكنَّهم لا يَقْدِرونَ على الوُصولِ إلى قبرِه –صلى الله عليه وسلم–؛ لأنّ قَبرَه في بَيْتِه، وليس في المسجِد، وهو محوَّط بِالجُدرانِ.

الأسئِلَة:

س١: ما حُكْمُ الوَسائِل التي تُفضِي إلى الشِّرك، وبيِّن كيف سدَّها النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– مُستَدِلّاً لِما تقول.

س٢: بيِّن حكمَ ما يأتي مع التَّعلِيل.

أ– تجصِيصُ القُبورِ والبِنُاء عليها.

ب– الصَّلاة عند القبور.

ج– إيقاد السُّرجِ والقَنادِيلِ على القُبورِ.

د– الدُّعاءُ للمَيِّت والتَّرحُّمُ عليه وسُؤالُ العافِيةِ له.

س٣: ما الذي يُستفادُ مِن قَوْلِ الرَّسول –صلى الله عليه وسلم–:" اللَّهم لا تجعَل قبرِي وَثَناً يُعبَد :؟ وهل عُبد قبره –صلى الله عليه وسلم– ؟

الدرس الثامن والأربعون

تَعْظِيمُ التَّماثِيلِ والنُّصُبِ التِّذْكارِيَّة

تَعرِيفها:

التَّماثِيل: جمع تمثال: وهو الصُّورَة المجسَّمَة على شَكْلِ إنسانٍ أو حَيَوانٍ أو غيرِهما ممّا فيه رُوحٌ.

والنُّصُب في الأصل: العَلَمُ وأحجار كان المشركون يَذْبحون عِنْدَها.

والنُّصُب التِّذكارِيَّة: تماثِيلٌ يُقِيمونها في الميادِينِ ونحوِها لإحياءِ ذِكْرى زَعِيمٍ أو مُعَظَّم على صُوَرِهِم.

تَصْوِيرُ ذَواتِ الأرواحِ وَسِيلَةٌ إلى الشِّرْكِ:

لقد حذَّر النّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– مِن تصوِير ذوات الأرواح، ولا سيّما تصوير المعظَّمين مِن البشر: كالعلماء والملوك والعبّاد والقادة والرُّؤساء، سواء كان هذا التَّصوير عن طريق رسم الصُّورة على لوحة أو ورقة أو جدار أو ثوب، أو عن طَرِيق الالتِقاطِ بِالآلَة الضَّوئِيَّة المعروفة في هذا الزَّمان، أو عن طَرِيق النَّحتِ وبِناء الصُّورَة على هَيْئَة التِّمثال. ونهى –صلى الله عليه وسلم– عن تَعْلِيق الصُّوَر على الجدران ونحوها، وعن نَصْبِ التَّماثِيل، ومنها النُّصُب التِّذكارِيَّة؛ لأنَّ ذلك وَسِيلَة إلى الشِّرك. فإنَّ أوَّلَ شِرْكٍ حَدَثَ في الأرض كان بِسَبَبِ التَّصوِير ونَصْبِ الصُّوَرِ. وذلك أنَّه كان في قوم نُوحٍ رِجالٌ صالحون، فلمّا ماتوا حَزِن عليهم قَوْمُهم، فأوحى إليهم الشَّيطان أن انصِبوا إلى مجالِسِهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائِهم ففعلوا ولم تُعْبَد، حتى إذ هَلَك أولئك ونُسِيَ العِلْمُ عُبِدَت [1] ولَمّا بَعَثَ اللّهُ نَبِيَّه نُوحاً عليه السَّلام ينهَى عن الشِّركِ الذي حصل بِسَبَبِ تلك الصُّورَةِ التي نُصِبَت امتَنَع قَوْمُه مِن قَبولِ دَعْوَتِه، وأصَرُّوا على عِبادَةِ تلك الصُّوَرِ المنصوبَة التي تحوَّلت إلى أَوثانٍ:﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ

([1]) انظر: صحيح البخاري (٦/٧٣)، كتاب التفسير، تفسير سورة نوح.

آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)﴾[نوح: ٢٣].

وهذه أسماء الرِّجال الذين صُوِّرَت لهم تلك الصُّور على أشكالهم إحياءً لذِكرياتهم وتعظيماً لهم.

فانظر ما آلَ إليه الأمرُ بسبب هذه الأنصاب التِّذكاريَّة مِن الشِّرك باللّه ومعانَدة رُسُلِه. ممّا سبَّب إهلاكَهُم بِالطُّوفانِ ومَقْتِهِم عند اللّهِ وعند خَلْقِه، ممّا يدلُّ على خُطورَةِ التَّصويرِ ونَصْبِ الصُّوَرِ. ولهذا لَعَنَ النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– المصوِّرِينَ [(١)]، وأخبر أنهم أشدُّ النّاسِ عذاباً يوم القيامة [(٢)]، وأمَرَ بِطَمْسِ الصُّور. وأخبر أنّ الملائكةَ لا تدخل بيتاً فيه صورة [(٣)]، كلّ ذلك مِن أجل مفاسِدها وشدَّة مخاطِرها على الأُمَّة في عقيدتها. فإنّ أوَّلَ شِرْكٍ حَدَث في الأرض كان بسبب نصب الصُّور، وسواء كان هذا النَّصْبُ لِلصُّوَرِ والتَّماثِيل في المجالِس أو الميادين أو الحدائِق، فإنَّه محرَّمٌ شَرْعاً؛ لأنَّه وَسِيلَةٌ إلى الشِّرْكِ وفَسادِ العَقِيدَة. وبهذا نَعْلَم أنَّ تَعظِيمَ الصُّوَرِ المجسّمَةِ والمنحُوتَة على هَيْئَة الصَّنَمِ والتِّمثال ممّا فيه مُضاهاةِ خَلْقِ اللهِ عزَّ وجلَّ أَمْرٌ محرَّمٌ شَرْعاً، وأمّا الصُّوَرُ الفُوتوغرافِيَّة المستَعْمَلة في إثباتِ الشَّخصِيَّة كبِطاقَة الأحوالِ وجَوازِ السَّفر وما في

---

(١) عن أبي جحيفة رضى الله عنه قال:" لعن النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– الواشمة والمستوشمة وآكِل الرّبا وموكله، ونهى عن ثمن الكلب، وكسب البغي، ولَعن المصوِّرين ". صحيح البخاري (١٨٨/٦)، كتاب الطلاق، باب: مهر البغي والنّكاح الفاسد.

(٢) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: سمعت النَّبيَّ –صلى الله عليه وسلم– يقول:" أشَدُّ النّاسِ عَذاباً يوم القيامة المصَوِّرين ". متفق عليه صحيح البخاري (٦٥/٧)، كتاب اللباس، باب: عذاب المصورين يوم القيامة، وصحيح مسلم، كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، رقم (٢١٠٩).

(٣) عن القاسم بن محمّد رحمه الله أنّ عائِشةَ رضي الله عنها أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تَصاوِير فلمّا رآها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قام على الباب فلم يدخله، فعرفت في وجهه الكراهة فقالت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله –صلى الله عليه وسلم– ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" ما بال هذه النمرقة "؟ قال: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" إنَّ أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم أحيوا ما خلقتم ". وقال:" إنَّ البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة". متفق عليه. صحيح البخاري (١٧/٣)، كتاب البيوع، باب: التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، ومسلم كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ممتهنة بالفرش ونحوه، رقم (٢٠١٧)، واللَّفظ لِلبُخاري.

حكمِها ممّا تَدعو إليه الحاجَة أو تمليهِ المصلَحَةُ فلا بأس بها إن شاءَ الله.

الأسئِلَة:

س١: ما المراد بالتَّماثيل والنّصب التِّذكارِيَّة ؟

س٢: متى حصل أوّل شِرْكٍ في الأرض، وما سبَبه، وكيف حصَل ذلك ؟

س٣: بيِّن حُكْمَ ما يأتي مع التَّعلِيلِ:

أ- الرَّسم عن طَرِيقِ النَّحْتِ وبِناءِ الصُّوَرِ على هَيْئَة تماثِيلَ.

ب- نَصْبُ التَّماثِيلِ والنُّصُبِ التِّذْكارِيَّة.

الدرس التاسع والأربعون

الاسْتِهْزاءُ بِالدِّينِ والاسْتِهانَةُ بِحُرُماتِهِ

حُكْمُ الاسْتِهزاءِ بِالدِّينِ:

يجب على المسلِم تَعْظِيم كِتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رسولِه -صلى الله عليه وسلم- واحترامِ عُلَماءِ المسلِمِين، قال تعالى:﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) ﴾[الحج: ٣٢]. كما ينبَغي أن يعرِفَ حكمَ مَن اسْتَهْزأَ بِشَيْءٍ فيه ذِكْرُ اللهِ أو القرآنِ أو الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- ليكون المسلِم على حَذَرٍ مِن ذلك.

والاستِهزاء بالدِّين رِدَّةٌ عن الإسلامِ، وخُروجٌ عن الدِّينِ بِالكُلِّيَّة. قال اللّه تعالى:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) ﴾[التوبة: ٦٥ - ٦٦].

فهذه الآية تدلُّ على أنّ الاستهزاءَ باللّه كُفْر. وأنَّ الاستِهزاء بالرَّسول كُفر، وأنَّ الاستِهزاءَ بآيات اللّهِ كُفْر، فمَن استَهزأ بواحِدٍ مِن هذه الأمور فهو مُستَهْزِئٌ بجمِيعِها. والذي حَصَل مِن هؤلاء المنافقين أنهم استَهْزَءوا بِالرَّسولِ وصَحابَتِه فنَزلَت الآية. فالاستِهزاءُ بهذه الأمور مُتَلازِمٌ.

والاستِخفافُ بِتَوحِيدِ اللّهِ تعالى وتَعْظِيمِ دُعاءِ غيرِهِ مِن الأمواتِ كُفْرٌ. فمِن النّاسِ مَن إذا أُمِروا بِالتَّوحِيد ونهوا عن الشِّرْكِ اسْتَخَفُّوا بِذلك. كما قال تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)﴾[الفرقان: ٤١ - ٤٢]، فاستَهزؤوا بالرَّسول -صلى الله عليه وسلم- لَمَا نهاهُم عن الشّرك، وما زال المشركون يَعِيبُون الأنبياءَ ويصِفونهم بالسَّفاهَة والضَّلالِ والجنونِ إذا دَعَوْهُم إلى التَّوحيد؛ لِما في أنفسِهم مِن تَعظِيم الشِّرك. وهكذا تجِدُ مَن فيه شَبَهٌ مِنهم إذا رأى مَن يدعو إلى التَّوحِيد استَهْزأ

بِذلك لِما عندَه مِن الشِّرْكِ.

قال اللّه تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾[البقرة: ١٦٥].

فهؤلاءِ الذين اتخذوا القبورَ أوثاناً يستهزءون بما هو مِن توحيدِ اللّهِ وعبادَتِه، ويُعظِّمون ما اتخذوه مِن دون اللّه شفعاءَ، ويحلِفُ أحدُهم اليمينَ الغَمُوس كاذِباً، ولا يجتَرئُ أن يحلِفَ بِشَيْخِه كاذِباً. وكثيرٌ مِن أصحابِ تلك الطَّوائِفِ تَرى أحدَهُم يَرى أنَّ استِغاثَتَهُ بِالشَّيخِ إمّا عند قبره أو غير ذلك أنفَعَ له مِن أن يَدْعُوَ اللّهَ في المسجِد عند السَّحَرِ، ويَسْتَهْزِئ بمن يَعْدِل عن طَرِيقَتِه إلى التَّوحِيد. وكثيرٌ منهم يخرِّبون المساجِدَ ويَعمُرونَ المشاهِد [1]. فهل هذا إلّا مِن استِخفافِهم باللّهِ وبآياتِه ورسولِه وتعظِيمِهِم لِلشِّرك [2] وهذا كثيرٌ وُقوعُه في القُبورِيِّين اليومَ.

مِن صُورِ الاسْتِهْزاءِ:

ما ورد مِن قولِ مَن نزلت فيهم الآية السّابقة – من سورة التوبة –: ما رأينا مِثل قُرّائِنا هؤلاء أرغَب بُطوناً، ولا أكذَب ألسناً، ولا أجبن عند اللِّقاء، أو نحو ذلك مِن أقوالِ المستهزئين كقول بعضهم: إنَّ الإسلامَ يَصْلُح لِلقُرونِ الوُسْطى، وأنَّه تَأَخُّرٌ ورَجْعِيَّةٌ، وأنَّ فيه قَسْوَة ووحْشِيَّة في عُقوباتِ الحدودِ والتَّعازِير، وأنَّه ظَلَمَ المرأةَ حُقوقَها حيث أباحَ الطَّلاقَ وتَعَدُّدَ الزَّوجاتِ، وقولهم: الحكم بِالقَوانين الوَضْعِيَّة أحسَن لِلنّاسِ مِن الحكم بِالإسلامِ.

ومِن الاستهزاء: السُّخْرِية بمن يَدْعُو إلى التَّوحيد، أو بِمَن يُنْكِر عِبادَةَ الشِّرْكِ، أو يَأمُر بالمعروفِ أو ينهَى عن المنكر، ومنه أيضاً الاستِهزاء بِالسُّنَّةِ الظّاهِرَة كإعفاء اللِّحى وتَرْكِ الإسبالِ، ومثله السُّخرِيَّة والاستِهزاءُ بالحجابِ، سواء كان ذلك على جِهَةِ الجدِّ والقَصْدِ، أم الضَّحِكِ واللَّعِب، أم كان تَصريحاً واضِحاً، أو غَمْزاً، أو همزاً، أو لَمْزاً، فكلُّه داخِلٌ في الاستِهزاءِ المنهِيِّ عنه، وداخِلٌ في الوَعِيدِ الشَّدِيدِ.

---

(١) المشاهِد: القبور المبْنِيَّة.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٤٨ – ٤٩).

وقولُ الآخَر إذا رأى الآمِرينَ بالمعروف والنّاهين عن المنكر: جاءَكُم أهلُ الدِّين مِن باب السُّخْرِيَّة.

الأسئِلَة:

س١: ما حُكم الاستِهزاء بالدِّين، مع الاستِدلال على ذلك ؟

س٢: ما سبَب الاستِهزاء بالدِّين، مع ذكر الدليل؟

س٣: أُذكر خمسَ صُوَرٍ مِن صُوَرِ الاسْتِهزاءِ بِالدِّينِ.

الدرس الخمسون

ادِّعاءُ حَقِّ التَّشْرِيعِ والتَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ

التَّشْرِيعُ حَقٌّ للهِ تعالى:

تَشرِيعُ الأحكامِ التي يَسِير عليها العِباد في عِبادتهم ومُعاملاتهم وسائِر شُؤونِهم والتي تَفْصِل النِّزاعَ بينَهم وتُنْهِي الخصوماتِ حَقٌّ للهِ تعالى رَبِّ النّاسِ وخالِق الخلْقِ، ذلك لأنَّه – سُبحانه — هو الذي يَعْلَمُ ما يُصْلِحُ عِبادَهُ فيُشَرِّعْهُ لهم. فبِحُكْم رُبوبِيَّتِه لهم يُشَرِّع لهم، وبحُكْمِ عُبودِيَّتِهِم له يَقْبَلون أحكامَه، والمصلَحَة في ذلك عائِدَةٌ إليهِم، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) ﴾[النساء: ٥٩].

وقال تعالى:﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)﴾[الشورى: ١٠].

فالتَّحليل والتَّحريم حقٌّ للهِ تعالى لا يجوز لأحَدٍ أن يُشارِكَه فيه، قال تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾[الأنعام: ١٢١]، فجعل سبحانَه وتعالى طاعَة الشَّياطين وأوليائِهم في تحليل ما حرَّم اللهُ شِرْكاً بِه سبحانَه.

فيجِب على المسلِم أن يحذَر مِن التَّساهُلِ في إطلاقِ التَّحلِيلِ والتَّحريمِ بغيرِ عِلْمٍ ودَلِيلٍ، قال تعالى:﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) ﴾[النحل: ١١٦].

وقال تعالى في التَّحذيرِ مِن القَوْلِ بِلا عِلْمٍ في دِينِ اللهِ تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ

بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾[الأعراف: ٣٣]، واستنكَرَ سبحانَه أن يتَّخِذ العِبادُ مُشَرِّعاً غيرَه، فقال:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) ﴾[الشورى: ٢١].

حُكْمُ قَبولِ تَشْرِيعِ غيرِ اللهِ:

فمَن قَبِل تَشْرِيعاً غيرَ تَشْرِيعِ اللّهِ عالِماً بذلك مختاراً له غيرَ مُكْرَهٍ، أو مُضْطَرٍّ إليه، فقد أَشْرَك باللّهِ تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾[المائدة: ٥٠]. ولا يجوز لمخلوقٍ أن يُطِيعَ أحداً في تحريمِ ما أحلَّ اللهُ أو تحليلِ ما حرَّمَ اللهُ لقوله تعالى:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾[التوبة: ٣١]. ولَمّا سمع عَدِيّ بن حاتم الطّائي **رضي الله عنه** رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ هذه الآية، قال عَديّ: إنهم لم يعبُدوهُم، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" بلى إنهم حرَّموا عليهِم الحلالَ وأحلوا لهم الحرامَ فاتَّبعوهم، فذلك عِبادتهم إيّاهم "[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارَهم ورُهبانهم أرباباً حيث أطاعُوهم في تحليلِ ما حرَّمَ اللهِ، وتحريمِ ما أحلَّ اللهُ يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلَموا أنهم بدَّلوا دِينَ اللهِ فيتَّبِعونهم على التَّبديل، فيَعتَقِدون تحليلَ ما حرَّم الله، وتحرِيمَ ما أحلَّ اللهُ اتِّباعاً لِرُؤسائِهِم، مع عِلْمِهِم أنهم خالَفوا دِينَ الرُّسُلِ، فهذا كُفْر، وقد جعَلَه اللهُ ورسولُه شِركاً، وإن لم يكونوا يُصَلُّون لهم ويَسجُدون لهم، فكان مَن اتَّبَع غيرَه في خِلافِ الدِّين مع عِلْمِه أنّه خِلاف الدِّين مُشركاً، حيث اعتَقَد ما قاله ذلك، دون ما قال اللهُ ورسولُه.

والثاني: أن يكونَ اعتِقادُهم وإيمانهم بِتَحريمِ الحرامِ وتحليلِ الحلال ثابِتاً، لكنَّهم أطاعوهم في

([1]) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، رقم (٣٠٩٥)، وقال:" حسنٌ غرِيب "، ورواه الإمام أحمد، وحسَّنه الألباني.

مَعصِيَة اللهِ كما يفعلُ المسلِم ما يفعله مِن المعاصِي التي يعتقد أنها مَعاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم مِن أهل الذُّنوب، كما ثبت في الصَّحيح عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" إنما الطّاعَة في المعروف"، وقال -صلى الله عليه وسلم-:" على المسلِم السَّمع والطّاعَة فيما أحَبّ وكَرِهَ ما لم يُؤْمَر بمعصِيَة ".

وقال -صلى الله عليه وسلم-:" لا طاعَةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيَة الخالِقِ "، وقال -صلى الله عليه وسلم-:" مَن أمَرَكُم بمعصِيَةِ اللهِ فلا تُطِيعوه "[1].

وأمّا الأنظِمة التي يسنُّها وُلاةُ الأمرِ ولم يكُن فيها مخالَفَةٌ لأوامِر اللهِ ورسولِه مما يُقصَد بها تَنظِيم أُمورِ الرَّعِيَّة بما يجلِب لهم المصالح أويدفَع عنهم المفاسِد ويحفَظ حُقوقَهُم، فليس بمنهِيٍّ عنه شَرعاً، ولا يدخل في تَشرِيع ما لم يأذَن بِه الله، ويلزَم الرَّعِيَّة السَّمع والطّاعَة فيه، وتُعَدُّ مخالَفَتُه مَعْصِيَة.

وقد ذكر ابن القيِّم أنَّ السِّياسَة الشَّرعِيَّة هي: كلُّ فِعْلٍ يكون معه النّاسُ أقْرَبَ إلى الصّلاحِ، وأبعَدَ عن الفَسادِ، وإن لم يَضَعْهُ الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- ولا نَزَلَ بِه وَحْيٌ[2].

الأسئِلَة:

س١: مَن الذي يستَحِقّ أن يُشَرِّع الأحكامَ، وما الدَّليل على ذلك ؟

س٢: أكمِل ما يأتي:

أ- جَعلَ سبحانَه وتعالى طاعَة الشَّياطِين وأوليائِهم في تحلِيلِ ما حَرَّم.....

ب- مَن قَبِلَ تَشْريعاً غير تَشْرِيعِ اللهِ عالِماً بذلك غيرَ جاهِلٍ مختاراً له غَيْرَ مُكْرَهٍ أو مُضْطَرٍ إليه.....

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٧٠).

(٢) ينظر: الطرق الحكمية في السِّياسة الشَّرعيّة (ص ١٣).

ج- أنَّ ما لم يَشْرَعْه اللهُ ولا رسولُه في السِّياسَة والحكم بين النّاس ممّا يخالِف ما شَرَّعَه اللهُ ورسولُه فهو حُكْم.....

د- مَن أطاعَ مخلوقاً في تحرِيمِ ما أحَلَّ اللهُ أو تحلِيلِ ما حَرَّمَ اللهُ فلا يخلو مِن وَجْهَين.....

الدرس الحادي والخمسون

الحُكْمُ بِغَيْرِ ما أَنْزَلَ اللهُ

مِن مُقْتَضى الإيمانِ باللهِ تعالى وعِبادَتِه الخضوعِ لحكْمِهِ والرِّضا بِشَرْعِهِ والرُّجوعِ إلى كِتابِه وسُنَّةِ رَسولِه عند الاختِلاف في الأقوال وفي الأصول وفي الخصومات وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق. فإن اللّه هو الحكم وإليه الحكم. فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل اللّه. ووجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل اللّه في كتابه وسنة رسوله قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)﴾[النساء: ٥٨].

ويجِب على الرَّعِيَّة أن يَتحاكَمُوا إلى ما أَنْزَلَ اللهُ في كِتابِهِ وسُنَّةِ رسولِهِ -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [النساء: ٥٩].

التَّحاكُمُ إلى غيرِ ما أنزَلَ اللهُ يُنافِي الإيمانَ:

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) ﴾[النساء: ٦٠] إلى قوله تعالى:﴿﴾[النساء: ٦٠].

المُتَحاكِمُ إلى غَيرِ شَرْعِ اللهِ له ثلاث حالاتٍ:

الأولى: مَن تحاكَم إلى غيرِ شَرْعِ اللهِ رَغْبَةً عنه، ويَرى أنَّ ذلك سائِغٌ، وهو مختارٌ غيرُ مُكْرَهٍ، فهذا الفِعْلُ كُفْرٌ لا يجتَمِع مع الإيمانِ.

الثّانية: أن يعتَقِدَ وُجوبَ التَّحاكُمِ إلى شَرْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ، لكنَّه تحاكَم إلى غيرِهِ لهوى، أو

مُصانَعَةً لأحَدٍ، أو لِمَصلَحَةٍ يَطْلُبُها، مع إقرارِهِ أنَّه ارتَكَبَ مَعْصِيَةً يَسْتَحِقُّ معها العقوبَة، فهذا يُنافي الإيمان الواجِبَ ولكنَّه لا يَنْفِي الإيمانَ بِالكُلِّيَّةِ، أي: لا يعني زوالَ الإيمانَ بِالكُلِّيَّةِ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: ﴿ ﴾ : " فَمن لم يلتَزِم تحكيمَ اللهِ ورسولِه فيما شَجَر بينَهم فقد أقسَم اللهُ بنفسِه أنَّه لا يُؤْمِن، وأمّا مَن كان مُلتَزِماً بحكمِ الله ورسوله باطناً وظاهِراً ولكن عصى واتَّبَع هواه فهذا بمنزِلة أمثاله مِن العُصاة "[1].

الثالثة: مَن تحاكَم إلى غيرِ شَرْعِ الله مُكرهاً، أو جاهلاً، فلا يدخُل في أحكامِ الوَعِيد المتعلِّقة بمن تحاكَم إلى غيرِ شرع الله [2]، لقوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ﴾[النحل: ١٠٦].

عُمومُ التَّحاكُمِ بما أنزَلَ اللهُ في جَمِيعِ مَواطِنِ النِّزاعِ:

ولا بُدَّ مِن الحكم بما أنزَلَ اللهُ والتَّحاكُم إليه في جميعِ مَوادِّ النِّزاعِ في الأقوال الاجتِهاديَّة بين العلماء، فلا يُقبَل منها إلّا ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة مِن غيرِ تَعَصُّبٍ لِمَذْهَبٍ ولا تحيُّزٍ لإمامٍ.

حُكْمُ مَن حَكَمَ بغيرِ ما أَنْزَلَ اللهُ:

الحكْمُ بغيرِ ما أنزَلَ اللهُ نوعانِ:

النَّوع الأوّل: يكون الحكم بغيرِ ما أنزلَ اللهُ كفراً مخرِجاً مِن الملَّة إن اعتَقَد أنَّ الحكمَ بما أنزلَ الله غيرُ واجِبٍ، وأنَّه مخيَّر فيه، أو استَهان بحكمِ اللهِ، واعتَقَد أنَّ غيرَه مِن القَوانِينِ والنُّظُم

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/١٣١).

(٢) سئل الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله: ما حكم التَّحاكم إلى المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية؟ فأجاب: بقدر الإمكان لا يُتَحاكَم إليها، وأما إذا كان لا يمكِن أن يَسْتَخْلِص حقَّه إلّا عن طَرِيقِها فلا حرج عليه. فتاوى ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي (ص ٣٦٥)، السؤال رقم (٥٠).

الوضْعِيَّة أحسَن منه، وأنَّه لا يصلُح لهذا الزَّمان، أو أن تَطْبِيقَ بعضِ الحدودِ فيه قَسْوَةٌ ووَحْشِيَّة.

النَّوع الثّاني: يكون كُفْراً غير مخرجٍ مِن الملَّة إن اعتَقَد وُجوبَ الحكمِ بما أنزَلَ اللهُ، لكنَّه عَدَلَ عنه مع اعترافِه بأنَّه مُسْتَحِقٌّ لِلعُقوبَة؛ فهذا عاصٍ، ويسمَّى كافِراً كُفْراً أصغَر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾[المائدة: ٤٤] قال:" إنَّه ليس بِالكُفر الذي تذهَبون إليه، إنَّه ليس كُفراً يَنْقُلُ مِن الملَّة هو كُفْرٌ دون كُفْرٍ "[(١)]، وقال عطاء:" كُفْرٌ دون كُفْرٍ، وظُلْمٌ دون ظُلْمٍ، وفِسْقٌ دون فِسْقٍ "، وقال طاووس:" إنَّه ليس بِكُفْرٍ يَنْقُل مِن الملَّةِ "[(٢)].

هذا إذا كان عالِماً بحكمِ اللهِ تعالى في المسألة، أمّا لو جَهِلَ حكمَ اللهِ فيها مع بَذْلِ جُهْدِه واستِفراغ وُسْعِه في مَعرِفَة الحكم وأخطَأه فهذا مخطئٌ، له أجْرٌ على اجتِهادِه، وخَطَؤُهُ مَغْفُورٌ [(٣)].

سئِلَ الشَّيخ ابن باز رحمه الله كما في رسالة " حِوار حول مَسائِل التَّكفير " (ص ٢٠-٢٢) هذا السَّؤال: هل تَبدِيلُ القَوانِين يُعَدُّ كُفْراً مخرِجاً مِن الملَّةِ ؟

فكان جَوابُه رحمه الله: "... إذا استَباح الحكْمَ بِقانُونٍ غيرِ الشَّريعَة يكون كافِراً كُفراً أكبَر، أمّا إذا فعل ذلك لأسبابٍ خاصَّة عاصِياً للهِ مِن أجْلِ الرّشْوَة، أو مِن أجلِ إرضاءِ فُلانٍ أو فلانٍ، ويعلَم أنَّه محرَّمٌ يكون كُفراً دون كُفْرٍ ".

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ُّ ين بجَّ ّ بن ً قال: ليس كمَن كَفَرَ باللهِ، ولكنَّه كُفْرٌ دون كُفْرٍ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

(٢) ذكرهما ابن كثير في تفسيره (٣/١٢٠).

(٣) شرح الطحاوية صفحة (٣٦٣ - ٣٦٤).

الحَذَرُ مِن الحُكْمِ بغيرِ عِلْمٍ في دِينِ اللهِ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" فإنَّ الحاكِمَ إذا كان دَيِّناً لكنَّه حَكَمَ بغيرِ عِلْمٍ كان مِن أهلِ النّارِ، وإن كان عالِماً لكنَّه حَكَمَ بخلافش الحقِّ الذي يَعْلَمُه كان مِن أهلِ النّارِ، وإذا حَكَمَ بِلا عَدْلٍ ولا عِلْمٍ أولى أن يكونَ مِن أَهْلِ النّارِ"(١).

الأسئِلَة:

س١: هل يجتَمِع التَّحاكم إلى غيرِ ما أنزلَ اللهُ مع الإيمانِ. مع الاستِدلال على ذلك ؟

س٢: هل يكفي الحكُم في بعضِ مَوارِد النِّزاع أو القَضايا بما أنزل الله كالأحوال الشَّخصيَّة مع تركِ جَوانِب أخرى يُتَحاكَمُ فهيا إلى غيرِ شَرْعِ اللهِ ؟

(١) مجموع الفتاوى (٣٨٨/٢٥).

الدرس الثاني والخمسون

الانْتِماءُ إلى المَذاهِبِ الإلْحادِيَّةِ والمادِّيَّة

الانْتِماءُ إلى المذاهِب الإلحادِيَّة مع الاعتِقادِ بأُصولها المخالِفَة لِلدِّين، كالشُّيوعِيَّة والعِلمانِيَّة وغيرِهما رِدَّةً عن دِينِ الإسلامِ إذا كان المنتَمِي يَعْلَم بمخالَفَةِ أصولها وقَواعِدَها لِدِينِ اللهِ وضَرَرِها على الإسلامِ والمسلمين.

وقد أَمَرَ اللهُ بالانتِماءِ إلى المؤمنين:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾[التوبة: ١١٩].

وأما هذه المذاهِب الإلحادِيَّة فمَذاهِب فاسِدَةٌ؛ لأنها مُؤَسَّسَة على الباطِل، فالعِلمانية تَفْصِل الدِّين عن الحكم، والشُّيوعِيَّة تُنْكِر وُجودَ الخالِقِ سبحانَه وتعالى وتحارِبُ الأديان السَّماوِيَّة.

أما انتِماء المسلِم لِوَطَنِه وقَوْمِه وحُبِّه لهم ووَلاؤُه ونَصِيحَتُه لهم واجتِهادُه فيما يَنْفَعُهُم ويحقِّق اجتِماعَ كَلِمَتِهم فلا يَتَنافى مع حُبِّه إخوانه المسلمين في أنحاءِ الأرض، ولا يَهْدِر حُقوقَ الأُخُوَّة الإسلاميَّة بينَه وبين المسلمين قاطِبَةً، وفي هذا رَدٌّ عَمَلِيٌّ على أولئِك الذين يَسْعَوْنَ إلى تَفريق المسلمِين إلى جماعاتٍ وأحزاب لا يجوز لِلمُسلم أن يتَعَصَّب لها؛ لأنَّ الإسلامَ يَرْفُض العَصَبِيّات والنَّعرات الجاهِلِيَّة يقول تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾[الحجرات: ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنَّه قال:" مَن خَرَجَ مِن الطّاعَةِ وفارَقَ الجماعَة فَمَات، ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً، ومَن قاتَل تحت رايَةٍ عُمِّيَّة يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أو يدعو إلى عَصَبَةٍ، أو يَنْصُر عَصَبَةً فَقتل فَقِتْلَة جاهِلِيّةً، ومَن خَرَج على أُمَّتي يَضرِبُ بِرَّها وفاجِرَها ولا يَتَحاش عن مُؤمِنها، ولا يَفِي لذِي عَهْدٍ عَهْدَه فليس مِنِّي ولست منه"[(١)]، وعنه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم (١٨٤٨).

أيضاً قال –صلى الله عليه وسلم–:"قد أذهَب اللهُ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهِلِيَّةِ وفَخْرَها بِالآباءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وفاجِرٌ شَقِيٌّ، والنّاس بنو آدَم، وآدَمُ مِن تُرابٍ "[1].

أثَر الحِزْبِيّات في تَفْرِيقِ المُسلِمِينَ:

الأصلُ أنَّ المسلِمين أُمَّة واحِدَةٌ كما أخبَر اللهُ عزَّ وجلّ:﴿ إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾[الأنبياء: ٩٢].

فلا يجوزُ أن يَتَفَرَّق المسلِمون تحت شِعاراتٍ حِزْبِيَّةٍ أو عَصَبِيَّةٍ أو مادِيَّةٍ أو غيرِها ولو تَسَمَّتِ بِالإسلامِ فَيُعادِي بعضُهُم بَعْضاً، ولا يُوالي أحَدُهُم ولا يحِبُّ إلّا مَن كان مُنْتَمِياً إلى حِزْبِهِ أو جماعَتِه، فتَراه يَسْتَبِيحُ غَيْبَة مخالِفِه وسُوءِ الظَّنِّ بِه، ولا شَكَّ أنَّ ذلك مما نهى اللهُ عنه في قوله عز وجل:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾[آل عمران: ١٠٣]، وقوله:﴿) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾[الروم: ٣١ – ٣٢]، فالمسلمون يجمعهم الصراط المستقيم، وعماده الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة:﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾[الأنعام: ١٥٣].

وحَسْبُ المسلِمِين مِن آثارِ الحزْبِيَّة والتَّفرُّقِ إلى جماعاتٍ وأحزابٍ أن تَذْهَب ريحُهُم ويَطْمَع فيهِم عُدُوّهُم، وتَضْعُف شَوكَتُهُم، وتَتَفَرَّق صُفوفُهم، وتَتَبَدَّد طاقاتهم، وتختَلِف كَلِمَتُهم، ويَضْعُف وَلاء بعضِهم لبعضٍ، وغيرها مِن المفاسِد التي هي مِن أهمِّ أسبابِ ما آلَ إليه حال المسلمين اليوم.

وأصبَحت شُعوبُه تَنْدَفِع اندِفاعاً غَريباً إلى إحياءِ هذه العَصَبِيّات التي أماتها الإسلامُ،

---

(١) رواه الترمذي في سننه،كتاب المناقب باب: فضل الشام واليمن، وأبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب: في التَّفاخُر بالأحسابِ واللَّفظ لِلتِّرمذي.

والتَّغَنِّي بها، وإحياءِ شَعائِرها، والافتِخارِ بعهدها الذي تقدَّم على الإسلامِ، وهو الذي يُلِحُّ الإسلامُ على تَسْمِيَتِه بالجاهِلِيَّة، وقد مَنَّ اللهُ على المسلمين بالخروجِ عنها وحَثّهم على شُكْرِ هذه النِّعْمَةِ.

والطَّبِيعِيّ مِن المؤمِن أن لا يَذْكُر جاهِلِيَّة تَقادَم عَهْدُها أو قارَبَ إلّا بمقتٍ وكراهِيَّةٍ وامْتِعاضٍ واقْشِعرارٍ، وهل يذكر السَّجِين المعَذَّب الذي يُطْلَق سَراحُه أيّام اعتِقالِه وتَعْذِيبِه وامتِهانِه إلّا واعْتَرَتْه قُشْعَرِيرَةٌ، وهل يذكُر البَرِيءُ مِن عِلَّةٍ شَدِيدة طَوِيلة أشرْف منها على الموت أيّام سَقَمْه إلّا وانكَفَّ بالُه وانتَقَع لَوْنُه [1].

والواجِب أن يُعْلَم أنَّ هذه الحزبِيّات عَذابٌ بَعَثَه اللهُ على مَن أعرَضَ عن شَرْعِه وتَنَكَّر لِدِينشه كما قال تعالى:﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) ﴾[الأنعام: ٦٥].

والتَّعصُّب لِلحزبِيّات سَبَبٌ لِرَفْضِ الحقِّ الذي مع الآخَرين، كحالِ اليهود الذي قال الله فيهم:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)﴾[البقرة: ٩١].

وكحالِ أهل الجاهِلِيَّة الذين رَفَضُوا الحقَّ الذي جاءَهُم بِه الرَّسول –صلى الله عليه وسلم– تَعَصُّباً لِما عليه آباؤُهم:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾[البقرة: ١٧٠].

ويَرِيد أصحابُ هذه الحزبِيّات أن يجعَلوها بَدِيلَةً عن الإسلامِ الذي مَنَّ اللهُ بِه على البَشَرِيَّة.

الأسئِلَة:

س١: ما حُكْمُ انتِماءِ مَن يدَّعِي الإسلامَ إلى المذاهِب الإلحادِيَّة مع الدَّلِيلِ على ذلك ؟

---

(١) مِن رسالة:" ردة ولا أبابكر لها " لأبي الحسن النَّدوي.

س٢: اكتُب نُبْذَةً قَصِيرَةً عن كلٍّ مِن:

١- الشُّيوعِيَّةُ.

٢- العِلْمانِيَّةُ.

٣- الرّأسمالِيَّةُ.

س٣: ما حُكْم الانتِماء لِلأحزابِ الجاهِلِيَّة والقَومِيات العُنْصُرِيَّة مع الدَّلِيلِ على ذلك ؟

س٤: ما أَثَر الحزبِيات في تَفْرِيق المسلِمِين ؟

الدرس الثالث والخمسون

النَّظَرِيَّةُ المادِيَّة لِلحَياةِ

هناك نَظْرتان لِلحَياة، نَظْرَةٌ مادِيَّة لِلحَياةِ، ونَظْرَةٌ صَحِيحَة، ولكلٍّ مِن النَّظرَتَيْنِ آثارُها:

(١) **فالنَّظْرَةُ المادِيَّة لِلحَياةِ معناها:** أن يكونَ تَفْكِير الإنسانِ مَقصوراً على تحصِيلِ مَلَذّاته العاجِلة، ويكون عمَلُه محصوراً في نِطاقِ ذلك، فلا يتَجاوَز تفكيره ما وراء ذلك مِن العَواقب، ولا يعمَل له، ولا يهتَمُّ بِشأنِه، ولا يعلَم أنَّ اللهَ جعل هذه الحياة الدُّنيا مزرَعَة للآخِرَة، فجعل الدُّنيا دارَ عَمَلٍ، وجَعَل الآخِرَة دارَ جَزاء. فمَن استغلَّ دُنياه بالعمَل الصّالح رَبِحَ الدّارَيْنِ، ومَن ضَيَّع دُنْياه ضاعَت آخِرَتُه:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١)﴾[الحج: ١١]، فالله لا يخلُق هذه الدُّنيا عَبَثاً؛ بل خَلَقَها لحكْمَةٍ عَظِيمَةٍ، قال تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)﴾[الملك: ٢]، وقال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)﴾[الكهف: ٧]، أوجَد سبحانَه في هذه الحياة مِن المتَع العاجلة والزِّينة الظّاهرة مِن الأموال والأولاد والجاه والسُّلطان وسائِر المستلذّات ما لا يعلَمه إلّا الله.

فمِن النّاس – وهم الأكثر – مَن قَصرَ نَظَرَهُ على ظاهِرها ومَفاتِنِها، ومَتَّع نفسَه بها ولم يتأمَّل في سِرِّها، فانشَغل بتَحصِيلِها وجمعِها والتَّمتُّع بها عن العَمَلِ لِما بعدَها؛ بل أنكَرَ أن يكون هناك حَيَاةٌ غيرها كما قال تعالى:﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩)﴾[الأنعام: ٢٩].

الوَعِيدُ لأصحابِ النَّظْرَةِ المادِيَّةِ:

وقد تَوَعَّدَ الله تعالى مَن هذه نَظْرَتُه لِلحَياةِ، فقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا

وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾[يونس: ٧ - ٨].

وقال تعالى:﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾[هود: ١٥ - ١٦].

وهذا الوَعِيدُ يشمَل أصحابَ هذه النَّظرَةِ، سواء كانوا مِن الذين يعمَلون عمَل الآخِرة يريدون بِه الحياةَ الدُّنيا كالمنافقين والمرائين بأعمالهم، أو كانوا مِن الكُفّار الذين لا يُؤمِنون بِبَعثٍ ولا حِسابٍ، كحالِ أهل الجاهليَّة والمذاهِبِ الهدَّامَة مِن رأسماليَّة وشيوعِيَّة وعِلمانِيَّة إلحادِيَّة، وأولئك لم يعرفوا قَدْرَ الحياةِ ولا تعدو نظرتهم بها أن تكونَ كَنَظْرَةِ البَهائِم؛ بل هم أضَلُّ سبيلاً، لأنهم ألغَوا عُقولهم وسَخَّروا طاقاتهم وضيَّعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم ولا يَبْقُونَ له، ولم يعملوا لمصيرِهم الذي ينتظِرُهم ولا بدَّ لهم منه، والبَهائِم ليس لها مصيرٌ ينتظِرها وليس لها عُقولٌ تُفَكِّر بها بخلافِ أولئِك، ولهذا يقول تعالى فيهم:﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾[الفرقان: ٤٤].

العِلْمُ الحَقِيقِيّ:

العِلْمُ الحقِيقِيّ: هو العِلْمُ بِاللهِ تعالى، وما يجِب له على عِبادِهِ، مما يكون به سَعادَةُ الإنسانِ في الدُّنيا ونجاتِه في الآخِرَة، وهذا لا يكون إلّا لأهلِ العِلْمِ بِشَرِيعَةِ اللهِ تعالى.

أمّا مَن كَفَر باللهِ تعالى، ولم يُؤَدّ حقوقَ اللهِ عليه فلا يَسْتَحِقُّ أن يوُصَفَ بِالعِلْمِ بإطلاقٍ فيُقال: العالم فُلان، وإن صاحَبَ عِلْم وخِبْرة في المخترَعات والصِّناعات والعُلوم المادِيّة البَحْتَة، وإنما يُوصَف بِالعِلْم مُقَيّداً، فيُقال عالم الذَّرَّة فُلان، وعالم الكِيمياء فلان ونحو ذلك، والدَّليل على ذلك قول الله تعالى:﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾[الروم: ٦- ٧].

فوَصَفَ الكُفّارَ بِعَدَمِ العِلْمِ مع أنهم يعلَمون ظاهِراً مِن الحياة الدُّنيا، بينَما أطلَقَ اللهُ وَصْفَ

العُلماءِ على أهل مَعْرِفَتِه وخَشْيَتِهِ، فقال سبحانه:﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾[فاطر: ٢٨].

ومِن النَّظْرَةِ المادِيَّة لِلحياةِ الدُّنيا ما ذكَره في قِصَّة قارون وما آتاهُ الله مِن الكُنوزِ، قال تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) ﴾[القصص: ٧٩].

فتَمَنَّوا مِثْلَه وغَبطوهُ ووصَفُوه بِالحظِّ العظِيم بناءً على نظرتهم المادِيَّة، وهذا كما هو الحال الآن في الدُّول الكافِرة وما عندها مِن تَقَدُّمٍ صِناعِيٍّ واقتِصادِيٍّ، فإنَّ ضِعافَ الإيمان من المسلمين ينظرون إليهم نَظْرَةَ إعجابٍ دون نَظَرٍ إلى ما هم عليه مِن الكُفْرِ وما يَنتَظِرهم مِن سُوءِ المصِير، فتَبْعَثُهم هذه النَّظرَة الخاطِئة إلى تعظِيم الكفّار واحترامِهم في نفوسِهم، والتَّشبُّه بهم في أخلاقِهم وعاداتهم السَّيِّئَة، ولم يقلِّدوهم في الجدِّ وإعداد القُوَّةِ والشَّيءِ النّافِعِ مِن المخترَعات والصِّناعات.

(ب) النَّظرَةُ الصَّحِيحَة لِلحَياةِ:

هي أن يعتَبِر الإنسانُ ما في هذه الحياة مِن مالٍ وسُلطانٍ وقوى مادِيَّة وَسِيلَةً يُستَعان بها لعَمَلِ الآخِرة، فالدُّنيا في الحقيقة لا تُذَمّ لِذاتها، وإنما يَتَوَجَّه المدح والذَّمّ إلى فِعْلِ العَبْدِ فيها، فهي قَنْطَرَةٌ ومَعْبَرٌ لِلآخِرَة، ومنها زاد الجنَّة، وخير عَيْشٍ يَنالُه أهل الجنَّة إنما حَصَل لهم بما زَرَعُوه في الدُّنيا.

فالدُّنيا دارُ الجهادِ والصَّلاة والصِّيام والإنفاقِ في سبيل اللهِ، ومِضمارٌ التَّسابِقُ إلى الخيرات. يقول اللّه تعالى لأهل الجنَّة:﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾[الحاقة: ٢٤]، يعني الدُّنيا.

الأسئِلَة:

س١: ما معنى النَّظرة المادِيَّة لِلحياةِ وما مفاسِدها ؟، وما النَّظرة الصَّحِيحِة لها مع ذكْرِ الأدِلَّة على ذلك ؟

س٢: هل الدُّنيا تُذَمُّ لِذاتها، ولماذا ؟

س٣: بم تَوَعَّد اللهُ أصحابَ النَّظرة المادِيَّة للحياة مع الدَّليل ؟

س٤: ما الدَّليل على نَفْيِ اللهِ العِلْمَ عن أصحابِ النَّظرَةِ المادِيَّة، وكيف تجمَع بين ذلك وبين خِبْرتهم في الصِّناعات والمختَرعاتِ ؟

س٥: ما المقصود بِالعِلْمِ الحقَيقِيِّ مع الدَّلِيلِ ؟

الدرس الرابع والخمسون

التَّوَسُّلُ بِغَيْرِ اللهِ والاسْتِغاثَةُ بِالمَخلُوقِ

(أ) التَّوَسُّلُ:

التَّوَسُّل: هو التَّقَرُّبُ إلى الشَّيْءِ والتَّوَصُّلُ إليهِ، والوَسِيلَة: القُرْبَةُ، قال اللّه تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) ﴾[المائدة: ٣٥]، أي: القُرْبَةُ إليه سبحانَه بِطاعَتِهِ واتِّباعِ مَرْضاتِهِ.

أقسامُ التَّوسُّلِ:

التَّوسُّل قِسمان:

القِسْمُ الأوّل: تَوسُّلٌ مَشْرُوعٌ، وهو أَنْواعٌ:

النَّوع الأوَّل: التَّوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بأسمائِهِ وصِفاتِه، كما أمرَ تعالى بذلك في قولِه:﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾[الأعراف: ١٨٠].

النَّوع الثّاني: التَّوسُّلُ إلى اللهِ تعالى بالإيمانِ والأعمالِ الصّالحة التي قام بها المُتَوَسِّل، كما قال تعالى عن أهلِ الإيمانِ:﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) ﴾[آل عمران: ١٩٣].

وكما في حديثِ الثَّلاثَة الذين انْطَبَقَت عليهِم الصَّخْرَة فسَدَّت عليهِم بابَ الغارِ، فلم يَسْتَطِيعوا الخروجَ، فتَوَسَّلوا إلى الله بصالح أعمالهم، ففَرَّجَ الله عَنْهُم [1].

([1]) انظر: صحيح البخاري (٣٧/٣)، كتاب البيوع، باب إذا اشترى لغيره بغير إذنه فرضي، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، رقم (٢٧٤٣).

النَّوع الثّالِث: التَّوَسُّل إلى اللهِ تعالى بِتَوحِيدِهِ، كما تَوَسَّلَ يونُس عليه السَّلام:﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧].

النَّوع الرّابع: التَّوسُّل إلى اللهِ تعالى بإظهارِ الضَّعْفِ والحاجَةِ والافْتِقارِ إلى اللهِ، كما قال أيوب عليه السَّلام:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) ﴾[الأنبياء: ٨٣].

النَّوع الخامِس: التَّوسُّل إلى الله بِدُعاءِ الصّالحين الأحياءِ، وكما كان الصَّحابَة إذا أجْدَبُوا طَلبوا مِن النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– أن يَدْعُو اللهَ لهم، ولَمّا تُوَفِي صاروا يَطلبُون مِن عَمِّه العباس**رضي الله عنه** فيدعو لهم [1] .

النَّوع السّادِس: التَّوسُّل إلى الله بِالاعتِراف بِالذَّنْبِ:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[القصص: ١٦]، وقال تعالى حكاية عن آدم وزوجه:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾[الأعراف: ٢٣].

القسم الثّاني: تَوَسُّلٌ مَمْنوعٌ:

وهو التَّوَسُّل بما عدا الأنواعِ المذكورة في التَّوسُّلِ المشروع، كالتَّوَسُّل بِطَلَبِ الدُّعاءِ والشَّفاعَةِ مِن الأموات، والتَّوسُّل بجاهِ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، والتَّوسُّل بِذَوات المخلوقين أو حَقِّهِم، وتَفصِيل ذلك كما يلي:

١ – طَلَبُ الدُّعاءِ مِن الأَمْواتِ:

وهذا لا يجوز؛ لأنَّ الميِّتَ لا يَقْدِر على الدُّعاءِ، كما كان يَقْدِر عليه في الحياة، وطَلَبُ الشَّفاعَةِ مِن الأمواتِ لا يجوز؛ لأنَّ عمرَ بن الخطّاب ومُعاوِيَة بن أبي سفيان ومَن بحضرَتِهما مِن الصَّحابَة والتّابعين لهم بإحسانٍ لِمَا أجدَبوا اسْتَسْقوا وتَوسَّلوا واسْتَشْفَعوا بمن كان حيّاً، كالعبّاس وكيَزيد بن الأسود، ولم يتَوسَّلوا ولم يَسْتَشْفِعوا ولم يَسْتَسْقوا بِالنَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– لا

---

(1) رواه البخاري في صحيحه.

عند قَبرِهِ ولا عند غَيرِهِ، بل عَدَلوا إلى البَدَلِ كالعبّاس ويَزِيد، وقد قال عمر: اللَّهم إنّا كنّا نَتَوَسَّل إليك بِنَبِيِّنا فَتَسْقِينا وإنّا نَتَوَسَّل بِعَمِّ نَبِيِّنا فاسْقِنا، فجَعلوا هذا بَدَلاً مِن ذلك لَمّا تَعَذَّرَ أن يَتَوَسَّلوا بِه على الوجه المشروعِ الذي كانوا يفعَلُونَه.

وقد كان مِن الممكِن أن يأتوا إلى قبرِهِ فيتَوسَّلوا بِه يعني [1]. لو كان جائزاً. فتَرْكُهُم لذلك دَلِيلٌ على عَدَمِ جَوَازِ التَّوسُّلِ بِالأمواتِ، لا بِدُعائِهِم ولا بِشَفاعَتِهِم، فلو كان طَلَبُ الدُّعاءِ منه والاسْتِشْفاع بِه حَيّاً ومَيِّتاً سواءً لم يَعْدِلوا عنه إلى غيرِه مِمَّن هو دُونَه.

٢ – التَّوسُّل بِجاهِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– أو بِجاهِ غيرِهِ لا يَجُوز:

حُكْمُه: لا يجوزُ؛ لأنَّه لا يَصِحّ فيه دَلِيلٌ، وهو عِبادَةٌ والعِباداتُ لا تَثْبُت إلّا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ وصَرِيحٍ.

وأمّا الحديث الذي فيه:" إذا سَأَلْتُمُ اللهَ فاسألُوه بجاهِي، فإنَّ جاهِي عند اللهِ عَظِيمٌ " فهو حَدِيثٌ مَكذوبٌ ليس في شَيْءٍ مِن كُتُبِ المسلِمِين التي يُعْتَمَد عليها، ولا ذَكَرَه أحَدٌ مِن أهلِ العِلْمِ بالحدِيثِ [2].

وإذا كان هذا في حقِّ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– وهو أشَرَفُ الخلقْ، فغَيْرُه مِن بابِ أولى.

٣ – التَّوسُّلُ بِذَواتِ المَخلوقِينَ:

حكمُه: لا يجوزُ، لِعَدَمِ وُرُودِ ما يَدُلُّ على ذلك، والتَّوسُّل عِبادَةٌ، والعِبادَة يُتَوَقَّفُ فيها عند النَّصِّ، ثم إنَّ المتَوسِّل بِذاتِ المخلوقِ إن كان يَقْصِد بِالباء في قوله: أسألك بِذات فلانٍ القَسَم فهو إقسام بِهِ على اللهِ تعالى، وإذا كان الإقسامُ بالمخلوقِ على المخلوقِ لا يجوزُ ويُعَدُّ شِرْكاً كما في الحديث:" مَن حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد كَفَر أو أشْرَك "[3]، فكيف بِالإقسامِ بالمخلوقِ على الخالِق جلَّ وعَلا.

وإن كانت الباء لِلسَّبَبِيَّة، فالله سبحانَه لم يجعَل السُّؤالَ بالمخلوقِ سَبَباً للإجابَةِ، ولم يَشْرَعْه

---

(1) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨).

(2) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١٩).

(٣) سبق تخريجه.

لِعِبادِه.

٤ – والتوسل بحق المخلوق:

لا يجوز لأَمْرَيْن:

الأوَّل: أنَّ اللهَ سبحانَه لا يجِب عليه حَقٌّ لأحَدٍ، وإنما هو الذي يَتَفَضَّل سبحانَه على المخلوقِ بِذلكِ، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾[الروم: ٤٧]، فكَوْنُ المطِيعِ يَسْتَحِقُّ الجزاءِ هو اسْتِحقاقُ فَضْلٍ وإنْعامٍ، وليس هو اسْتِحْقاقُ مُقابَلَةٍ، كما يَسْتَحِقُّ المخلوقُ على المخلوقِ.

الثّاني: أنَّ هذا الحقَّ الذي تَفَضَّل اللهُ بِه على عَبْدِهِ هو حَقٌّ خاصٌّ بِه لا عَلاقَة لغيرِهِ بِه، فإذا تَوَسَّل بِه غيرُ مُسْتَحِقِّهِ كان مُتَوسِّلاً بأَمْرٍ أجنَبِيٍّ لا عَلاقَة له بِه، وهذا لا يُجْدِيهِ شَيْئاً.

وأمّا الحدِيث الذي فيه:" أسأَلُكَ بحقِّ السّائِلِين "[1] فهو حديث لم يَثْبُت؛ لأنَّ في إسنادِه عَطِيَّة العَوفي وهو ضَعِيفٌ مجمَعٌ على ضَعْفِه، كما قال بعض المحدِّثين، وما كان كذلك فإنَّه لا يحتَجُّ بِه في هذه المسألة المهِمَّة مِن أُمورِ العَقِيدَة، ثم إنَّه ليس فيه تَوَسُّلٌ بحقِّ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ، وإنما فيه التَّوسُّلُ بحقِّ السّائلين عُموماً، وحَقُّ السّائِلِينَ الإجابَة كما وَعَدَهُم اللهُ بذلك، وهو حَقٌّ أوجَبَهُ على نَفْسِه لهم لم يُوجِبْه عليه أَحَدٌ، فهو تَوَسُّلٌ بِوَعْدِهِ الصّادِقِ لا بحقِّ المخلوقِ.

(ب) حُكْمُ الاستِعانَة والاستِغاثَةِ بِالمَخلُوقِ:

الاستِعانَة: طَلَبُ العَوْنِ والمؤازَرَةِ في الأَمْرِ.

والاسْتِغاثَة: طَلَبُ الغَوْثِ، وهو إزالَة الشِّدَّةِ.

فالاستِعانَة والاستِغاثَة بالمَخلوقِ على نَوْعَيْنِ:

النَّوع الأوَّل: الاستِعانَة والاستِغاثَة بِالمخلوقِ فيما يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وهذا جائِزٌ.

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾[الروم: ٤٧]، وقال تعالى:﴿

([1]) رواه أحمد في المسند (٢١/٣)، وابن ماجه في السنن، كتابالمساجد والجماعات، رقم (٧٧٨).

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) ﴾[القصص: ١٥]، وكما يَسْتَغِيثُ الرَّجُل بأصحابِه في الحربِ وغيرِها ممّا يقدِر عليه المخلُوقُ.

النَّوع الثّاني: الاستِغاثَة والاسْتِعانَة بالمخلوقِ فيما لا يَقْدِرُ عليه إلّا اللهُ، كالاسْتِعانَة بالأمواتِ، والاسْتِغاثَة بِالأحياءِ، والاستِعانَةِ بِهِم فيما لا يَقْدِر عليه إلّا اللهُ مِن شِفاءِ المرضى وتَفْرِيجِ الكُرباتِ ودَفْعِ الضّرِّ.

فهذا النَّوع غيرُ جائِزٍ، وهو شِرْكٌ أكبَر – وقد أَمَر النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– ابنَ عباسٍ رضي الله عنه في وَصِيَّتِه له أن يتَّجِه بِالسُّؤالِ والاستِعانَة وطَلَبِ دَفْعِ الضّرِّ إلى اللهِ وَحْدَه، فقال –صلى الله عليه وسلم–:" إذا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِن باللهِ "[1].الحديث.

الأسئِلَة:

س١: عَرِّف التَّوَسُّلَ، وما المراد بِالوَسِيلَة مع الدَّلِيلِ على ذلك ؟

س٢: أُذكر أنواعَ التَّوسُّلِ المشروعِ مِن خِلالِ النُّصوصِ والآثارِ التّالية:

١– قال تعالى:﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٢– قال تعالى:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) ﴾[الأنبياء: ٨٣].

٣– حديث الثَّلاثَة الذين انطبَقَت عليهم الصَّخرة فسَدَّت باب الغارِ فلم يستطيعوا الخروجَ.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٦٦٧/٤)، وقال:" هذا حديث حَسَن صحِيح "، ورواه أحمد في مسنده (٢٩٣/١، و٣٠٧)، قال أحمد شاكر:" إسناده صحيح ". وقد شرح هذا الحديث الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتاب باسم " نور الاقتباس شرح وصيَّة النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم لابن عباس ".

٤- قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)﴾[القصص: ١٦].

٥- قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾[الأعراف: ١٨٠].

٦- كان الصَّحابة إذا أجدَبوا طَلَبُوا مِن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أن يَدْعُو لهم، ولَمّا تُوَفِّيّ صاروا يَطْلُبونَ مِن عَمِّه العبِاس رضي الله عنه فيَدْعُو لهم.

س٣: بيِّن الحكْمَ فيما يأتي مع التَّعلِيلِ والاسْتِدلالِ:

أ- طَلب الدُّعاءِ مِن الأمواتِ.

ب- التَّوسُّل بجاهِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

ج- التَّوسُّل بذاتِ المخلوقين.

د- التَّوسُّل بحقِّ المخلوقِ.

س٤: ما المراد بالاستِعانَة والاستِغاثَة ؟

س٥: بيِّن الحكمَ فيما يأتي مع الاستِدلال:

أ- الاستِغاثَة والاستِعانَة بالمخلوقِ فيما يقدشر عليه.

ب- الاستِغاثَة بالأمواتِ.

ج- الاستِعانَة بالأحياءِ فيما لا يقدر عليه إلّا الله.

الدرس الخامس والخمسون
تَعْرِيفُ البِدْعَةِ، وأنواعُها وأحكامُها

(١) تَعريفُها:

البِدْعَة في اللُّغَةِ: مأخوذَةٌ مِن البَدْعِ، وهو: الاختِراع على غَيرِ مِثالٍ سابِقٍ، ومنه قوله تعالى:﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) ﴾[البقرة: ١١٧]، أي: مخترِعُها على غَيرِ مثالٍ سابِق، قوله تعالى:﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩) ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي: ما كنت أوَّلَ مَن جاءِ بِالرِّسالَة مِن اللهِ إلى العباد، بل تَقَدَّمني كثِيرٌ مِن الرُّسُل، ويقال: أبدعَ فُلانٌ بِدْعَةً، يعني ابتَدَأَ طَرِيقَةً لم يُسْبَق إِلَيْها.

البِدْعَة في الشَّرعِ: ما أُحْدِثَ في الدِّين على خِلافِ ما كان عليه النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وأصحابُه مِن عَقِيدَةٍ وعَمَلٍ.

أقسام الابتِداع:

والابْتداع على قِسْمَيْنِ:

ابتِداعٌ في العادات: كابتِداع المخترعاتِ الحدِيثة، وهذا مباحٌ؛ لأنَّ الأصلَ في العادات الإباحَة.

وابتِداع في الدِّين، وهذا محرَّم؛ لأنَّ الأصلَ فيه التَّوقُّف، قال -صلى الله عليه وسلم-:" مَن أحدَث في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ "[١].

وفي رواية:" مَن عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أَمرُنا فهو رَدٌّ "[٢].

أنْواعُ البِدَعِ:

البَدْعَةُ نَوْعانِ:

([١]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، رقم (٢٥٥٠)، وفي مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية رقم (١٧١٨).

([٢]) تقدم تخريجه.

النَّوع الأوَّل: بِدْعةٌ قَولِيَّةٌ اعتِقادِيَّة: كمَقالاتِ الجهمِيَّة والمعتَزِلَة والرّافِضَة وسائِر الفِرَقِ الضّالَّة واعتِقاداتهم.

النَّوع الثّاني: بِدْعَة عَمَلِيَّة: كالتَّعبُّد للّهِ بِعبادَةٍ لم يَشْرَعْها، وهي أقسام:

١- ما يكون في أَصْلِ العِبادَةِ: بأن يحدِثَ عِبادَةً ليس لها أَصْلٌ في الشَّرع، كأن يحدِثَ صَلاةً غيرَ مَشروعَةٍ أو صِياماً غيرَ مَشروعٍ أَصْلاً أو أَعياداً غيرَ مشروعَةٍ كأعيادِ الموالِدِ وغَيرِها.

٢- ما يكون مِن الزِّيادَةِ في العِبادَة المشروعة، كما لو زاد رَكْعَةً خامِسَة في صلاة الظُّهر أو العصر مثلاً.

٣- ما يكون في صِفَةِ أداءِ العِبادَةِ المشروعَة، بأن يُؤَدِّيها على صِفَةٍ غيرِ مَشروعَةٍ، وذلك كأداء الأذكارِ المشروعَة بِأصواتٍ جماعِيَّة مُطْرِبَة، وكالتَّشدِيدِ على النَّفسِ في العِبادات إلى حَدٍّ يخرج عن سُنَّةِ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-.

٤- ما يكون بِتَخْصِيصِ وَقْتٍ لِلعِبادَةِ المشروعَة لم يخصِّصْه الشَّرع، كتَخصِيصِ يوم النِّصْف مِن شَعبان وليله بِصِيامٍ وقِيامٍ، فإنَّ أصلَ الصِّيامِ والقِيامِ مَشروعٌ، ولكنّ تخصِيصَه بِوَقْتٍ مِن الأوقاتِ يحتاج إلى دَلِيل.

حُكْمُ البِدْعَةِ في الدِّينِ بِجَمِيعِ أنواعِها:

كلُّ بِدْعَةٍ في الدِّين فهي محرَّمَة وضَلالَة، لقوله -صلى الله عليه وسلم-:" وإيّاكم ومحدَثاتِ الأُمور، فإنَّ كلَّ محدَثَةٍ بِدْعَة، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة "[1]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-:" مَن أحدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ" [2]، فكلُّ مَن أحدَث شيئاً ونَسَبَه إلى الدِّين ولم يكن له أصلٌ مِن الدِّين يَرجِع إليه فهو ضَلالَةٌ. والدِّين بَرِيءٌ منه، سواء في ذلك مَسائِل الاعتِقادات أو الأعمالِ أو الأقوالِ الظّاهِرَةِ والباطِنَة. انتهى [3].

حُجَّة أصحابِ هذا التَّقسِيمِ والرَّدّ عليهِم:

([1]) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، رقم (٢٦٧٦).

([2]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، رقم (٢٥٥٠)، ومسلم في كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

([3]) جامع العلوم والحكم (ص ٢٣٣).

قسَّم بعضُهم البِدَع إلى قِسمَين: حَسَنة وسَيِّئَة، وليس لهم حُجَّة على أنَّ هناك بِدْعَةً حَسَنَةٌ إلّا قولَ عُمَر **رضي الله عنه** في صَلاة التَّراوِيحِ:" نِعْمَت البِدْعَة هذه ".

وقالوا أيضاً: إنها أُحدِثَت أشياء لم يَسْتَنْكِرْها السَّلَف كجَمْعِ القُرآنِ في كتاب واحِدٍ، وكِتابَة الحدِيثِ وتَدوِينِهِ.

والجواب عن ذلك: أنَّ هذه الأُمورَ لها أصل في الشَّرع فليسَت محدَثَةً، وأمّا قَوْل عُمَر رضي الله عنه:" نَعْمَت البِدْعَة"، فهو محمولٌ على إرادَتِه البِدْعَة اللُّغَوِيَّة لا الشَّرعِيَّةَ، فما كان له أصلٌ في الشَّرع يَرجِع إليه إذا قيل إنَّه بدعَة فهو بِدْعَةٌ لُغَةً لا شَرْعاً.

وجمع القرآن في كِتابٍ واحِدٍ له أصلٌ في الشَّرع؛ لأنَّ النَّبيَّ –صلى الله عليه وسلم– كان يأمُر بِكتابَة القرآن، ولهذا فقد كان مكتوباً مُتَفَرِّقاً، فجَمَعَه الصَّحابَة رضي اللّه عنهم في مُصْحَفٍ واحِدٍ؛ حِفْظاً له، وأما التَّراوِيح فقد صلّاها النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– بِأصحابِه عِدَّة لَيالي وتخلَّف عنها في الأخِير خَشْيَةً أن تُفْرَضَ عليهِم، واستَمَر الصَّحابَة رضي اللّه عنهم يُصَلُّونها أَوْزاعاً مُتَفَرِّقين في حياةِ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– وبعد وفاتِه إلى أن جَمَعَهُم عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** على إمامٍ واحِدٍ كما كانوا يُصلُّونها خَلْفَ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، وليس هذا بِدْعَة في الدِّين.

كما أنَّ كتابَةَ الحدِيثِ أيضاً لها أصلٌ في الشَّرعِ، فقد أمَر النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– بِكتابَة بعض الأحاديث لبعض أصحابِه لَمّا طَلَبَ منه ذلك، وكان المحذور مِن كِتابَتِه بِصِفَةٍ عامَّة في عَهدِهِ –صلى الله عليه وسلم– خَشْيَة أن يختَلِطَ بِالقرآنِ ما ليس منه، فلمّا تُوفِّي–صلى الله عليه وسلم– انتَفى هذا المحذور؛ لأنَّ القرآنَ قد تَكامَلَ وضُبِطَ قبل وَفاتِه –صلى الله عليه وسلم–، فدَوَّن المسلِمون الحديثَ بعد ذلك حِفظاً له مِن الضَّياعِ، فجَزاهُم اللّه عن الإسلام والمسلمين خيراً، حيث حَفِظوا كتابَ ربِهِم وسُنَّةَ نَبِيِّهِم –صلى الله عليه وسلم– مِن الضَّياعِ وعَبَث العابِثِين.

الأسئِلَة:

س١: عَرِّف البِدْعَة لُغَةً وشَرْعاً.

س٢: ما حكم البِدَع في العادات والعبادات مع الاستِدلال ؟

س٣: اذكر أنواعَ البِدَع في الدِّين.

س٤: ما حكم البِدعة في الدِّين مُستَدلّاً في ذلك ؟

س٥: كيف تَرُدُّ على مَن قَسَّمَ البِدعَةَ إلى حَسَنَة وسَيِّئَة ؟

الدرس السادس والخمسون

ظُهورُ البِدَع في حَياة المُسلمين، والأسبابُ التي أدَّت إليها، ومَفاسِدُها

أوَّلاً: ظُهورُ البِدَعِ في حياةِ المسلمين: وتحتَه مَسْألتانِ:

المَسألة الأولى: وَقْتُ ظُهورِ البِدَعِ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه:" واعلَم أنَّ عامَّة البِدَعِ المتعَلِّقَة بِالعلوم والعِبادات إنما وَقَعَ في الأُمَّةِ في أواخِر الخلفاءِ الرّاشِدِين كما أخبر به النَّبيّ –صلى الله عليه وسلم– حيث قال::" مَن يَعِش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ؟ فعليكم بِسُنَّتي وسُنَّة الخلفاءِ الرّاشِدِين المهديين "[1]، وقد أنَكر الصَّحابَة على أهل هذه البِدَع [2].

المسألة الثّانية: مَكانُ ظُهورِ البِدَعِ:

تختَلِف البُلدانِ الإسلامِيَّة في ظُهُورِ البِدَعِ فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" فإنَّ الأمصارَ الكِبارَ التي سَكَنَها أصحابُ رسولِ اللّه –صلى الله عليه وسلم– وخرَجَ منها العِلْمُ والإيمان خمسَة: الحرَمان، والعِراقان، والشّام، منها خَرَج القُرآن والحديث والفِقه والعِبادَة وما يَتْبَع ذلك مِن أُمورِ الإسلام، وخَرَج مِن هذه الأمصارِ بِدَعٌ أُصوليَّة غير المدينة النَّبوِيّة؛ فالكوفة خرج منها التَّشيُّع والإرجاءِ وانتَشَر بعد ذلك في غيرِها، والبَصْرَة خَرَجَ منها القَدَرُ والاعتِزالُ، والنُّسُكُ الفاسِدِ، وانتَشَر بعد ذلك في غيرِها، والشّام كان بها النَّصْبُ والقَدَر، وأمّا التَّجَهُّم فإنما ظَهَر مِن ناحِيَة خُراسان، وهو شَرُّ البِدَعِ، وكان ظُهورُ البِدَعِ بحسَب البُعْدِ عن الدّار النَّبَوِيَّة، فلمّا حَدَثَت الفُرْقَة بعد مَقْتَلِ عثمان ظَهَرَت بِدْعَة الحرورِيّة، وأمّا المدينة النَّبوِيَّة فكانَت سَلِيمَةً مِن ظُهورِ هذه البِدَعِ وإن كان بها مَن هو مُضْمِرٌ لذلك، فكان عندهم مُهاناً مَذْموماً.

فأمّا العصور الثّلاثة المفضَّلة فلم يكن فيها بالمدينة النَّبويَّة بِدْعَة ظاهِرة البَتَّة، ولا خرج منها بِدْعَة في أُصولِ الدِّين البَتَّة، كما خَرَجَ مِن سائِر الأمْصارِ.

([1]) رواه أحمد (١٢٦/٤)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، رقم (٢٦٧٦)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه في المقدمة رقم (٤٤).

([2]) مجموع الفتاوى (٣٥٤/١٠).

وقد ثبتَ في الصَّحيح عن النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– أنَّ الدَّجّال لا يَدْخلُها [1]. ولم يَزَل العِلْم والإيمانُ ظاهراً إلى زَمَنِ أصحاب مالِك وهم مِن أهل القَرْنِ الرّابع "[2].

ثانياً: الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ الاعتِصام بِالكتابِ والسُّنَّة فيه مَنْجاةٌ مِن الوُقوعِ في البِدَع والضَّلالِ، قال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾[الأنعام: ١٥٣].

وقد وضَّح ذلك النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– فيما رواه ابن مسعود **رضي الله عنه** قال::" خَطَّ لنا رسولُ اللّه –صلى الله عليه وسلم– خطّاً فقال: هذا سَبِيلُ اللّهِ، ثمّ خَطَّ خُطوطاً عن يمينِه وعن شمالِه ثم قال: وهذه سُبُلٌ على كُلِّ سَبِيلٍ منها شَيْطانٌ يَدْعُو إليه، ثم تَلا:﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾[3]"، فمَن أعرضَ عن الكتاب والسُّنَّة تَنازَعَتْه الطُّرُق المضِلَّة والبِدَعُ المحدَثَة.

وتتلخص الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية:

(أ) الجهل بأحكام الدين:

كلَّما امتَدَّ الزَّمَن وبَعُدَ النّاسُ عن آثارِ الرِّسالَة قلَّ العِلْمُ وفشَى الجهلُ، كما أَخْبَرَ بذلك النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– بقوله::" مَن يَعِشْ مُنكُم فسَيَرَى اختِلافاً كثيراً "[4]، وقوله:" إنَّ اللَّهَ لا يقبِضُ العِلْمَ انتِزاعاً يَنْتَزِعُه مِن العِبادِ، ولكن يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَماءِ حتى إذا لم يُبْقِ

---

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" المدينة يأتيها الدَّجّال فيَجِد الملائِكَة يحرسُونها، فلا يقربها الدَّجّال، قال: ولا الطّاعون إن شاء الله ". رواه البخاري (٨/٢٠٣)، كتاب الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم في كتاب الحج، باب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال، رقم (١٣٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/٣٠٠-٣٠٣) بتصرف.

(٣) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم.

(٤) رواه أحمد (٤/١٢٦)، والترمذي في كتاب العلم برقم (٢٦٧٦)، أبو داود في كتاب السنة برقم (٤٦٠٧)، ابن ماجه في المقدمة برقم (٤٤).

عالِماً اتخَذَ النّاسَ رُؤوساً جُهّالاً فَسُئِلوا فَأَفْتَوا بغيرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وأضَلُّوا " [1]، فلا يُقاوِمُ البِدَع إلّا العِلْم والعُلَماء، فإذا فُقِدَ العِلْمُ والعُلَماء أُتِيحَت الفُرْصَة لِلبِدَعِ أن تَظْهَر وتَنْتَشِر، ولأهلِها أن يَنشَطوا.

(ب) اتِّباعُ الهَوَى:

مَن أَعْرَضَ عن الكتابِ والسُّنَّةِ فقد اتَّبَع هَواه، كما قال تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾[القصص:٥٠]، وقال تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾[الجاثية:٢٣]، والبِدَع إنّما هِي نَسِيجُ الهوى المتَّبَع.

(ج) التَّعَصُّبُ لِلآراءِ والرِّجالِ:

يحولُ بين المرءِ واتِّباعِ الدَّلِيلِ ومَعْرِفَة الحقِّ التَّعَصُّبُ لِلآراءِ والرِّجالِ، قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾ [البقرة:١٧٠].

وهذا هو الشَّأنُ في المتعَصِّبين اليوم مِن بَعْضِ أتباعِ المذاهِبِ الصُّوفِيَّة والقُبورِيِّين إذا دُعُوا إلى اتِّباع الكتاب والسُّنَّةِ ونَبْذِ ما هم عليه مما يخالِفُهُما احتَجُّوا بمذاهِبِهِم ومَشائخِهِم وآبائِهِم وأجدادِهِم.

(د) التَّشَبُّه بِالكُفّارِ:

هو مِن أشَدِّ ما يُوقِع في البِدَع، كما في حديث أبي واقِدٍ اللَّيثيّ قال: خَرجْنا مع رسولِ اللّه -صلى الله عليه وسلم- إلى حُنَين ونحن حُدَثاء عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلمُشركين سِدْرَة يَعْكُفون عندها ويَنوطون بها أسْلِحَتَهم، يقال لها: ذات أَنْواط، فمَرَرْنا بِسِدْرَةٍ فقلنا: يا رسول اللّه، اجعَل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم-:" اللّه أكبَر، إنها

([1]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، برقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم، برقم (٢٦٧٣).

السُّنَن، قُلْتُم والذي نفسِي بِيَدِهِ كما قالت بنو إسرائِيلَ لِمُوسى﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) ﴾[الأعراف:١٢٣]، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَن قَبْلَكُم "[1].

ففي هذا الحديث أنَّ التَّشَبُّه بِالكُفّار هو الذي حمل بني إسرائيلَ أن يَطْلُبوا هذا الطَّلَبَ القَبِيحَ، وهو أن يجعل لهم آلهة يَعْبُدونها، وهو الذي حمل بعض أصحابِ محمَّد أن يسألوه أن يجعل لهم شَجَرَةً يتَبركون بها مِن دون اللّه، وهذا نفس الواقع اليوم، فإنَّ غالِبَ النّاسِ من المسلمين قَلَّدوا الكُفّارَ في عَمَلِ البِدَعِ والشِّرْكِيّات، كأعيادِ الموالِدِ وإقامَةِ الأيّام والأسابيع لأعمالٍ مخصَّصَةٍ، والاحتِفال بِالمناسبات الدِّينِيَّة والذِّكريات، وإقامَة التَّماثيل والنُّصُب التِّذكارِيَّة، وإقامَة المآتِم وبِدَع الجنائِز، والبِناء على القُبورِ، وغيرِ ذلك.

مَفاسِدُ البِدَعِ:

لِظُهورِ البِدَعِ وانتِشارِها مَفاسِد كَثِيرَةٌ، ويَترَتَب عليها محاذِير عَظِيمَة، منها:

١- أنَّ فيها تِكذِيباً لقول الله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)﴾[المائدة: ٣]؛ لأنَّه إذا جاء بِبِدْعَةٍ جَديدَةٍ يعتَبِرها دِيناً، فمُقْتَضاه أنَّ الدِّينَ لم يَكْمُل.

٢- أنها تستَلزِم القَدْحَ في الشَّريعة، وأنها ناقِصَة، فأكمَلَها هذا المبْتَدِع.

٣- أنها تستَلزِم القَدْحَ في المسلِمين الذين لم يَأْتُوا بها، فكلَّ مَن سَبَق هذه البِدَع مِن النّاس

([1]) رواه الترمذيّ في سننه وصحَّحه.

دِينُهُم ناقِصٌ، وهذا أمرٌ خَطِير.

٤- الانشِغال عن السُّنَنِ؛ لأنَّ الغالِبَ أن مَن اشتَغل بِبِدْعَةٍ انشَغَل عن سُنَّةٍ، كما قال بعض السَّلف: ما أحدَث قَوْمٌ بِدْعَةً إلّا هَدَمُوا مِثْلَها مِن السُّنَّةِ.

٥- أنَّ هذه البِدع تُوجِب تفرَّق الأمَّة؛ لأنَّ هؤلاء المبتَدِعَة يعتَقِدون أنهم هم أصحاب الحقّ، ومَن سِواهم على ضلالٍ، وأهل الحقّ يقولون: أنتم الذين على ضَلالٍ، فتَتَفَرَّق قلوبهم.

فهذه مَفاسِد عَظِيمَة، كلُّها تترتَّب على البِدعة مِن حيث هي بِدْعَة، مع أنَّه يتَّصِل بهذه البِدْعَة سَفَهٌ في العَقْلِ وخَلَلٌ في الدِّينِ [1].

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثمين (٢/٣١٦-٣١٧).

الدرس السابع والخمسون

مَوْقِف السَّلَفِ مِن المُبْتَدِعَة ومَنْهَجُهُم في الرَّدِّ عَلَيْهِم

١- مَوْقِفُ السَّلَفِ مِن المُبْتَدِعَة:

ما زال أهلُ السُّنَّة والجماعَة يَرُدُّون على المبتَدِعَة، ويُنكِرونَ عليهِم بِدَعَهُم ويمنَعونهم مِن مُزاوَلَتِها، وإليك نماذج مِن ذلك:

(أ) عن أمِّ الدّرداء قالت: دَخَل عليَّ أبو الدرداء مُغْضباً فقلت له: مالَك ؟ فقال: واللّهِ ما أعْرِفُ فيهم شيئاً مِن أَمْرِ محمَّد إلّا أنهم يُصَلُّون جميعاً [1].

(ب) عن عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يُحدِّثُ عن أبيه قال: كنّا نجلِس على بابِ عبدِ اللّه بن مسعود قبل صَلاة الغَداة، فإذا خَرَجَ مَشْيْنا معه إلى المسجِد، فجاءَنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟، قلنا: لا - فجَلَس معنا حتى خَرج - فلمّا خَرَج قُمْنا إليه جميعاً، فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجِد آنِفاً أمراً أنكَرْتُه، ولم أر - والحمد للّه - إلّا خيراً، قال: وما هو ؟ قال: إن عِشْتَ فسَتَراه، قال: رأيتُ في المسجد قَوْماً حِلقاً جُلوساً ينتَظِرون الصَّلاةَ، في كلِّ حَلقَةٍ رَجُلٌ، وفي أيدِيهِم حَصى، فيقول: كَبِّروا مائِة، فَيُكبِّرون مائِة، فيقول: هَلِّلوا مائِة فَيُهَلِّلون مائِة، فيقول: سَبِّحوا مائِة، فَيُسَبِّحون مائِة، قال فماذا قلت لهم ؟ فقال: ما قلت شيئاً انتِظارَ رأيِك، أو انتظارِ أمرِك، قال: أفلا أَمَرتهم أن يَعُدُّوا سيِّئاتهم، وضَمِنَت لهم أن لا يَضِيعَ مِن حَسَناتهم شَيْءٌ، ثم مَضَى ومَضَيْنا معه حتى أتى حلقَة مِن تِلْك الحلَقِ فَوَقَف عليها فقال: ما هذا الذي أراكم تصنَعون؟ فعُدُّوا سَيِّئاتِكُم، فأنا ضامِنٌ مِن أن لا يَضِيعَ مِن حَسناتِكُم شَيْءٌ، ويحكَم يا أُمَّةَ محمَّد ما أسْرَعَ هَلَكَتَكُم، هؤلاء أصحابُه مُتَوافِرون، وهذه ثِيابُه لم تَبْلَ، وآنِيَتُه لم تُكْسَر، والذي نفسِي بِيَدِه إنَّكم لَعَلَى مِلَّةٍ هي أهدَى مِن مِلَّةِ محمَّد، أو مُفْتَتِحو باب ضَلالَةٍ، قالوا: واللّه يا أبا عبد الرحمنِ، ما أرَدْنا إلّا الخيرَ، قال: وكم مُرِيدٍ لِلخَيْرِ لن يُصِيبَه، إنَّ رسولَ اللّه -صلى الله عليه وسلم- حدَّثنا أنَّ قَوْماً يَقرءون

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (١/١٥٩)، كتاب الأذكار، باب: فضل صلاة الفجر في جماعة.

القُرآنَ لا يجاوِز تَراقِيهم، وايم اللّهِ لا أدرِي لَعَلَّ أكثَرَهُم مِنكُم، ثم تَوَلَّى عنهم. فقال عمر بن سلمة: رأينا عامَّة أولئك يُطاعِنونَنا يَوْمَ النَّهْروان مع الخوارِج "[1].

(ج) جاء رجُلٌ إلى الإمام مالك بن أنس رحمه اللّه فقال: مِن أين أُحْرِم ؟ فقال: مِن الميقات الذي وَقَّتَ رسولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم- وأحرَمَ منه، فقال الرَّجل: فإن أَحْرَمْت مِن أبعدَ منه ؟، فقال مالك: لا أرى ذلك، فقال: ما تَكْرَه مِن ذلك ؟، قال: أَكْرَه عليك الفِتْنَة، قال: وأيّ فِتْنَةٍ في ازدِيادِ الخيرِ؟! فقال: فإنَّ اللّهَ تعالى يقول:﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾[النور: ٦٣]، وأيُّ فِتْنَةٍ أعظَمُ مِن أنَّك خُصِصْتَ بِفَضْلٍ لم يختَصّ بِه رسولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم- [2] .

(د) عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنَّه رأى رجُلاً يُصلِّي بعد طلوع الفَجْرِ أكثَر مِن رَكْعَتَيْن، يُكْثِر فيهِما الرُّكوعَ والسُّجودَ، فنَهاه، فقال: يا أبا محمَّد، يُعَذِّبني اللهُ على الصَّلاةِ، قال: لا، ولكن يُعَذِّبُك على خِلافِ السُّنَّةِ [3].

هذه نماذج، ولا زالَ العُلماء يُنكِرون على المبتَدِعَة في كلِّ عَصْرٍ، والحمد للّهِ.

٢ – مَنهَج السَّلَف في الرَّدِّ على أهلِ البِدَعِ:

منهَجُهم في ذلك المنهَج المقْنِعُ المفحِم المبنيُّ على الكتاب والسُّنَّة حيث يَستَدِلّون بِالكتابِ والسُّنَّة على وجوب التَّمسُّك بالسُّنَن والنَّهي عن البِدَع والمحدثاتِ إجمالاً، ثم يُورِدون شُبَهَ المبتَدِعَة ويَنْقضونَها.

المُؤَلَّفات في البِدَعِ والرَّدِ على المُبْتَدِعَة:

لقد أَلَّفَ عُلَماءُ السَّلفِ مُؤَلَّفاتٍ عامَّةٍ تَتَضَمَّنُ الرَّدَّ على المبتَدِعَة في أُصولِ الإيمانِ والعقيدة

([1]) رواه الدارمي في مقدمة سننه رقم (٢١٠).

([2]) ذكره أبو شامة في كتاب: الباعث على إنكار البدع والحوادث نقلا عن أبي بكر الخلال (ص ١٤).

(٣) رواه الدارمي (١١١/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤١٦/٢) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وذلك في الكتب المتعلِّقَة بِالعَقائِد، مثل:

١- كتاب " الرَّدّ على الجهمِيّة والزَّنادقة " للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

٢- كتاب " خَلْقُ أفعالِ العِبادِ " للإمام البخاري رحمه الله.

٣- كتاب " الاختِلاف في اللَّفظِ والرَّدّ على الجهمِيَّة والمشبِّهة " للإمام ابن قتيبة رحمه الله.

٤- كتاب " الرَّدّ على الجهمِيَّة " للإمام عثمان بن سعيد الدّارميّ رحمه الله.

كما ألفوا كتباً خاصة في الرد على أهل البدع منها:

١- كتاب " الاعتِصام " للإمام الشّاطبي.

٢- كتاب " اقتِضاء الصِّراط المستقيم " لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقد استغرق الرَّدّ على المبتَدِعَة جزءاً كبيراً منه.

٣- كتاب " إنكارُ الحوادِث والبِدَع " لابن وضّاح.

٤- كتاب " الحوادِث والبِدَع " للطَرطُوشِي.

٥- كتاب " الباعِث على إنكار البِدَع والحوادث " لأبي شامَة.

كما أُلِّفَت كتُبٌ مُعاصِرَة في مَوضوعِ البِدَعِ، منها:

١ - كتاب " الإبداع في مَضارّ الابتِداع " للشيخ علي محفوظ.

٢ - كتاب السُّنَن والمبتَدَعات المتعَلِّقة بالأذكار والصَّلوات للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.

٣ - رسالة التَّحذِيرِ مِن البِدَع للشيخ عبد العزيز بن باز.

٤- القول المبين في رَدّ بِدَعِ المبتَدِعِين للشيخ عبدالله الخليفي رحمه الله.

ولا يزال العلماءُ المسلِمون - والحمد للهِ - يُنكِرونَ البِدَع ويَردُّون على المبتَدِعة مِن خلال الصُّحف والمجلّات والإذاعاتِ وخُطَب الجمَعِ والنَّدَوات والمحاضراتِ ممّا له كَبِيرُ الأثَرِ في تَوعِيَة المسلمين، والقَضاءِ على البِدَعِ وقَمْعِ المبتَدِعِين.

الأسئِلَة:

س١: أُذكُر الوَقتَ الذي ظهَرت فيه البِدَع.

س٢: أُذكُر الأماكِن التي ظهَرت فيها البِدَع والمكان الذي لم تظهَر فيه وما مَرجِع ذلك ؟

س٣: أُذكُر الأسبابَ التي أدَّت إلى ظهُورِ البِدَع.

س٤: بيِّن مَوْقِف أهل السُّنَّة مِن المبتَدِعَة، واذكر نماذج لذلك.

س٥: وضِّح منهَجَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ في الرَّدِّ على أهلِ البِدَع.

س٦: أُذكُر شَيئاً مِن الكتُب المؤَلَّفَة في الرَّدِّ على أهلِ البِدَع.

الدرس الثامن والخمسون
نَماذِجُ مِن البِدَعِ المُعاصِرَةِ

وهي:

١ – الاحتِفال بمناسبَة مَوْلِد النّبيّ –صلى الله عليه وسلم–.

٢ – التَّبرُّك بالأماكِن والآثار والأموات ونحو ذلك.

٣ – البِدَع في مجالِ العبادات والتَّقرُّب إلى الله.

البِدَع المعاصِرة كثيرَةٌ بحكْمِ تَأَخُّرِ الزَّمَنِ وقِلَّةِ العِلْمِ وكَثْرَة الدُّعاة إلى البِدَعِ والمخالفات وسَريانِ التَّشَبُّهِ بِالكُفّار في عاداتهِم وطُقُوسِهِم مِصْداقاً لقوله –صلى الله عليه وسلم–:" لَتَتبِعُنَّ سَنَن مَن كان قَبْلَكُم"[1].

١ – الاحتِفالُ بِمُناسَبَةِ مَوْلِدِ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–:

إنَّ مِن الواجِب على كلِّ مسلِم محبَّة النّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–؛ إذ هي مِن أُصولِ الدِّين الذي لا يَتِمُّ الإيمان إلّا بِه، وعلى ذلك انعَقَدَ الإجماع، وكيف لا تجِب محَبَّتُه –صلى الله عليه وسلم– وهو الذي أحبَّهُ اللهُ تعالى واصْطَفاه وطَهَّرَهُ وعَصَمَهُ، وفَضَّلَه على جَمِيع وَلَدِ آدَمَ، وأعطاهُ ما لم يُعْطِ أحَداً مِن الأنبياءِ قَبْله، وهو الذي كمَّلَ اللهُ بِه الرِّسالة، وهَدَى بِه مِن الضَّلالَة، وألَّفَ بِه بعد الفُرْقَة، وأغنى بعد العَيْلَةِ، فأصبَح النّاسُ بِنِعْمَةِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ إخْواناً، قال الله عز وجل:﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤) ﴾[آل عمران:١٦٤]، ولا يحصلُ كمالُ الإيمانِ حتَّى يحبَّ المسلِم نَبِيَّه –صلى الله عليه وسلم– أكثَر مِن حُبِّه لِنَفْسِه كما في ورَد في الحديث مِن قولِه –صلى الله عليه وسلم–:" لا يُؤمِن أحَدُكُم حتى أكونَ أحَبَّ إليه مِن وَلَدِهِ ووالِدِهِ والنّاسِ أجمَعِين "[2]. وحديث: كنّا مع النَّبيِّ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتِصام بالكتاب والسُّنّة، رقم (٦٨٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، رقم (٢٦٦٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، وقد تقدَّم تخريجه.

-صلى الله عليه وسلم- وهو آخِذٌ بِيَدِ عمرَ ابن الخطّاب فقال له عمر: يا رسول الله، أنت أَحَبّ إليَّ مِن كلِّ شَيْءٍ إلّا مِن نَفْسِي، فقال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: لا والذي نفسِي بِيَدِهِ حتى أكونَ أحَبَّ إليك مِن نَفْسِك، فقال له عمر: فإنَّه الآن واللهِ لأنتَ أحبّ إليَّ مِن نَفْسِي، فقال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: الآن يا عُمَر "[1].

وعلامة صدق محبته -صلى الله عليه وسلم- تكون في اتباعه والتمسك بسنته، والتخلق بأخلاقه، كما بين الله ذلك في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)﴾[آل عمران:٣١]، وقد سبق الكَلام مُطَوَّلاً ومُفَصَّلاً في بَيانِ محبَّتِهِ -صلى الله عليه وسلم- وتَعظِيمِه، وبَيانِ مَنْزِلَتِه ووُجوبِ طاعَتِه والاقتِداءِ بِه، وتَعظِيمِ سُنَّتِه واتِّباعِها، وفَضْل الصَّلاة والسَّلام عليه في الباب الثّالث مِن هذا الكتاب.

إنَّ ممّا يُؤْسَف له أنَّ بعضَ المسلمين اليوم إمّا مُقَصِّرٌ في حُقوقِ المصطَفَى -صلى الله عليه وسلم- فتَراه ضَعِيفَ الاتِّباعِ لِسُنَّتِه، قَلِيلَ الصَّلاةِ والسَّلامِ عليه، أو واقِع في الإطراءِ والغُلُوِّ الذي لا يَرضاه النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- لِما فيه مِن وَصْفِه -صلى الله عليه وسلم- بما لا يكون إلّا لله عزَّ وجلَّ، أو الابْتِداع لأجلِ محبَّتِهِ ما لم يَشْرَعْه اللهُ ولا رسولُه، وقد قال -صلى الله عليه وسلم-:" مَن عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أَمرُنا فهو رَدٌّ "[2]. ومِن ذلك: الاحتِفال بمناسَبةِ مَولِدِه -صلى الله عليه وسلم-، فهو حَرامٌ؛ لأنَّه مِن البِدَعِ المحدَثَةِ، ولم يَقُل بِه أَحَدٌ مِن الأئِمَّة المعتَبَرِينَ أو أهلِ العِلْمِ الرّاسِخِينَ، وهو تَشَبُّهٌ بِالنَّصارَى في عَمَلِ ما يسمَّى بِالاحتِفالِ بمولِدِ المسِيح، فيَحتَفِل بعض المسلمين في رَبِيع الأوَّل مِن كلِّ سَنَةٍ بمناسَبةِ مَوْلِد الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-، فمِنْهُم مَن يُقِيم هذا الاحتِفالَ في المساجِدِ، ومنهم مَن يُقِيمُه في البُيوتِ أو الأمكِنَة المعَدَّة لذلك، ويحضُر جموعٌ كثيرَة مِن دَهْماءِ النّاسِ وعَوامِّهِم، يَعْمَلون ذلك إمّا محبَّةً لِلنَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وتَعْظِيماً، وإمّا تَشَبُّهاً بالنَّصارى في ابتِداعِهِم الاحتِفالَ بمولِدِ المسِيح عليه السلام،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف يمين النبي -صلى الله عليه وسلم- برقم (٦١٣٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، وتقدَّم تخريجه.

وبعض هذه الاحتِفالات – علاوَةً على كونها بِدْعَة وتَشَبُّهاً بِالنَّصارى – لا تخلو مِن الشِّركِيّات والمنكَراتِ كإنشادِ القَصائِدِ التي فيها الغُلُوُّ في حَقِّ الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم– إلى دَرَجَةِ دُعائِهِ مِن دونِ اللهِ والاستِغاثَة بِه، وقد نهى النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– عن الغُلُوِّ في مَدْحِه فقال:" لا تَطْروني كما أَطرَتِ النَّصارَى ابنَ مَريم، إنما أنا عَبْدٌ فقولوا عبد الله ورسوله "[1]، وربما يَعتَقِدون أنَّ الرَّسولَ –صلى الله عليه وسلم– يحضُر احتِفالاتِهم.

وقد أُلِّفَ في إنكارِ هذه البِدعَة كُتُبٌ ورَسائِل قَديمة وجَديدَة [2]، وهو عَلاوَةً على كَوْنِه بِدْعَةً وتَشَبُّهاً فإنَّه يجرُّ إلى إقامَةِ مَوْلِدٍ كَمَوْلِدِ الأولياءِ والمشايخِ والزُّعماءِ، فيفْتَحُ أبوابَ شَرٍّ كَثِيرَةٍ.

٢ – التَّبَرُّكُ بِالأماكِن والآثارِ والأشخاصِ أحياءً وأَمْواتاً:

مِن البِدَع المحدَثَةِ التَّبَرُّك بِالمخلوقين – وهو لَوْنٌ مِن ألوانِ الوَثَنِيَّةِ وشُبْهَةٌ يَصْطادُ بها المرتَزِقَة أموالَ السُّذَّجِ مِن النّاس، والتَّبَرُّك: طَلَبُ البَرَكَةِ، وهي: ثُبُوتُ الخيرِ في الشَّيْءِ وزِيادَتُه – وطَلَبُ ثُبوتِ الخيرِ وزِيادَته إنما يكون ممَّن يملِك ذلك ويَقْدِر عليه، وهو اللّه سبحانَه. فهو الذي ينزل البَرَكَة ويُثْبِتُها – أمّا المخلوقُ فإنَّه لا يَقْدِر على مَنْحِ البَرَكَةِ وإيجادِها ولَا على إبْقائِها وتَثْبِيتِها.

حُكْمُ التَّبَرُّكِ:

فالتَّبَرُّكُ بِالأماكِن والآثارِ والأَشخاصِ أحياءً وأمْواتاً لا يجوز؛ لأنَّه إمّا شِرْكٌ، إن اعتَقَدَ أنَّ ذلك الشَّيءَ يمنَحُ البَرَكَةَ، أو وَسِيلَة إلى الشِّرْكِ إن اعتَقَد أنَّ زِيادَتَه ومُلامَسَتَه والتَّمَسُّحَ بِه سَبَبٌ لحصولها مِن اللّهِ، وأمّا ما كان الصَّحابَة يفعَلونَه مِن التَّبَرُّكِ بِشَعْرِ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– وريقِه وما انفْصَل مِن جِسْمِهِ كما تَقَدَّم [3] فذلك خاصٌّ بِه –صلى الله عليه وسلم– في حال حَياتِهِ ووجودِهِ بينَهم، بِدَليلِ أنَّ الصَّحابَة لم يكونوا يَتَبَرَّكُون بحجْرَتِه وقَبْرِهِ بعد مَوْتِه، ولا كانوا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، وتقدَّم تخريجه.

(٢) مثل: ١– التَّحذير مِن البِدَع للشيخ العلّامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

٢– الاحتِفال بالمولد بين الاتِّباع والابتِداع لمحمد بن سعد بن شقير.

٣– المورد في عمل المولد لتاج الدِّين الفاكهاني رحمه الله.

(٣) في موضوع مقتَضياتِ محبَّتِهِ.

يَقْصِدون الأماكِنَ التي صَلَّى فيها أو جَلَسَ فيها لِيَتَبَرَّكوا بها، وكذلك مَقامات الأولياءِ مِن باب أولى، ولم يكونوا يتَبَرَّكون بِالأشْخاصِ الصّالحين كأبي بكر وعمر وغيرِهما مِن أفاضِلِ الصَّحابَةِ، لا في الحياةِ ولا بعد الموت. ولم يكونوا يذهبون إلى غارِ حِراء لِيُصَلُّوا فيه أو يَدْعُوا، ولم يكونوا يَذْهَبُون إلى الطُّورِ الذي كَلَّمَ اللّهُ عليه موسى لِيُصَلُّوا فيه ويَدْعُوا، أو إلى غيرِ هذه الأمكِنَة مِن الجبالِ التي يُقال إنَّ فيها مَقاماتِ الأنبياءِ أو غيرِهِم. ولا إلى مَشْهَدٍ مَبْنِيٍّ على أَثَرِ نبِيٍّ مِن الأنبياءِ، وأيضاً فإنَّ المكانَ الذي كان النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم- يُصَلِّي فيه بالمدِينَة النَّبوِيَّة دائِماً لم يَكُن أحَدٌ مِن السَّلَفِ يَسْتَلِمُه ولا يُقَبِّلُه، ولا الموضِع الذي صلَّى فيه بمكَّة وغيرِها، فإذا كان الموضِع الذي كان يَطَؤُهُ بِقَدَمَهِ الكَرِيمةِ ويُصَلِّي عليه لم يُشْرَعْ لأُمَّتِهِ التَّمَسُّحَ بِه ولا تَقْبِيلَه، فكيف بما يُقال إنَّ غيرَه صلَّى فيه أو نامَ عليه. فتَقْبِيلُ الشَّيءِ مِن ذلك، والتَّمَسُّحُ بِه قد عَلِمَ العُلماءُ بِالاضْطرارِ مِن دِينِ الإسلامِ أنَّ هذا ليس مِن شَرِيعَتِهِ-صلى الله عليه وسلم- [1].

٣ – البِدَعُ في مَجالِ العِباداتِ والتَّقَرُّبِ إلى اللهِ:

البِدَعُ التي أُحْدِثَت في مجالِ العِباداتِ في هذا الزَّمانِ كَثِيرَةٌ، والأصلُ في العبادات التَّوقِيفُ، فلا يُشرَع شَيْءٌ مِنها إلّا بِدَلِيلٍ، وما لم يَدُلَّ عليه دَلِيلٌ فهو بِدْعَةٌ؛ لقوله –صلى الله عليه وسلم-:" مَن عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أَمْرُنا فهو رَدٌّ ". [2] [3].

والعِبادات التِي تُمارَس الآنَ ولا دَلِيلَ عليها كَثِيرَةٌ جِدّاً، مِنها:

الجَهْرُ بِالنِّيَّةِ بِالصَّلاة: بأن يقول: نَوَيتُ أن أُصَلِّي للّه كذا وكذا، وهذه بِدْعَةٌ؛ لأنَّه ليس مِن سُنَّةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم-، ولأنَّ اللهَ تعالى يقول:﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦)﴾[الحجرات:١٦]، والنِّيَّة محلُّها القَلْبُ، فهي عَمَلٌ قَلْبِيٌّ لا عَمَلٌ لِسانِيٌّ.

ومنها: طَلَبُ قِراءَةِ الفاتحَةِ في المناسباتِ وبعد الدُّعاءِ ولِلأمْواتِ.

---

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٩٥ – ٨٠٢)، تحقيق د. ناصر العقل.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصّلح، رقم (٢٥٥٠)، ومسلم في كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

(3) رواه مسلم في صحيحه.

ومنها: إقامَة المآتِم على الأمواتِ، وصِناعَة الأطعِمَةِ، واسْتِئْجارُ المقرِئين يَزعمُون أنَّ ذلك مِن باب العَزاء، أو أنَّ ذلك يَنْفَع الميِّت، وكلُّ ذلك بِدَعٌ لا أَصْلَ لها، وآصالٌ وأغلالٌ ما أنزَلَ اللّهُ بها مِن سُلْطانٍ.

ومنها: الاحتِفال بالمناسَبات الدِّينِيَّة كمُناسَبة الإسراء والمعراج، ومُناسَبَة الهجرَةِ النَّبَوِيَّة، وهذا الاحتفال بتلك المناسبات لا أصلَ له في الشَّرع.

ومِن ذلك: ما يُفعَل في شَهْرِ رَجَب، كالعُمْرَةِ الرَّجَبِيَّة، وما يُفعَل فيه مِن العِبادات الخاصّة بِهِ كالتَّطوُّع بِالصَّلاة والصِّيام فيه خاصَّة، فإنَّه لا مَزيَّةَ له على غَيْرِهِ مِن الشُّهورِ لا في العُمْرَةِ والصِّيام والصَّلاة والذَّبح لِلنُّسُكِ ولا في غير ذلك.

ومِن ذلك: تخصِيصُ لَيْلَة النِّصفِ مِن شَعبان بِقِيامٍ، ويوم النِّصفِ مِن شَعبان بِصِيامٍ، فإنَّه لم يَثْبُت عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في ذلك شَيْءٌ خاصٌّ بِه.

ومِن ذلك: البِناء على القبور واتخاذُها مَساجِدَ وزِيارَتها لأجلِ التَّبَرُّكِ بها والتَّوسُّل بالموتى وغيرِ ذلك مِن الأعراضِ الشِّرْكِيَّة.

وزيارَة النِّساء لها مع أنَّ الرَّسولَ -صلى الله عليه وسلم- لَعَن زَوّارات القُبورِ والمتَّخِذِين عليها المساجِدَ والسُّرُجَ [1].

خَطَر البِدْعَة:

البِدَع زِيادَةٌ في الدِّينِ لم يُشَرِّعْها اللّهُ ولا رَسُولُه، والبِدْعَة شَرٌّ مِن المعصِيَة الكَبِيرَة؛ لأنَّ العاصِي يَفْعَل المعصِيَة وهو يعلم أنها مَعْصِيَة فيتُوب منها، والمبتَدِع يَفْعَل البِدْعَة يَعْتَقِدها دِيناً يَتَقَرَّب بِه إلى اللّهِ فلا يتوب منها، والبِدَع تَقْضِي على السُّنَنِ، وتُكَرِّه إلى أصحابها فِعْلَ السُّنَنِ وأهلِ السُّنَّةِ.

ما يُعامَل بِه المُبْتَدِعَة:

مُعامَلَةُ المبتَدِعِ تحكُمُه قَواعِد الأمرِ بالمعروف والنّهي عن المنكر، وينظَر فيه إلى تحقيقِ

---

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- لَعَنَ زوّاراتِ القبور. رواه الترمذي في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، رقم (١٠٥٦)، وابن ماجه في كتاب ما جاء في الجنائز، باب: ما جاء مِن اتِّباع النِّساء الجنائِز، رقم (١٥٧٦).

المصلَحَةِ ودَفْعِ المفسَدَةِ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" هُجْران أهلِ البِدَعِ، وتَرْكُ عيادَتهم، وتشييع جَنازَتهم مِن باب العُقوباتِ الشَّرعِيَّة، وهو يختَلِف باختِلافِ الأحوالِ مِن: قِلَّةِ البِدْعَة وكثرَتها، وظُهورِ السُّنَّة وخَفائِها، وأنَّ المشروعَ هو: التَّأليف تارَةً، والهجران أُخرى، كما كان – صلى الله عليه وسلم– يفعَلُه؛ لأنَّ المقصودَ دَعْوَة الخلقِ بِأَقْرَبِ طَرِيقٍ إلى طاعَةِ اللهِ، فَيَسْتَعْمِلُ الرَّغبَةَ حيث تكون أصلَح، والرَّهْبَةَ حيث تكون أصلَح "[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" تنقَسِم البِدَع إلى قسمَين: بِدَعٌ مُكَفِّرَةٌ، وبِدَع دون ذلك، وفي كلا القِسمَين يجِب علينا أن ندعُو هؤلاء الذين يَنتَسِبون إلى الإسلام ومَعَهُم البِدَع المكَفِّرَة وما دونها إلى الحقِّ، فإذا وُجِدَ العِنادُ والاسْتِكبارُ فإنَّنا نَبيِّن باطِلَهُم.

أمّا هَجْرُهُم فهذا يتَرَتَّب على البِدْعَة، فإذا كانت البِدْعَة مُكَفِّرَةً وَجَبَ هَجْرُهُ، وإذا كانت دون ذلك فإنَّنا نَتَوَقَّف في هَجْرِه، إذا كان في هَجْرِه مَصْلَحَة فَعلْناه، وإن لم يكن فيه مَصْلَحَةٌ اجتَنَبْناه، وذلك أنَّ الأصلَ في المؤمِن تحريم هَجْرِه؛ لقولِ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–:" لا يحِلُّ لمسلِمٍ أن يَهْجُرَ أخاه فَوْقَ ثلاثٍ "، فكُلُّ مُؤْمِنٍ وإن كان فاسِقاً فإنَّه يحرُمُ هَجْرُه ما لم يَكُن في الهجرِ مَصْلَحَةٌ، فإذا كان في الهجْرِ مَصْلَحَةٌ هَجَرْناه؛ لأنَّ الهجْرَ حينَئِذٍ دَواءٌ "[2].

وخلاصَة ما سبق ما يلي:

١– أنَّ الأصلَ تحريم هَجْر المؤمِن، لقوله –صلى الله عليه وسلم–:" لا يحلّ لمسلِمٍ أن يَهْجُرَ أخاه فَوْقَ ثَلاث ".

٢– أنَّ الهَجْرَ مِن باب العُقوباتِ الشَّرعِيَّة التي تُقَدَّر بِقَدَرِها، فإن كان فيها مَصلَحَة فُعِلَت، وإن كان فيها مَفْسَدَةٌ تُرِكَت.

٣– أنَّ الواجِب دَعوة أهلِ البَدَع إلى الحقّ، وبيان ما هم عليه مِن باطِل.

الأسئِلَة:

س١: بيِّن حكمَ الاحتِفال بمناسَبِة مَوْلِد النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– مع الاستِدلال لذلك.

---

(١) منهج السنة النبوية (١/٦٤–٦٥) باختصار.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/٢٩٣–٢٩٤)، رقم الفتوى (٣٤٧).

س٢: ما معنى التَّبرُّك ؟ وما حكم التَّبرُّك بِالأماكِن والآثارِ والأشخاص مُستَدِلاً لذلك ؟

س٣: ما حكم التَّبرُّك بما انفصَل مِن جِسْمِ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم-، وما دليل ذلك ؟

س٤: ما حكم التّبَرُّك بالصّالحين، وما دليل ذلك ؟

س٥: ما حكم التَّبرُّك بالحجْرَة النَّبَوِيَّة وغيرِها مِن الأمكِنَة والآثارِ، مُستَدِلّاً لِما تقول ؟

س٦: اذكر نماذِجَ مِن البِدَع المحدَثَة في مجال العِباداتِ.

س٧: اذكر شيئاً مِن أضرارِ البِدَع.

س٨: بيِّن ما يجِب أن يُعامَل بِه المبتَدِع.

الدَّرس التاسع والخمسون

الواجِبُ على المُسْلِم لِلرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم–

مِن أُصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَة [1]:

وُجوبُ القِيامِ بِحُقوقِ الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم–، ومنها:

١– الإيمانُ بأنَّه رَسُولُ اللهِ حَقّاً، وأنَّ رِسالَتَه عامَّةٌ لِلنّاسِ أجمَعِين.

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾[الأعراف: ١٥٨].

٢– الاعتِقادُ بِأنَّه سَيِّدُ المرسلين وخاتَمُ النَّبِيِّينَ، فلا نَبِيَّ بَعْدَه.

قال تعالى:﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾[الأحزاب: ٤٠].

٣– محبَّتُه وطاعَتُه فيما أَمَرَ به، واجْتِنابُ ما نهى عنه.

والدَّليل قوله تعالى:﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾[الحشر: ٧].

٤– الاعتِقاد أنَّه لا يُقْضى بين النّاس يوم القِيامَة إلّا بِشَفاعَتِه، وهي الشَّفاعَة العُظْمى التي

---

(١) أهلُ السُّنَّة والجماعَة: هم مَن كان على مِثْلِ ما كان عليه النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– وأصحابُه، وسموا أهلَ السُّنَّة؛ لاسْتِمساكِهِم واتِّباعِهِم لِسُنَّة النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، وسُمّوا الجماعَة؛ لأنَّهم اجْتَمَعوا على الحَقِّ، ولم يَتَفَرَّقوا في الدِّين، واتَّبَعوا ما أجمع عليه السَّلَف الصّالح.

يَتَخَلَّى عنها أُولو العَزْمِ مِن الرُّسُلِ [1] حتَّى تَنْتَهِي إليه، فيَسْجُد تحت العَرْشِ ويَسْتَأْذِن في الشَّفاعَة، فيقول له الرَّبُّ جلَّ وعلا:" ارْفَع رَأْسَك، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَع تُشَفَّع ".

الأسئِلَة:

س١: ماذا يجِب على المسلم لِرسولِ اللهِ محمَّد -صلى الله عليه وسلم- ؟

س٢: لِمَن أُرْسِلَ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- ؟، أُذكر الدَّليل.

س٣: ما معنى خاتم النَّبِيِّين ؟

س٤: ما عَلامَةُ محَبَّتِك للنَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ؟

س٥: ما الشَّفاعة التي يتَخلَّى عنها أُولُو العَزْمِ مِن الرُّسُلِ ؟

(١) أُولُو العَزْمِ هم: نُوحٌ وإبراهيم ومُوسى وعِيسى ومحمَّد صَلَوات اللهِ وسَلامُه عَلَيْهِم.

الدرس الستون

وُجُوبُ مَحَبَّةِ الرَّسولِ وتَعْظِيمِه وبَيانُ مَنْزِلَتِهِ والنَّهي عن الغُلُوِّ والإطْراءِ في مَدْحِهِ

وُجوبُ مَحَبَّتِه وتَعظِيمِهِ –صلى الله عليه وسلم–:

يجِب على العبد أوّلاً محبَّة اللّهِ **عز وجل** وهي مِن أعظَم أنواعِ العِبادَة، قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾[البقرة: ١٦٥]؛ لأنَّه هو الرَّبُّ المتفَضِّل على عِبادِه بجمِيعِ النِّعَم ظاهِرِها وباطِنِها، ثم بعد محبَّةِ اللّهِ تعالى محبَّة رسولِه محمّد –صلى الله عليه وسلم–؛ لأنّه هو الذي دعا إلى اللّه، وعرَّف به، وبلَّغ شرِيعَتَه، وبيَّن أحكامَه، فما حصَل لِلمُؤمنين من خيرٍ في الدُّنيا والآخِرة فعلى يَدِ هذا الرَّسول، ولا يدخل أحَدٌ الجنَّةَ إلّا بِطاعَتِهِ واتِّباعِه –صلى الله عليه وسلم– وفي الحديث:" ثَلاثٌ مَن كنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أن يكون اللّهُ ورسولُه أحَبَّ إليه مما سِواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبّه إلّا للّه، وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكُفْرِ بعد أن أنقَذَه اللّهُ منه، كما يَكْرَه أن يُقْذَفَ في النّارِ "[1].

فمحبَّة الرَّسولِ تابِعَةٌ لِمَحَبَّة اللّهِ تعالى ولازِمَةٌ لها وتَلِيها في المرتَبَةِ، وقد جاء بخصوصِ محبَّتِه–صلى الله عليه وسلم– ووُجوبِ تقدِيمها على محبَّة كلِّ محبوبٍ سِوى اللّه تعالى قولُه –صلى الله عليه وسلم–:" لا يُؤمِن أحدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه مِن وَلَدِهِ ووالِدِهِ والنّاسِ أجمعِين "[2].

بل ورد أنَّه يجب على المؤمِن أن يكونَ الرَّسول –صلى الله عليه وسلم– أحبّ إليه مِن نَفْسِه، كما في الحديث:" أنَّ عمرَ بن الخطّاب **رضي الله عنه** قال: يا رسول اللّه، لأنتَ أحبّ إليَّ مِن كلِّ شَيْءٍ إلّا مِن نفسِي. فقال: والذي نفسِي بِيَدِه حتى أكونَ أحبّ إليك مِن

([1]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم (١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم (٤٣).

([2]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم (١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم (٤٤).

نفسِك، فقال له عمر: فإنَّك الآنَ أحَبُّ إليَّ مِن نفسِي، فقال: الآن يا عُمَر "[1].

ففي هذا أنَّ محبَّةَ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم- واجِبَة ومُقَدَّمَة على محبَّة كلِّ شَيءٍ سِوى محبَّةِ اللّهِ، فإنها تابعة لها ولازِمة لها؛ لأنها محبَّةٌ في اللّهِ ولأجْلِه، تَزيدُ بزِيادَةِ محبَّةِ اللّهِ في قَلْبِ المؤمِنِ، وتَنْقُصُ بِنَقْصِها، وكلُّ مَن كان محبّاً للّهِ فإنما يحِبُّ في اللّهِ ولأجلِهِ.

قال العلّامة ابن القيم رحمه الله:" وكلُّ محبَّةٍ وتعظِيمٍ للبَشَرِ فإنما تجوزُ تَبَعاً لِمَحَبَّةِ اللّهِ وتَعظِيمِه، كمَحَبَّة رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- وتعظِيمِه، فإنها مِن تمامِ محبَّة مُرسِلِه وتَعظِيمِه، فإنَّ أُمَّتَهُ يحبِّونَه لمحبَّةِ اللّهِ له، ويُعظِّمونَه ويجِلُّونه لإجلالِ اللّهِ له، فهي محبَّة مِن مُوجِبات محبَّةِ اللّهِ ".

مُقْتَضياتُ مَحَبَّتِهِ -صلى الله عليه وسلم-:

ومحبَّتُه -صلى الله عليه وسلم- تقتَضي تعظِيمَه وتَوقيرَه واتِّباعَه، وتقديمَ قولِه على قَوْلِ كلِّ أحَدٍ مِن الخلق، وتعظِيمَ سُنَّتِه، وقد ألقى اللّهُ على النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- مِن المهابَة والمحبَّة. ولهذا لم يكُن بَشَرٌ أحبّ إلى بَشَرٍ ولا أَهْيَب وأجَلّ في صَدْرِهِ مِن رسولِ اللّه -صلى الله عليه وسلم- في صُدورِ أصحابِه رضي اللّه عنهم. قال عمرو بن العاص بعد إسلامِه: إنَّه لم يكُن شَخْصٌ أبغَضَ إليَّ منه، فلمّا أسلَمت لم يكُن شَخْصٌ أحَبَّ إليه منه، ولا أجَلّ في عَيْنِه منه، قال: ولو سُئِلْت أن أَصِفَه لكُم لَما أَطَقْت؛ لأني لم أكُن أَمْلأ عَينِي منه إجلالاً له "[2].

وقال عروة بن مسعود لقريش:" يا قوم، واللّهِ لقد وَفدتُ إلى كِسرى وقَيْصَر والملوكَ فما رأيتُ مِلِكاً يُعَظِّمُه أصحابُه ما يُعَظِّمُ أصحابُ محمَّدٍ محمّداً -صلى الله عليه وسلم-، واللّهِ ما يحدّون النَّظَرَ إليه تعظِيماً له، وما تَنَخَّمَ نخامَةً إلّا وَقَعَت في كَفِّ رَجُلٍ منهم فيَدلُكَ بها وَجْهَه وصَدْرَه، وإذا تَوَضَّأ كادوا يَقْتَتِلون على وَضُوئِه، وإذا تَكَلَّم خَفَضوا أصواتهم عندَه، وما يحدُّون النَّظَرَ إليه تَعظِيماً له "[3].

([1]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، رقم (٦٢٥٧).

([2]) رواه مسلم في صحيحه ضمن حديث طويل في كتاب الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، رقم (١٢١).

([3]) رواه البخاري في صحيحه (١٧٨/٣)، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة

النَّهي عن الغُلُوِّ والإطراءِ في مَدْحِهِ:

الغُلُوُّ: تجاوُز الحدِّ، يُقال: غَلا غُلُوّاً: إذا تجاوَزَ الحدَّ في القَدْرِ، قال تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)﴾[النساء: ١٧١]، أي: لا تجاوِزوا الحدَّ. والمراد بِالغُلُوِّ في حَقِّ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: مجاوَزَة الحدِّ في قَدْرِهِ بأن يُرْفَعَ عن مَرْتَبَةِ العُبودِيَّةِ والرِّسالَة، ويجعَلَ له شَيْءٌ مِن خَصائِصِ الإلهيَّة، بأن يُدْعَى ويُسْتَغاثَ بِه مِن دونِ اللّهِ ويحلَفَ بِه.

والإطْراءُ: مجاوَزة الحدِّ في المدحِ والكَذِب فيه.

والمراد بالإطْراء في حقِّه -صلى الله عليه وسلم-: أن يُزادَ في مَدْحِه، فقد نهى -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك بقوله:" لا تَطْرُوني كما أَطرت النَّصارى ابنَ مريم، إنما أنا عَبْدٌ، فقولوا: عَبْدُ اللّهِ ورَسولُه "[1]، أي: لا تمدَحُوني بِالباطِلِ ولا تجاوِزوا الحدَّ في مَدْحِي كما غَلَت النَّصارى في عيسى عليه السّلام، فادَّعَوا فيه الألوهية، وَصِفُوني بما وصَفَني بِه ربي، فقولوا: عبد اللّه ورسوله، وعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطَلَقت في وَفْدِ بني عامِرٍ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلنا: أنت سيِّدنا: فقال:" السَّيِّد اللّهُ تبارك وتعالى "، قلنا: وأفضَلنا فَضْلاً وأعْظَمُنا طَوْلاً، فقال:" قُولوا بِقَولِكُم أو بِبَعْضِ قَوْلِكم، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشَّيطانُ "[2].

فَكِرَهَ -صلى الله عليه وسلم- أن يمدَحُوه بهذه الألفاظ: أنت سَيِّدنا، أنت خَيْرُنا، أنت أفْضَلُنا، أنت أعْظَمُنا، مع أنَّه أفضَل الخلقِ وأشرَفُهم على الإطلاق، لكنَّه نهاهم عن ذلك ابتِعاداً بهم عن الغُلُوِّ والإطراءِ في حقِّه وحِمايَةً للتَّوحِيد، وأرشَدَهُم أن يَصِفُوه بِصِفَتَيْن هما أعلى

الشروط. وانظر: جلاء الأفهام (ص ١٢٠-١٢١).

([1]) رواه البخاري في صحيحه، وقد تقدَّم تخريجه.

([2]) رواه أبو داود بِسَنَدٍ جيِّد، كتاب الأدب، باب: في كراهية التمادح، رقم (٤٨٠٦)، وأحمد (٢٥/٤).

مَراتِب العَبْد، وليس فيهِما غُلُوٌّ ولا خَطَرٌ على العَقِيدَة، وهما: عبد اللّه ورسوله، ولم يحب أن يَرفَعُوه فوق ما أنزَلَه اللّهُ **عز وجل** مِن المنزِلَة التي رَضِيَها له، وقد خالَف نهيَه -صلى الله عليه وسلم- كثِيرٌ مِن النّاسِ، فصاروا يَدْعُونَه، ويَستَغِيثون به، ويحلِفون بِه، ويَطلُبون منه ما لا يُطْلَب إلّا مِن اللّهِ، كما يُفعَل في الموالِدِ والقَصائِد والأناشِيد، ولا يميِّزون بين حَقِّ اللّهِ وحَقِّ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-.

حُكْمُ بيانِ مَنْزِلَتِهِ -صلى الله عليه وسلم- :

لا بأسَ بِبَيانِ مَنْزِلَتِه بمدحِهِ -صلى الله عليه وسلم- بما مَدَحَه اللّهُ به، وذِكر مَنْزِلَتِه التي فَضَّلَه اللّه بها، واعتِقاد ذلك. فله -صلى الله عليه وسلم- المنزِلَة العالِيَة التي أنزَلَه اللّهُ فيها، فهو عبد اللّه ورسولُه وخِيرَتُه مِن خَلْقِه. وأفضَل الخلقِ على الإطلاق. وهو رسول اللّه إلى النّاس كافَّة، وإلى جميع الثَّقَلَيْن الجنّ والإنس. وهو أفضَل الرُّسل، وخاتم النَّبِيِّين، لا نبيَّ بعدَه، قد شَرح اللّه له صَدْره، ورَفَع له ذِكْرَه، وجَعَل الذِّلَّةَ والصَّغارَ على مَن خالَفَ أَمْرَه، وهو صاحِب المقامِ المحمودِ الذي قال اللّه تعالى فيه:﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)﴾[الإسراء: ٧٩]، أي: المقامُ الذي يُقِيمُه اللّهُ فيه لِلشَّفاعَةِ لِلنّاس يومَ القِيامَة؛ ليريحَهُم رَبُّهُم مِن شِدَّة الموقِف، وهو مَقامٌ خاصٌّ بِه -صلى الله عليه وسلم- دون غيرِه مِن النَّبِيِّين، وهو أحشى الخلقِ للّهِ وأتْقاهُم له، وقد نهى عن رَفْعِ الصَّوْتِ بحضْرَتِه -صلى الله عليه وسلم-، وأثنى على الذين يَغُضُّونَ أصواتهم عِندَه، فقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾[الحجرات: ٢ - ٥].

قال الإمام ابن كثير رحمه اللّه:" هذه آياتٌ أدَّبَ اللّهُ فيها عِبادَه المؤمِنِينَ فيما يُعامِلونَ بِه النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- مِن التَّوقِيرِ والاحتِرام والتَّبجِيلِ والإعظامِ، أن لا يَرْفَعوا أصواتهم

بين يَدَي النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– فوقَ صَوْتِه، ونهى سبحانَه وتعالى أن يُدْعَى الرَّسولُ باسمه كما يُدْعى سائِر النّاس فيُقال: يا محمَّد. وإنما يُدْعى بِالرِّسالَة والنُّبَوَّة فيقال: يا رسولَ اللّهِ، يا نَبِيَّ اللّهِ، قال تعالى:﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾[النور: ٦٣].

كما أنَّ اللّهَ سبحانَه يُنادِيه بِيا أيُّها النَّبيّ، يا أيَّها الرَّسول. وقد صلَّى اللّهُ وملائِكَتُه عليه، وأمَر عِبادَه بالصَّلاةِ والتَّسلِيم عليه فقال تعالى؛﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾[الأحزاب: ٥٦]، لكن لا يخصَّص لِمَدْحِهِ–صلى الله عليه وسلم– وَقْتٌ ولا كَيفِيَّة مُعَيَّنة إلّا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ مِن الكتاب والسُّنَّة، فما يَفعَله أصحاب الموالِد مِن تخصِيصِ اليوم الذي يَزعُمون أنَّه يوم مَولِدِه لِمَدْحِه بِدْعَةٌ مُنْكَرَةٌ.

تَعظِيمُ سُنَّتِه –صلى الله عليه وسلم–:

ومِن تِعْظِيمِه –صلى الله عليه وسلم– تَعظِيمُ سُنَّتِه واعتِقاد وُجوبِ العَمَل بها، وأنها في المنزِلَة الثّانية بعد القرآن الكريم في وُجوبِ التَّعظِيم والعَمَل؛ لأنها وَحْيٌ مِن اللّهِ تعالى، كما قال تعالى:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) ﴾[النجم: ٣ - ٤].

فلا يجوزُ التَّشكيكُ فيها والتَّقليلُ مِن شأنها، ولا الجراءة عليها بتَصحِيحٍ أو تَضعِيفٍ أو شَرْحٍ قبل الرُّسوخِ في العِلْمِ والتَّمَكُّن فيه والتَّأَهُّلِ له، وقد كَثُرَ في هذا الزَّمان تَطاوُل الجهّال على سنَّة الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم– خصوصاً مِن بعضِ النّاشِئِين الذين لا يَزالون في المراحِل الأولى مِن التَّعلِيم، فصاروا يُصَحِّحون ويُضَعِّفون الأحادِيثَ ويجرِّحون الرُّواة بغيرِ عِلْمٍ سوى قِراءَة الكُتُبِ مِن غير تَبَحُّرٍ في هذا الفَنِّ العَزِيزِ، وهذا خَطَرٌ عَظِيمٌ عَليهِم وعلى الأُمَّة، فيجِب عليهم أن يَتَّقُوا اللّهَ، ويقِفوا عند حُدُودِهِ.

الأسئِلَة:

س١: بيِّن حُكمَ محبَّة الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم–، مع الاستِدلال لذلك.

س٢: ماذا تقتَضِي محبَّة الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم- ؟

س٣: ما معنى الغُلُوِّ والإطراءِ ؟، وما المراد بهما في حَقِّ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ؟، وما حُكْمُ ذلك مع الدَّلِيلِ ؟

س٤: ما الحكْمَة في مَنْعِ الإطراءِ في حَقِّه -صلى الله عليه وسلم- ؟

س٥: ما المدحُ الذي يجوزُ في حَقِّ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ؟ أُذكُر شيئاً مِن أدِلَّة تَعظِيمِه في القرآن الكريم.

الدرس الحادي والستون

طاعَتُهُ –صلى الله عليه وسلم– والاقْتِداءُ بِه والصَّلاة والسَّلامُ عَلَيْهِ

تجِب طاعَةُ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– بِفِعْلِ ما أَمَر بِه وتَرْكِ ما نهى عنه، وهذا مِن مُقْتَضى شَهادَةِ أنَّه رَسولُ اللهِ.

الأدِلّة على وُجوب طاعَتِه –صلى الله عليه وسلم–:

وقد أمر اللّه تعالى بِطاعَته في آياتٍ كثيرةٍ:

تارَةً مَقْرونَةً مع طاعَةِ اللّهِ كما في قوله:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) ﴾[النساء: ٥٢]، وأمثال ذلك مِن الآيات.

وتارةً يأمُر بها مُفْرَدَةً، كما في قوله:﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)﴾[النساء: ٨٠].

وتارَةً يتوعَّد مَن عَصى رسولَه –صلى الله عليه وسلم– كما في قوله تعالى:﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾[النور: ٦٣]، أي: تُصِيبُهُم فِتْنَةٌ في قُلوبِهِم مِن كُفْرٍ أو نِفاقٍ أو بِدْعَةٍ أو عَذابٍ أَلِيمٍ في الدُّنيا بِقَتْلٍ أو حَدٍّ أو حَبْسٍ أو غيرِ ذلك مِن العُقوبات العاجِلَة، وقد جَعَلَ اللّهُ طاعَتَه –صلى الله عليه وسلم– سبباً لِنَيْلِ محبَّةِ اللّهِ لِلعَبْدِ ومَغْفِرَةِ ذُنوبِه، فقال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)﴾[آل عمران: ٣١]، وجَعل طاعَته هِدايَةً، ومَعْصِيَتَه ضَلالاً، قال تعالى:﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) ﴾[النور: ٥٤]، وقال تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾[القصص: ٥٠].

التَّأسِّي بِه –صلى الله عليه وسلم–:

أخبَر سبحانَه وتعالى أنَّ فيه القُدْوَةَ الحسَنَة لأمَّتِه، فقال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾[الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير رحمه اللّه تعالى:" هذه الآية الكريمة أصلٌ كبِيرٌ في التَّأَسِّي بِرسولِ اللّه –صلى الله عليه وسلم– في أقوالِه وأفعالِه وأحوالِه، والله تبارَك وتعالى أَمَر النّاسَ بِالتَّأسِّي بِالنَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– يومَ الأحزابِ في صَبْرِهِ ومُصابَرَتِه ومُرابَطَتِه ومجاهَدَتِه وانتِظارِه الفَرَج مِن رَبِّه **عز وجل** صَلوات اللّه وسَلامُه عليه دائِماً إلى يَوْمِ الدِّينِ ".

شِدَّة الحاجَةِ إلى مَعْرِفَةِ سُنَّتِهِ –صلى الله عليه وسلم–:

ذكَر اللّهُ طاعَة الرَّسولِ واتِّباعَه في نحوِ أربعين مَوْضِعاً مِن القرآنِ، فالنُّفوسُ أَحْوَج إلى مَعرِفَة ما جاء بِه واتِّباعه منها إلى الطَّعام والشَّراب، فإنَّ الطَّعامَ والشَّراب إذا فاتَ الحصولُ عليهِما حَصَل الموت في الدُّنيا، وطاعَة الرَّسولِ واتِّباعُه إذا فاتا حَصَل العَذابُ والشَّقاء الدّائِم، وقد أَمَر –صلى الله عليه وسلم– بالاقتِداءِ بِه في أداء العباداتِ، وأن تُؤَدَّى على الكيفِيَّة التي كان يُؤَدِّيها بها، فقال –صلى الله عليه وسلم–:"صلُّوا كما رَأيتُموني أُصَلِّي " [(١)]، وقال:" لِتَأخُذُوا عنِّي مَناسِكَكم "[(٢)]، وقال:" مَن عَمِل عَمَلاً ليس عليه أَمْرُنا فهو رَدٌّ "[(٣)].

([١]) رواه البخاري في صحيحه (١/١٥٥)، كتاب الأذان، باب: الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة كذلك، مِن حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

([٢]) رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه. قال: رأيت النَّبي صلّى الله عليه وسلّم يُومِئ على راحِلَتِه يوم النَّحر ويقول:" لتأخذوا عنِّي مَناسِكَكم فإنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بعد حَجَّتِي هذه "، وفي كتاب الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله صلّى الله عليه وسلّم:" لِتأخُذوا مَناسِكَكم "، رقم (١٢٩٧).

([٣]) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدَثات الأمور، رقم (١٧١٨).

وقال:" مَن رَغَبَ عن سُنَّتي فليس مِنِّي "[1] إلى غيرِ ذلك من النُّصوص التي فيها الأَمْرُ بالاقتِداء بِه والنَّهْيِ عن مخالَفَتِه.

الصَّلاة والسَّلام على الرَّسول –صلى الله عليه وسلم– :

مَشْروعِيَّتُها:

مِن حقوقِه –صلى الله عليه وسلم– على أُمَّتِه الصَّلاة والسَّلام عليه، قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾[الأحزاب: ٥٦].

مَعناها:

ومعنى صَلاةُ اللّهِ تعالى عليه: ثَناؤُهُ عليه عند الملائِكَة، وصَلاةُ الملائِكَة الدُّعاءُ [2]. وقد أخبر اللّه سبحانَه في هذه الآية عن مَنزِلَة عَبْدِه ونَبِيِّه عنده في الملأ الأعلى بأنَّه يُثْني عليه عند الملائِكَة المقَرَّبين، وأنَّ الملائِكَة تُصَلِّي عليه، ثم أمَر تعالى أهلَ العالم السُّفلِيِّ بالصَّلاةِ والتَّسلِيم عليه؛ ليَجْمَع له الثَّناءَ عليه مِن أهلِ العالم العُلْوِيِّ والسُّفْلِيِّ.

ومعنى " وسَلِّموا تَسْلِيماً " أي: حَيُّوه بِتَحِيَّة الإسلامِ، فإذا صلَّى على النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فليَجْمَع بين الصَّلاة والتَّسلِيم، فلا يقتَصِر على أحدِهما، فلا يقول: صلَّى اللهُ عليه فقط، ولا يقول: عليه السَّلام فقط؛ لأنَّ اللّهَ تعالى أَمَرَ بِهما جميعاً.

مَواطِنُها:

تُشْرَع الصَّلاة والسَّلام عليه –صلى الله عليه وسلم– دائِماً، وتَتَأَكَّد شَرْعِيَّتُها في مَواضِع إمّا

([1]) رواه البخاري في صحيحه (١٦٦/٦)، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ومسلم، كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لِمَن تاقَت نفسه إليه ووجد مَؤونة، رقم (١٤٠١).

(٢) ذكره البخاري في صحيحه (٣٧/٦) عن أبي العالية ،كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، باب: قوله تعالى:" إن الله وملائكته يصلون على النبي " الآية.

وُجوباً، وإمّا استِحْباباً مُؤَكّداً، وذَكَر ابن القَيِّم رحمه اللّه في كتابه " جلاء الأفهام " قَرِيباً مِن أربَعِين مَوْطِناً، بدَأها بِقَوْلِه الموطِن الأوَّل: وهو أهمُّها وآكَدُها في الصَّلاةِ في آخِر التَّشَهُّد، وقد أجمع المسلمون على مَشروعِيَّتِه واختَلفوا في وُجوبِه فيها [1]، ثم ذَكَر مِن المواطِنِ: آخِر القُنوت وفي الخطَبِ كخطبَة الجمعة والعِيدَين والاستِسْقاء، وبعد إجابَة المؤَذِّن، وعند الدُّعاء، وعند دُخولِ المسجِد والخروجِ منه، وعند ذِكْرِهِ -صلى الله عليه وسلم- [2].

فَوائِد الصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-:

لِلصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ثمرات كَثِيرَة، منها:

١- امْتِثالُ أَمْرِ اللّهِ سبحانَه بذلك.

٢- حُصول عَشْر صَلواتٍ مِن اللّهِ على المصَلِّي مَرَّةً.

٣- رَجاء إجابَةِ الدُّعاء إذا قدَّمها أمامَه.

٤- أنها سبَب لِغفرانِ الذُّنوب.

٥- أنها سبَب لِرَدِّ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- على المصَلِّي والمسلِّم عليه، فصَلوات اللّهِ وسَلامُه على هذا النَّبيِّ الكريم [3].

الأسئِلَة:

س١: ما حُكْمُ طاعَةِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ؟، وما الدَّلِيل على ذلك ؟، أُذكُر شيئاً مِن ثمراتها.

س٢: ما حكم الصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- مع الاستِدلال، وما معنى الصَّلاة والتَّسلِيم عليه ؟

---

(١) جلاء الإفهام (ص ٢٢٢) وما بعدها.

(٢) وقد قال بعض أهل العلم بوجوب الصّلاة والسّلام عليه عند ذكره واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلَّم:" البَخِيل مَن ذُكِرت عندَه فلَم يُصَلّ عليّ ".

(٣) جلاء الأفهام (ص ٣٠٢).

س٣: أُذكر بَعضَ المواضِع التي تَتَأكَّد فيها الصَّلاة والسَّلام على النّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

س٤: اذكر شيئاً مِن ثمرات الصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

الدَّرس الثاني والستون

الواجِبُ لِصَحابَةِ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-

مِن أُصولِ أهل السُّنَّةِ والجَماعَة:

١- أنَّ الصَّحابَةَ الكِرامَ كُلَّهُم عُدولٌ.

٢- محبَّةُ أصحابِ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنَّ محبَّتَهُم دِينٌ وإيمانٌ، وبُغْضُهم كُفْرٌ ونِفاقٌ.

٣- التَّرَضِّي عنهم، والاسْتِغفارُ لهم.

٤- اعْتِقاد أنَّهم أفْضَلُ الأُمَّةِ وخَيرُها بِشَهادَةِ رسول اللهِ -صلى الله عليه وسلم- في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام:« خَيْرُ النّاسِ قرني »[(١)]، ونهى عن سَبِّهِم والتَّعَرُّضِ لهم بِالأذَى.

قال الله تعالى يَصِفُ حُبَّ المؤمنين لِمَن سَبَقَهُم مِن إخوانِهِم:﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) ﴾[الحشر: ١٠].

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:« لا تَسُبُّوا أحَداً مِن أصحابي، فإنَّ أحدَكُم لو أنْفَقَ مِثْل أُحُدٍ ذَهَباً ما أدْرَك مُدَّ أحَدِهِم ولا نَصِيفَه »[(٢)].

٥- اتِّباعُ طَرِيقَتِهِم في فَهْمِ الدِّينِ والعَمَلِ بِه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشَّهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد، برقم (٢٦٥٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم (٢٥٣٣) مِن حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب: قول النبي -صلى الله عليه وسلم- :« لو كنت متخذاً خليلاً »، برقم (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، برقم (٢٥٤١)، واللَّفظ له.

الأسئِلَة:

س١: ماذا يجب على المسلِم لِصَحابَة رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- ؟

س٢: اختر الجواب الصَّحيح فيما يأتي:

- محبَّة أصحابِ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-.

أ- أصلٌ مِن أُصولِ أهل السُّنَّة والجماعَة ( ).

ب- مَندوبٌ مِن المندوباتِ ( ).

ج- مَكروهٌ مِن المكروهاتِ ( ).

- المسلمُ يَعْتَقِد أنَّ الصَّحابَةَ:

أ- أفضَلُ العَرَبِ فقط ( ).

ب- أفضَلُ أهلِ مَكَّة فقط ( ).

ج- أفضَلُ الأُمَّة ( ).

س٣: لو سمعت أحداً يَسُبُّ أحداً مِن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فما حُكْمُ فِعْلِه؟، وبماذا تَنْصَحُه ؟

س٤: أُذْكر الدَّليل مِن الكتاب والسُّنَّة على النَّهي عن سَبِّ الصَّحابَةِ.

الدرس الثالث والستون

فَضْلُ الصّحابَةِ وما يَجِب اعتِقادُهُ فِيهِم

ومَذْهَب أهلِ السُّنّة والجَماعَة فِيما حَدَثَ بَيْنَهم

المُراد بِالصَّحابَة، وما الذي يجِب اعتِقادُه فيهِم

الصَّحابَة جمع صَحابِيٍّ: وهو مَن لَقِيَ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- مُؤمناً بِه، وماتَ على ذلك.

والذي يجِب اعتِقاده فيهم: أنهم أفضَلُ الأُمَّةِ وخيرُ القُرونِ لِسَبْقِهِم واختِصاصِهم بِصُحْبَةِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- والجهادِ معه وتحمُّلِ الشَّرِيعَةِ عنه وتَبْلِيغِها لِمَن بَعْدَهُم، وقد أثنى اللّهُ عليهِم في محكَم كِتابِهِ، قال تعالى:﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾[التوبة: ١٠٠].

ففي هذه الآيَة وَصَفَهُم بِالتَّراحُمِ فيما بينَهم، والشِّدَّةِ على الكُفّار، ووَصَفَهم بِكثرَةِ الرُّكوعِ والسُّجود، وصَلاحِ القُلُوبِ، وأنَّهم يُعرَفون بِسِيما الطّاعَة والإيمان، وأنَّ اللهَ اختارَهم لِصُحبَةِ نَبيِّه لِيَغِيظَ بهم أعداءَه الكُفّارَ، وقال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾[الحشر: ٨ - ٩].

ففي هذه الآيَة وَصَفَ اللهُ المهاجِرين بِتَرْكِ أوطانهم وأموالهم مِن أجْلِ اللّهِ ونُصْرَةِ دِينِهِ وابتِغاءِ فَضْلِه ورِضوانِه، وأنهم صادِقون في ذلك. ووَصَفَ الأنصارَ بأنهم أهل دارِ الهجرَةِ والنُّصْرَةِ والإيمانِ الصّادِقِ، ووَصَفَهُم بمحَبَّةِ إخوانهم المهاجِرين وإيثارِهِم على أنفسِهِم ومُواساتهم لهم وسَلامَتِهِم مِن الشُّحِّ، وبذلك حازوا على الفَلاحِ.

هذه بَعضُ فَضائِلِهِم العامّة، وهناك فضائِل خاصّة ومَراتِب يَفضل بها بَعضُهم بَعْضاً رضِي اللّه عنهم، وذلك بحسب سَبْقِهم إلى الإسلام والجهادِ والهجْرَة.

قال الطَّحاوي رحمه الله:" ونحبُّ أصحابَ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- ولا نُفَرِّط في حُبِّ أحَدٍ منهم، ولا نَتَبَرَّأ مِن أَحَدٍ منهم، ونُبْغِض مَن يُبْغِضُهُم وبِغَيْرِ الخيرِ يَذْكُرُهُم، ولا نَذْكُرُهُم إلّا بخيرٍ، وحُبُّهُم دِينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفاقٌ وطُغْيانٌ [1].

تَفاضُلُ الصَّحابَةِ:

فأفضَل الصَّحابَةِ الخلفاءُ الأربَعَة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي **رضى الله عنهم**، ثم بِقِيَّة العَشَرَة المبشَّرِينَ بالجنَّة، وهم طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد **رضى الله عنهم**، ويَفْضُلُ المهاجرون على الأنصارِ، وأهل بَدْرٍ وأهل الرّضوان، ويَفضُل مَن أسلَم قبل الفتح وقاتَل على مَن أسلَم بعد الفتح، قال تعالى:﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) ﴾[الحديد: ١٠].

مَذْهَب أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَة فِيما حَدَث بين الصَّحابَةِ مِن القِتالِ والفِتْنَةِ:

سَبَبُ الفِتْنَةِ: تَآمَرَ اليَهودُ على الإسلامِ وأهلِه فَدَسُّوا ماكِراً خَبِيثاً تَظاهَر بالإسلامِ كَذِباً وزوراً هو عبد الله بن سبأ مِن يَهُود اليَمَن، فأخَذ هذا اليَهودِيّ يَنْفُث حِقدَه وسمومَه ضِدّ الخليفة الثّالث مِن الخلفاء الرّاشِدين: عثمان بن عفان **رضي الله عنه** وأرضاه، ويختَلِق التُّهَم ضِدَّه، فالتَفّ حولَه مَن انخَدَع بِه مِن قاصِري النَّظَرِ وضِعافِ الإيمانِ ومحبِّي الفِتْنَةِ، وانتَهَت المؤامَرَةُ بِقَتْلِ الخليفَةِ الرّاشِد عثمان **رضي الله عنه** مَظلوماً، وعلى إثْرِ مَقْتَلِه حَصَلَ الاختِلاف بين المسلمين وشَبَّت الفِتْنَة بِتَحرِيضٍ مِن اليَهودِيّ وأتباعِه وحَصَل القِتال بين الصَّحابَة عن اجتِهادٍ منهم.

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (ص ٤٢٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه:" فلمّا قُتِلَ عثمان **رضي الله عنه** تفَرَّقَت القلوبُ وعَظُمَت الكُروب، وظَهَرت الأشرارُ وذَلَّ الأخيارُ، وسَعَى في الفتنة مَن كان عاجِزاً عنها، وعَجَزَ عن الخيرِ والصَّلاحِ مَن كان يحِبُّ إقامَتَه، فبايَعوا أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب **رضي الله عنه** وهو أحَقّ النّاسِ بِالخلافَة حينَئِذٍ وأفضَل مَن بَقِي، لكن كانت القُلُوب مُتَفَرِّقَة، ونارُ الفِتْنَة مُتَوَقِّدة، فلم تَتَّفِق الكَلِمَة، ولم تَنْتَظِم الجماعَة، ولم يَتَمَكَّن الخليفَة وخِيارُ الأُمَّة مِن كلِّ ما يريدونَه مِن الخير ودَخَل في الفُرْقَة والفِتْنَة أقوامٌ، وكان ما كان "[1].

ومَذْهب أهلِ السُّنّة والجماعة في الاختِلاف الذي حصَل والفِتْنَة التي وَقَعَت مِن جَرّائِها الحروب بين الصّحابَة يَتَلَخَّص في أُمُورٍ:

الأمر الأوّل: أنهم يمسِكون عن الكَلامِ فيما حَصَل بين الصَّحابَة، ويكفُّون عن البَحْثِ فيه؛ لأنَّ طَرِيقَ السَّلامَة هو السُّكُوتُ عن مِثْلِ هذا، ويقولون:﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) ﴾[الحشر: ١٠].

الأمر الثّاني: الإجابَة عن الآثارِ المَرْوِيَّة في مَساوِئِهِم، وذلك مِن وُجوهٍ:

الأوَّل: أنَّ هذه الآثار مِنها ما هو كَذِبٌ قد افتَراه أعداؤُهُم لِيُشَوِّهوا سمعَتَهُم.

الثّاني: أنَّ هذه الآثار منها ما قد زِيدَ ونُقِص فيه وغُيِّرَ عن وَجْهِهِ الصَّحيح، ودَخَلَه الكَذِب، فهو محرَّفٌ لا يُلْتَفَتُ إليه.

الثّالث: أنَّ ما صَحَّ مِن هذه الآثار – وهو القَلِيل – هم فيه مَعذورُون؛ لأنهم إمّا مجتَهِدون مُصيبون، وإمّا مجتَهِدون مخطِئون، فهو مِن مَوارِدِ الاجتِهاد الذي إن أصاب المجتَهِد فيه فله أجران، وإن أخطأ فله أجرٌ واحِد، والخطَأ مَغفُورٌ؛ لِما في الحديث: أنَ رسولَ اللّه –صلى الله عليه وسلم– قال:" إذا حَكَم الحاكِم فاجْتَهَد ثم أصابَ فله أجران، وإذا حكم فاجتَهَد ثم أخطأ فلَه أَجْرٌ "[2].

([1]) مجموع الفتاوى (٣٠٤/٢٥ – ٣٠٥).

([2]) رواه البخاري في صحيحه (١٥٧/٨)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو

الرابع: أنهم بَشَرٌ يجوزُ على أفرادِهم الخطأ، فهم ليسوا مَعصُومين مِن الذُّنوب بِالنِّسبة للأفرادِ، ولكن ما يَقَع مِنهم فله مُكَفِّرات عدِيدَة، منها:

١ – أن يكون قد تاب منه، والتَّوبة تمحو السَّيِّئَة مهما كانت، كما جاءت به الأدلّة.

٢ – أنَّ لهم مِن السَّوابِق والفَضائِل ما يُوجِبُ مَغْفِرَة ما صَدَر منهم، – إن صدر – قال تعالى:﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)﴾[هود: ١١٤]، ولهم مِن الصُّحبَة والجِهادِ مع رَسولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– ما يَغْمُر الخطأَ الجزئِيّ.

٣ – أنهم تُضاعَف لهم الحسنات أكثَر مِن غيرِهِم ولا يُساوِيهِم أَحَدٌ في الفَضْلِ، وقد ثَبَت بقول رسول اللّه –صلى الله عليه وسلم–:" أنهم خيرُ القُرون، وأنَّ المُدَّ مِن أحَدِهِم إذا تَصَدَّق بِه أفضَل مِن جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً إذا تَصَدَّق بِه غيرُهُم " [1] رضي اللّه عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه:" وسائِر أهلِ السُّنَّة والجماعَة وأئِمَّة الدِّين لا يَعتَقِدون عِصْمَة أَحَدٍ مِن الصَّحابَة ولا القَرابَة ولا السّابِقِينَ ولا غيرهم؛ بل يجوز عندَهم وُقوعُ الذُّنوب منهم، واللّه تعالى يَغْفِر لهم بِالتَّوبَة ويرفَع لهم دَرَجاتهم ويغفِر لهم بحسناتٍ ماحِيَةٍ أو بِغيرِ ذلك مِن الأسبابِ "[2].

مِن مَسالِك أهلِ البدع وأعداءِ الدِّينِ اسْتِغلالُ ما حَدَثَ بين الصَّحابَةِ:

وقد اتخذَ أعداءُ اللّهِ ما وَقَعَ بين الصَّحابَةِ وَقْتَ الفِتْنَةِ مِن الاختِلاف والاقتِتالِ سَبَباً لِلوقِيعَةِ بهم والنَّيْلِ مِن كَرامَتِهِم، وقد جرى على هذا المخطَّطِ الخبِيثِ بعض الكُتّابِ المعاصِرِين الذين يعرفون بما لا يُعرَفون فجَعلوا أنفُسَهم حَكَماً بين أصحابِ رَسولِ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم–

أخطأ، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (١٧١٦).

(١) في الحديث المتَّفق عليه الذي أخرجه البخاري في صحيحخ (١٩١/٤)، كتاب فضائل الصحابة، باب: قول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلَّم لو كنت متخذاً خليلاً، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: تحريم سَبّ الصَّحابَة رضي الله عنهم، رقم (٢٥٤٠، و ٢٥٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦٩/٣٥).

يُصَوِّبون بعضَهم ويخطِّئون بعضَهم بِلا دَلِيلٍ، بل بالجهلِ واتِّباع الهوى وتَرْدِيدِ ما يقوله المغرِضون والحاقِدون مِن المستشرقِين وأذنابِهم حتى شَكَّكوا بعض ناشِئَة المسلمين ممن ثَقافَتُهُم ضَحْلَةٌ بِتارِيخِ أُمَّتِهِم المجيدَة، وسلَفِهِم الصّالح الذين هم خيرُ القرونِ، لِيَنْفُذوا بِالتّالي إلى الطَّعن في الإسلامِ وتَفْرِيقِ كَلِمَة المسلمين، وإلقاءِ البُغْضِ في قُلُوبِ آخِر هذه الأُمَّة لأوَّلها بَدلاً مِن الاقتِداءِ بِالسَّلَفِ الصّالح والعَمَلِ بقولِهِ تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) ﴾[الحشر: ١٠].

الأسئِلَة:

س١: ما المراد بالصَّحابة ؟ وما الذي يجب اعتِقاده فيهِم مستدِلّاً لذلك ؟

س٢: مَن أفضَل الصَّحابة ؟ اذكر تَرتِيبَهُم حسَب الأفضَلِيَّة.

س٣: ما سبب الفِتَن التي وَقَعَت في عهد الصَّحابَة ؟

س٤: ما الذي يعتقِده أهلُ السُّنَّة في الصَّحابَةِ الذين عاَصروا الفِتْنَة واقتَتلوا فيها، وما اعتِذارُهم عن ذلك ؟

لدرس الرابع والستون

النَّهْيُ عن سَبِّ الصَّحابَةِ وأئِمَّةِ الهُدَى

النَّهي عن سَبِّ الصَّحابَة:

مِن أُصولِ أهل السُّنَّة والجماعَة سَلامَة قُلوبهم وألسِنَتِهِم لأصحابِ رسولِ اللّه –صلى الله عليه وسلم– كما وصَفَهم اللّهُ بذلك في قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) ﴾[الحشر: ١٠]، وطاعَة لرسول اللّه –صلى الله عليه وسلم– في قولِه:" لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسِي بيَدِه لو أنفَقَ أحَدُكُم مِثْل جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغ مُدَّ أحَدِهِم ولا نَصِيفَه "[1].

ويتبَّرءُون مِن طريقَة الرّافِضَة والخوارِج الذين يسُبُّون الصَّحابة رضي اللّه عنهم ويُبْغِضُونهم ويجحَدون فَضائِلَهُم ويُكفِّرون أكثَرَهُم.

وأهل السُّنَّة يَقبَلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ويعتقدون أنهم خير القرون كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه:"خيرُكُم قرني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يلونهم "، قال عمران: لا أدرِي أذَكَر النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– بعده قَرنَيْن أو ثَلاثَة " الحديث[2] .

قال أبو زرعة – وهو أجلّ شيوخ الإمام مسلم –:" إذا رأيتّ الرَّجُلَ ينتقِص امرأً مِن الصَّحابة فاعلَم أنَّه زِندِيقٌ، وذلك أنَّ القرآنَ حقٌّ، والرَّسولَ حقٌّ، وما جاءَ بِه حَقٌّ، وما أدَّى إلينا ذلك كلَّه إلّا الصَّحابَةَ، فمَن جَرَّحَهم إنما أراد إبطالَ الكِتابَ والسُّنَّة، فيكون الجرحُ بِه أَلْيَقُ والحكم عليه بِالزَّندَقَةِ والضَّلالِ أَقْوَمُ وأَحَقُّ ".

قال العلّامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين:" مَن سَبَّ أحداً مِن الصَّحابَةِ مُسْتَحِلّاً كَفَر،

([1]) الحديث متفق عليه، وقد تقدَّم تخريجه.

([2]) رواه البخاري في صحيحه (١٥١/٣)، كتاب الشَّهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهِد، رقم (٢٥٦١)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: فَضائِل الصَّحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٥).

وإن لم يَسْتَحِلّ فَسَقَ – وعنه يَكْفُر مُطلَقاً –، ومِن فَسَّقَهُم أو طَعَنَ في دِينِهِم أو كَفَّرَهُم كَفَرَ "[1]، وقال تعالى في شَأْنِ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾[الفتح: ٢٩].

وقد استدلَّ الإمام مالك رحمه الله بهذه الآية على تَكفيرِ الذين يُبْغِضونَ الصَّحابَة رضي الله عنهم قال: لأنهم يُغيظونهم، ومَن غاظَه الصَّحابَةُ فهو كافِرٌ لهذه الآية، ووافَقَه غيرُه مِن العُلَماءِ على ذلك [2].

النَّهي عن سَبِّ أئِمَّة الهُدَى مِن عُلَماءِ هذه الأُمَّةِ:

يلِي الصَّحابَة في الفَضِيلَة والكَرامَة والمنزِلَة أئِمَّة الهدى مِن التابِعِين وأتباعِهِم مِن القُرونِ المفضَّلَة ومَن جاء بعدَهم ممَّن تَبِعَ الصَّحابَةَ بإحسانٍ كما قال تعالى:﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾[التوبة: ١٠٠]، فلا يجوز تَنَقُّصُهُم وسَبُّهُم؛ لأنهم أعلامُ هُدىً، فقد قال تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾[النساء: ١١٥].

قال شارح الطَّحاوية:" فَيَجِب على كلِّ مُسلِمٍ بعد مُوالاةِ اللّهِ ورَسولِه: مُوالاةُ المؤمِنِينَ، كما نَطَقَ بِه القرآنُ خُصوصاً الذين هم وَرَثَة الأنبياء، الذين جعلَهم اللّهُ بمنزِلَة النُّجومِ يُهتَدى بهم في

([1]) شرح عقيدة الفارِيني (٢/ ٣٨٨ – ٣٨٩).

(٢) انظر: كتاب الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيثمي (٦٠٧/٢)، طبعة مؤسَّسة الرِسالة.

ظُلَماتِ البَرِّ والبَحرِ، وقد أجمع المسلمون على هِدايَتِهِم ودِرايتِهِم.

لهم الفَضْلُ علينا، والمنَّةُ بِالسَّبْقِ وتَبلِيغِ ما أُرسِلَ بِه الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- إلينا، وإيضاحِ ما كان مِنه يخفَى عَلَيْنا، فرَضِيَ اللهُ عنهم وأرضاهُم،﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾[الحشر: ١٠].

فإنهم خُلفاء الرَّسولِ في أُمَّتِه، والمحيُون لِما ماتَ مِن سُنَّتِه، فبِهِم قامَ الكتابُ وبِه قامُوا، وبهم نَطَقَ الكِتابُ وبِه نَطَقوا، وكُلُّهُم مُتَّفِقون اِتِّفاقاً يَقِيناً على وُجوبِ اتِّباعِ الرَّسولِ -صلى الله عليه وسلم-، ولكن إذا وَجِد لِواحِدٍ منهم قَوْلٌ قد جاء حَدِيثٌ صَحِيحٌ بخلافِه فلا بُدَّ له في تَرْكِه مِن عُذْرٍ ".

وجِماع الأعذارِ ثَلاثَةُ أصنافٍ:

أحدها: عَدَم اعتِقادِه أنَّ النّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قالَه.

الثاني: اعتِقادُه أنَّه ما أرادَ تلك المسألَة بذلك القول.

الثالث: اعتِقادُه أنَّ الحكمَ مَنسوخٌ [1].

والحطَّ مِن قَدْرِ العلماءِ بِسَبَبِ وُقوعِ الخطأ الاجتِهادِيِّ مِن بعضِهِم هو مِن طَرِيقَةِ المبتَدِعَة، ومِن مخطَّطاتِ أعداءِ الأمَّة لِلتَّشكِيكِ في دِينِ الإسلامِ ولإيقاعِ العَداوَةِ بين المسلِمِين، ولأجل فَصْلِ خَلَفِ الأُمَّةِ عن سَلَفِها، وبَثّ الفُرْقَة بين الشَّبابِ والعُلَماء كما هو الواقِع الآن، فَلْيَنْتَبِه لذلك بعض الطَّلَبَةِ المبتدئِين الذين يحطُّون مِن قَدْرِ الفُقهاءِ ومِن قَدْرِ الفِقْهِ الإسلامِيِّ ويُزَهِّدون في دِراسَتِه والانتِفاع بما فيه مِن حَقٍّ وصَوابٍ، فليَعْتَزُّوا بِفِقْهِهم ولْيَحتَرِمُوا عُلماءَهُم، ولا يَنْخَدِعوا بِالدِّعايات المضَلِّلَة والمغْرِضَةِ، واللهُ الموفِّق.

الأسئِلَة:

س١: ما حُكْم مَن سَبَّ الصَّحابة مع الاستِدلال ؟

---

(١) انظر: شرح الطحاوية بتخريج الألباني (ص ٤٩١) بتصرف.

س٢: ما حُكْم سَبِّ أئِمَّة الهدى مِن علماءِ هذه الأمَّة مُستدلاً لِما تقول ؟

س٣: ما الجواب عن خَطأ بعض العلماءِ في بعض المسائِل الفِقْهِيَّة ؟

الدَّرس الخامس والستون

الواجِب لِلخَلفاءِ الرّاشِدِين رَضِيَ اللهُ عنهم

مِن أُصولِ أهل السُّنَّة والجَماعَة:

أنَّ الخلفاءَ الرّاشِدينَ هُم الأربَعَةُ الذين تَوَلَّوا الخلافَةَ بعد وَفاةِ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-، وهم: أبو بكر الصِّدِّيق، وأبو حفص الفاروق عمر بن الخطّاب، وعثمان بن عفّان، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، ويجب لهم على الأُمَّةِ حُقوقٌ، منها:

١- حُبُّهم والتَّرضِي عنهم.

٢- تَرتِيبُهم حَسْبَ الأفْضَلِيَّة والخلافَة، كما دَرَجَ عليه السَّلَف مِن تقديم أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين.

فتَقْدِيم أبي بكر رضي الله عنه؛ لِتَقْديم رَسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- له في الصَّلاةِ على جميع الصَّحابة؛ ولِقوله -صلى الله عليه وسلم-:« لو كُنْتُ مُتَخِذاً خَلِيلاً لاتَّخذت أبا بكر خَلِيلاً، ولكن أخِي وصاحِبي »[(١)].

وتقديم عمر رضي الله عنه؛ لِتقديم أبي بكر رضي الله عنه له، وتقدِيم عثمانَ رضي الله عنه؛ لِتقديم أهلِ الشُّورى له، وتقديم علي رضي الله عنه؛ لِفَضْلِه وإجماعِ أهل عَصْرِهِ عليه.

٣- الأخذُ بهدْيِهم مع هَدْيِه -صلى الله عليه وسلم- كما أمَرَ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- بذلك في قوله:« فَعلَيْكُم بِسُنَّتي وسُنَّة الخلفاءِ الرّاشِدِين المهدِيِّين، عَضّوا عليها بِالنَّواجِذِ »[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب: قول النبي -صلى الله عليه وسلم- :« لو كنت مُتَّخِذاً خليلاً» رقم (٣٦٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بِالسُّنَّة واجتِناب البدع، برقم (٢٦٧٦)، وقال أبو عيسى:" هذا حديث حسن صحيح "، واللَّفظ له، وابن ماجه في المقدمة، باب: اتِّباع سنَّة الخلفاء الرّاشدين المهديين، برقم (٤٢) وأحمد في المسند (١٢٦/٤، ١٢٧). والنَّواجِذ: جمع ناجِذ، وهي:

الأسئِلَة:

س١: اذْكر الخلفاءَ الرّاشدين؟، وما تَرتِيبُهم مِن حيث الأفضَلِيَّة ؟

س٢: أكمِل النَّصّ:

قال -صلى الله عليه وسلم-:« فعليكم بِسُنَّتي وسُنَّة ..... المهدِيِّين ..... ».

س٣: ما الواجب علينا تجاه الخلفاءِ الرّاشدِين ؟

س٤: لماذا كان أبو بكر أفضَل الصَّحابَة رضي الله عنهم ؟

س٥: ما حُكْمُ الأخْذِ بهدي الخلفاءِ الرّاشِدِين رضي الله عنهم، مع ذِكْرِ الدَّليل.

س٦: لو سمعت أحداً يَسُبُّ أحداً مِن الخلفاءِ الرّاشدين رضي الله عنهم. فما حُكْمُ فِعْلِهِ ؟، وبماذا تَنْصَحُه ؟

الأضراسُ التي بعد النّابِ، وهذا مَثَلٌ في شِدَّةِ الاسْتِمساكِ بِالأَمْرِ.

الدرس السادس والستون

فَضْلُ أهلِ البَيْتِ وما يَجِب لَهُم

أَهْلُ البَيْتِ:

أهل البَيت هم آلُ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– الذين حَرَّم عليهِم الصَّدقَةَ، وهم آل عليٍّ، وآل جَعْفَرٍ، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارِث بن عبد المطَّلب، وأزواج النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– وبَناتُه.

أدِلَّة فَضْلِ أهلِ البَيْتِ:

قوله تعالى:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)﴾[الأحزاب: ٣٣].

وقال –صلى الله عليه وسلم–:" أُذَكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بَيْتِي "[1].

دُخولُ نِساءِ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– في أَهْلِ البَيْتِ:

قال تعالى:﴿﴾إلى قوله:﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) ﴾[الأحزاب: ٣٢ – ٣٤].قال الإمام ابن كثير رحمه اللّه:" ثمَّ الذي لا يُشَكُّ فيه مَن تَدَبَّر القُرآنَ أنّ نِساءَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، رقم (٢٤٠٨).

النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- داخِلاتٌ في قوله:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)﴾[الأحزاب: ٣٣].

فإنَّ سِياق الكلامِ مَعَهُنَّ، ولهذا قال بعد هذا كلِّه:﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)﴾[الأحزاب: ٣٤]، أي: واعمَلْنَ بما يُنَزِّلُ اللهُ تبارك وتعالى على رَسولِه -صلى الله عليه وسلم- في بُيوتِكُنَّ مِن الكتاب والسُّنَّةِ، قال قتادة وغير واحد: واذْكُرنَ هذه النِّعمَةَ التي خُصِّصْتُنَّ بها مِن بين النّاس، وأنَّ الوحيَ يَنْزِل في بُيوتِكُنّ دون سائِر النّاس، وعائشة الصِّديقَة بنت الصِّدِّيق رضي اللّه عنها أوْلاهنَّ بهذه النِّعمَة، وأحظاهنَّ بهذه الغنيمة، وأخصُّهُنّ مِن هذه الرَّحمةِ العَمِيمَة، فإنَّه لم يَنزِل على رسولِ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- الوَحْي في فِراشِ امرأةٍ سِواها، كما نَصَّ على ذلك صلَوات اللّهِ وسَلامُه عليه [(١)]، وقال بعض العلماء: لأنَّه لم يتَزَوَّج بِكراً سِواها، ولم يَنَم معها رَجُلٌ في فِراشِها سِواه -صلى الله عليه وسلم- - يريد أنها لم تتَزوَّج غيرَه - فناسَب أن تخصَّصَ بهذِه المزِيَّة، وأن تفرَد بهذه المرتَبَة العَلِيَّة، ولكن إذا كان أزواجُه مِن أهل بَيْتِه فَقرابَته أحقُّ بهذه التَّسمِيَة [(٢)].

مَذهَب السَّلفِ في أهلِ البَيْتِ:

مَوقِف السَّلف مِن أهل البيت مَوقِفُ الاعتِدالِ والإنصافِ، يتولَّونَ أهلَ الدِّين والاستِقامة منهم ويحبّونهم ويكرِمُونهم ويحفظَون فيهم وَصِيَّةَ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنَّ ذلك مِن محبَّة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وإكرامِه، ويتبَرَّءون ممن خالَفَ السُّنَّة وانحرَفَ عن الدِّين ولو كان مِن أهل البَيْتِ، فإن كَوْنَه مِن أهلِ البَيْتِ ومِن قَرابَةِ الرَّسولِ لا تَنْفَعُه شَيئاً حتى يَسْتَقِيمَ على دِينِ اللهِ، فقد روى أبو هريرة **رضي الله عنه** قال: قام

---

(١) جزءٌ مِن حديث طويل، انظر: صحيح البخاري (١٣٢/٣)، كتاب الهبة، باب: من أهدى إلى صاحِبه وتحرَّى بعض نسائِه دون بعض.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير، تفسير سورة الأحزاب.

رسول اللّه –صلى الله عليه وسلم– حين أنزل عليه:﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾[الشعراء: ٢١٤]، فقال يا معشر قريش – أو كَلِمَة نحوَها – اشتَروا أنفُسَكُم لا أغني عنكم مِن اللهِ شيئاً، يا عبّاس بن عبد المطَّلب لا أُغْنِي عنك مِن اللّه شيئاً، يا صَفِيَّةَ عَمَّة رسولِ اللّهِ لا أُغْنِي عنكِ مِن اللّه شيئاً، ويا فاطِمَة بنتَ محمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– سَلِينِي مِن مالي ما شِئْتِ لا أُغني عنكِ مِن اللّهِ شيئاً " [1] والحديث:" مَن بَطّأَ بِه عَمَلُه لم يُسْرِع بِه نَسَبُه "[2]، ويتَبرَّأ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة مِن طَرِيقَة الرَّوافِضِ الذين يَغْلُون في بعضِ أهلِ البيت ويَدَّعون لهم العِصْمَة، ومِن طَرِيقَة النَّواصِب الذين يَنصِبُونَ العَداوَةِ لأهلِ البَيْتِ المستَقِيمِين ويَطْعَنون فيهِم، ومِن طَرِيقَة المبتَدِعَة والخرافِيّين الذين يتوسَّلون بأهل البيت ويتَّخذونهم أرباباً مِن دون الله.

فأهلُ السُّنَّة في هذا الباب وغيرِه على النَّهج المعتدلِ والصِّراطِ المستَقِيم الذي لا إفراطَ فيه ولا تَفْريط، ولا جفاءَ ولا غُلُوّ في حقِّ أهل البيت وغيرِهم، وأهل البَيْت المستقيموَن يُنكِرون الغُلُوَّ فيهم ويتبرَّءون مِن الغلاة، فقد حرَّق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **رضي الله عنه** الغُلاةَ الذين غَلَوا فيه بِالنّار. وأقرَّه ابن عباس **رضي الله عنه** على قتلِهم، لكنَّه رأى قَتْلَهم بِالسَّيْفِ بَدلاً مِن التَّحرِيقِ، وطَلَب علي **رضي الله عنه** عبد اللهَ بن سَبأ رأس الغُلاة لِيَقْتُلَه لكنَّه هَرَبَ واخْتَفَى.

الأسئِلَة:

س١: مَنْ أهلُ البَيْتِ ؟، وما الذي يجِب في حَقِّهِم ؟، وما شَرْطُ ذلك مع الاستِدلال.

س٢: ما حُكْمُ الغُلُوِّ في حَقّ أهل البيت ؟، وحُكْم الجفاءِ فيهِ ؟

([1]) رواه البخاري في صحيحه (١٩/٣)، كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النِّساء والوَلَد في الأقارب، وانظر: صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب: في قوله تعالى:" وأنذر عشيرتك الأقربين "، رقم (٢٠٦).

([2]) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر، رقم (٢٦٩٩).

الدَّرس السابع والستون

الواجِبُ لِزَوْجاتِ نَبِيِّنا –صلى الله عليه وسلم–

مِن أُصولِ أهلِ السُّنَّة والجَماعَة:

أنَّ زَوْجات رَسولِنا –صلى الله عليه وسلم– أُمَّهاتُ جَمِيعِ المؤمِنِين [1]، قال تعالى: ﴿ ﴾ [الأحزاب: ٦].

ويجبُ لهنَّ على الأُمَّةِ حُقوقٌ، مِنها:

١– محبَّتُهُنَّ والتَّرضِي عَنْهُنَّ.

٢– اعتِقادُ أنهنَّ مُطَهَّراتٌ مُبرّآتٌ مِن كُلِّ سُوءٍ، كما قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾[الأحزاب: ٣٣].

وأفضَلُهُنَّ خديجة بنت خُوَيْلِد، وعائِشة بنت الصديق رضي الله عنهنَّ أجمعين.

فأمّا خديجة بنت خويلد فهي أوَّل زوجاتِ الرَّسول –صلى الله عليه وسلم–، وأوَّل مَن آمَن بِرسالَتِه، ونَصَرَتْه وآزَرَتْه، ومنها جميع أولادِه إلّا إبراهيم؛ فإنَّه مِن مارِية القِبْطِيَّة.

وأمّا عائِشَة الصِّدِّيقَة بنت الصِّدِّيق أبي بكر رضي الله عنهما فهي المبَرَّأة مِن فَوْقِ سَبْعِ سماوات، وما نَزَلَ على رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم– الوَحْي في لحافِ امرَأَةٍ غيرها، وكانت مِن أكثَرِ الصَّحابَة عِلْماً وفِقْهاً في الدِّينِ، وكان الصَّحابَة رضي الله عنهم يَسألُونها عن أُمُورِ الشَّرْعِ وأحكامِه.

---

(١) قال ابن قيم الجوزية رحمه الله في زاد المعاد (١/١١٤):" ولا خِلاف أنَّه **–صلى الله عليه وسلم–** توفي عن تِسْعٍ، أو كان يقسم منهن لِثَمان: عائشة بنت الصديق، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت جحش، وأمّ سلَمة هند بنت أبي أمية، وصفِيَّة بنت حُيي بن أخطب، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث، وسَوْدَة بنت زمعة، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن أجمعين ".

الأسئِلَة:

س١: ما الواجِب لِزَوجاتِ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-.

س٢: ما حُكْمُ مَن سَبَّ زَوجاتِ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-، أو تَعَرَّضَ لهنَّ بِأَيِّ نَوْعٍ مِن الأذى ؟

س٣: أُذكر بعض صِفاتِ خديجَة بنت خُوَيْلِد رضي الله عنها.

س٤: أُذكر بعض صِفاتِ عائِشَة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنها وعن أبِيها.

س٥: لو سمعت أحداً يَسُبُّ إحدى زَوجاتِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فما حُكْمُ فِعْلِه ؟، وبماذا تَنْصَحُه ؟ وما مَوْقِفُك منه ؟

الدَّرس الدرس الثامن والستون

الواجِبُ لأئِمَّة المُسلِمِينَ

مِن أُصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَة:

١- السَّمْعُ والطّاعَةُ لأئِمَّةِ المسلمين، بَرِّهِم وفاجِرِهِم، ما لم يأمُروا بمعصِيَة اللهِ، فإنَّه لا طاعَةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيَة الخالِق.

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) ﴾[النساء: ٥٩].

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:« على المرءِ المسلِم السَّمع والطّاعة فِيما أحَبَّ وكَرِه، إلّا أن يُؤمَر بمعْصِيَة، فإن أُمِرَ بمعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طاعَة » [(١)].

٢- إقامَةُ الحجِّ والجُمَعِ والجهادِ في سَبِيلِ اللهِ معهم.

٣- عَدَم الخروجِ عليهم لِما في ذلك مِن الفُرْقَةِ وإثارَةِ الفِتَنِ بين المسلمِينَ.

الأسئِلَة:

س١: ماذا يجب على المسلمين لِوَلِيِّ أمرِهِم ؟

س٢: لماذا لا يجوز الخروجُ على وَلِيِّ أَمْرِ المسلمين وإن كان فاجِراً ؟

س٣: هل يجوز طاعَة وَلِيِّ الأمْرِ إذا أَمَر بمعْصِية ؟، مع ذِكْرِ الدَّليل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب: السَّمع والطّاعة للإمام ما لم تكن معصية، برقم (٧١٤٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٣٩)، واللَّفظ له مِن حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الدَّرس التاسع والستون

وُجوبُ الإيمانِ بِما وَرَدَ في السُّنَّة مِن الأحادِيث الصَّحيحَةِ

مِن أُصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَة:

الإيمانُ بِكُلِّ ما وَرَدَ في السُّنَّةِ مِن الأحادِيث الصَّحِيحَة المنقولَة عن الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم–، كالأحادِيث الوارِدَة في الإسراءِ والمعراجِ، وأشراطِ السَّاعَة، ونَعِيمِ القَبْرِ وعَذابِهِ، وأحوالِ القِيامَةِ.

الإسْراءُ والمِعراجُ:

الإسراءُ: ذهابُ الرَّسولِ –صلى الله عليه وسلم– مِن مَكَّة إلى بَيْتِ المقدِس على البُراق لَيْلاً.

المِعْراجُ: صُعودُ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– بِصُحْبَةِ جبريل عليه الصَّلاة والسَّلام إلى السَّماءِ السّابِعَة، ثم عَوْدَتُه إلى مَكَّة في تلك اللَّيْلَةِ.

وقد وَرَدَ تَفْصِيل ذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه:« أنَّ رسولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– أُتي بِالبُراقِ فَرَكِبَه حتى أتى بَيْت المقدِس فدخل المسجِد وصلَّى فيه ركعتين، ثم عُرِجَ بِه إلى السَّماء، فاسْتَفْتَح جَبريل فَفُتِح لهما، وصَعدَ رَسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– وجِبريل السَّمواتِ السَّبع، وبَلَغَ الرَّسولُ –صلى الله عليه وسلم– سِدْرَةَ المنْتَهى، وفُرِضَت عليه الصَّلَوات الخمْس، ثم عادَ مِن لَيْلَتِهِ » [1].

* الإسراء والمعراج مِن مُعجِزاتِه –صلى الله عليه وسلم–، ومِن الأدِلَّة على صِدْقِ نُبُوَّتِه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، برقم (٣٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى السموات، وفرض الصلوات، برقم (١٦٢) في حديث طويل. والبُراق: دابَّة أبيض طَويلٌ، فَوْقَ الحمارِ ودون البَغْل، يَضَعُ حافِرَه عند مُنْتَهى طَرفِه. سِدْرَة المنتَهَى: شَجَرَةٌ عَظِيمَة في السَّماء السّابعة، يَنْتَهي إليها عِلْمُ الأوَّلِينَ والآخِرين ولا يَتَعدّاها.

الأسئِلَة:

س١: أجب بـ (صح)، أو (خطأ)، مع تَصْحِيح الخَطأ فيما يأتي:

- المعراجُ: هو رِحْلَة الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- مِن مَكَّة إلى بَيْتِ المقدِسِ

( ).

- مِن أُصولِ أهل السُّنَّة والجماعَة: الإيمانُ بِكُلِّ ما وَرَدَ عن رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- مِن أحادِيث صَحِيحَة.

( ).

- الإسراء: هو صُعودُ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- بِصُحْبَةِ جبريلَ عليه الصَّلاة والسَّلام إلى السَّماء السّابِعَة.

( ).

س٢: ما معنى الإسراء والمعراج ؟

س٣: في الإسراء والمعراج دَلِيلٌ على نُبُوَّةِ الرَّسول -صلى الله عليه وسلم-. اشرَح ذلك.

س٤: متى فُرِضت الصَّلاة ؟، وعَلامَ يَدُلُّ ذلك ؟

الدَّرس السبعون

نَعِيمُ القَبْرِ وعَذابُهُ

* الإيمانُ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وهي: سُؤالُ المَيِّتِ إذا دُفِنَ في قَبْرِهِ عن رَبِّهِ، ودِينِهِ، ونَبِيِّهِ –صلى الله عليه وسلم–.

* الإيمانُ بِنَعِيمِ القَبْرِ وعَذابِهِ، وهو إمّا رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الجنَّة، أو حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النّارِ.

* وَرَدَ تَفْصِيل أحوالِ القبر في حديث أنس رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– قال:« إنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتَوَلَّى عنه أصحابُه – وإنَّه لَيَسْمَع قَرْعَ نِعالِهِم– أتاه مَلَكان [1] فَيُقْعِدانِه فيَقولانِ: ما كنت تقول في هذا الرَّجُلِ ؟ لمحمَّد –صلى الله عليه وسلم– ؟ فأمّا المؤمِن فيقول: أشهَد أنَّه عبدُ اللهِ ورَسولُه. فيُقال له: انظُر إلى مَقْعَدِك مِن النّار، قد أبْدَلَك اللهُ بِه مَقْعداً مِن الجنَّة – فيَراهما جَمِيعاً –، وأمّا المنافِقُ والكافِر فيُقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرَّجُلِ ؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يَقُولُه النّاس، فيُقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْت، ويُضْرَب بمطارِقَ مِن حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فيَصِيح صَيْحَةً يَسْمَعُها مَن يَلِيهِ غير الثَّقَلَيْنِ » [2].

ولذا يجِبُ على المسلِم أن يُؤْمِن بِعذابِ القَبْرِ ونَعِيمِه، وأن يَسْتَعِدَّ لِما بعد الموتِ حينَما يَبْقى وَحِيداً في قَبْرِهِ قد تَرَكَه أهلُه وأصحابُه، ولا يَنْفَعُه إلّا عَمَلُه الصّالِح.

الأسئِلَة:

س١: ما المراد بِفِتْنَةِ القَبْرِ ؟

---

(١) وهما مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:« إذا قُبِرَ الميِّت أتاه مَلَكان أسودان أزرقان يُقال لأحدِهما: المنكر، والآخَرِ: النَّكير » أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، برقم (٧١). وقال أبو عيسى:" حديث حسن غريب ".

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر برقم (١٣٧٤)، واللَّفظ له، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب: عَرْض مَقْعَدِ الميِّتِ مِن الجنَّةِ والنّارِ عليه، برقم (٢٨٧٠).

س٢: بم يُمتَحَن الرَّجُلُ إذا وُضِعَ في قَبْرِه ؟

س٣: ما جَواب المؤمِن إذا سُئِلَ في قَبْرِه ؟

س٤: ما جَواب الكافِرِ أو المنافِقِ إذا سُئِلَ في قَبْرِه ؟

س٥: ماذا ينبغي لِلمُؤمِن أن يَفْعَل حتَّى يَنْجُو مِن عَذابِ القَبْرِ ؟

س٦: قال تعالى:﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾[إبراهيم: ٢٧]. أُذكر بَعْضَ الفَوائِد والعِبَر مِن هذه الآية.

الدَّرس الحادي والسبعون

مِن أحوالِ يَوْمِ القِيامَةِ

يَسْبِق قِيام السّاعَةِ عَلاماتٌ كَثِيرةٌ، مِنها ما جاء في حديث حذيفة بن أسيد الغِفاريّ رضي الله عنه قال: اطَّلَع النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– علينا ونحن نَتَذاكَر فقال:« ما تَذكرون » قالوا: نَذْكُر السّاعَة، قال:« إنها لن تقوم – يعني السّاعة – حتَّى تَرَوْا قَبْلَها عَشْرَ آياتٍ، فذكر منها: الدُّخان، والدَّجّال، والدّابَّة، وطُلوع الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، ونُزُول عِيسى ابن مريم عليه الصَّلاة والسَّلام، ويَأجُوج ومَأجوُج، وثَلاثة خُسوفٍ: خَسْف بِالمشرِقِ، وخَسْف بِالمغرِبِ، وخَسْف بجزِيرَةِ العَرَب، وآخِر ذلك نارٌ تخرُجُ مِن اليَمَنِ تَطْرُدُ النّاسَ إلى محشَرِهِم » [(١)].

فإذا قامَت القِيامَة بَعَثَ اللهُ الأمواتَ جمِيعَهُم الأوَّلِين والآخِرِين.

ثم يَحْشُرُ اللهُ العِبادَ ويَقضِي بينَهم كما جاء ذلك في حديث عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه أنَّه سمع النَّبيَّ –صلى الله عليه وسلم– يقول:« يُحشَر النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ عُراةً غُرلاً بُهْماً، قلنا: وما بُهْماً ؟ قال: ليس معهم شَيْءٌ، ثم يُنادِيهِم بِصَوْتٍ يَسْمَعُه مَن بَعُدَ كما يَسْمَعُه مَن قَرُبَ: أنا الملِك، أنا الدَّيّان، ولا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِن أهلِ النّار أن يَدْخُلَ النّارَ وله عند أحَدٍ مِن أهلِ الجنَّة حَقٌّ حتَّى أقصّه مِنه، ولا يَنْبَغي لأحَدٍ مِن أهلِ الجنَّة أن يَدْخُلَ الجنَّةَ ولأحَدٍ مِن أهلِ النّارِ عندَه حَقٌّ حتَّى أقصّه مِنه، حتَّى اللَّطْمَة، قال، قلنا: كيف وإنما نَأْتي اللهَ عزَّ وجَلَّ عُراةً غُرْلاً بُهْماً ؟ قال: بِالحسَناتِ والسَّيِّئاتِ »[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث رقم (٢٩٠١)، والدُّخان قيل: دُخانٌ يأخُذ بِأَنْفاس الكُفّار، ويأخُذ المؤمِنَ منه كَهَيْئَة الزُّكام، ويكون قُرْبَ قِيامِ السّاعَة. الدَّجال: هو رَجُلٌ كذّاب كافِرٌ يخرج في آخِر الزَّمان ويَدَّعي الرُّبوبِيَّة، ويحصُل على يَدَيْه خَوارِق كثيرَةٌ، فيَغْتَرُّ به كَثِيرٌ مِن النّاس ويَتَّبِعوه، ويَطُوف في الأرضِ، ثم يَقْتُله عيسى بن مريم عليه الصَّلاة والسَّلام. والدّابَّة: هي دابَّة يخرِجُها اللهُ قُرْبَ قِيامِ السَّاعة، قال الله تعالى عنها:﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)﴾[النمل:٨٢].

(٢) رواه الإمام أحمد (٤٩٥/٣)، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة حم المؤمن (٤٣٨/٢).

القِصاصُ بين العِبادِ يكون بأن يُعطَى المظلومُ مِن حَسناتِ الظّالِمِ، فإذا لم يكن له حَسَناتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئاتِ المظلُومِ فَوُضِعَت على الظّالِمِ.

الأسئِلَة:

س١: أكمل ما يأتي:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:« إنها لن تقوم - يعني السّاعة - حتى تَرَوا قبلَها عَشرَ آياتٍ، فذكر: الدّخان والدَّجّال و ....
....
.... ».

س٢: بيِّن كيف يُحشَر النّاس يوم القِيامَة ؟

س٣: متى يبعثُ اللهُ الأمواتَ ؟

س٤: متى يَدْخُل الجَنَّةَ مَن كان عليه لأحَدٍ مَظْلَمَةٌ أو دَيْنٌ ؟

س٥: متى يَدْخُل النّارَ مَن كان عليه لأحَدٍ مَظْلَمَةٌ أو دَيْنٌ ؟

س٦: لماذا حذَّر الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- مِن الدَّجّال ؟

غُرلاً: غير مَخْتونِينَ. الدَيّان: القاضِي والحاكِم ومجازِي النّاسِ على أعمالهم. أقصه: أُمَكِّنه مِن الاقتِصاصِ والتَّقاضِي عنه. اللَّطْمَة: الضَّرْبَة على الوَجْهِ.

الدَّرس الثاني والسبعون

عَدَمُ الحُكْمِ لأحَدٍ مِن أهلِ القِبْلَةِ بِجَنَّةٍ أو نارٍ

مِن أُصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَة:

* عَدَمُ القَطْعِ لأحَدٍ مِن أهلِ القِبْلَةِ بجنَّةٍ أو نارٍ إلّا لِمَن شَهِد له النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بذلك؛ بل يَرجُونَ لِلْمُحْسِنِ الثَّوابَ، ويخافون على المُذْنِبِ العِقابَ.

* مَن شَهِد له الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- بأنَّه مِن أهلِ الجنَّة فإنَّنا نجزِمُ بِأنَّه سَيدخلها؛ لأنَّ الرَّسولَ -صلى الله عليه وسلم- لا يَنْطِق عن الهوى، وممَّن شَهِد لهم الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- بذلك: العَشَرَةُ المُبشَّرون بِالجنَّة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة بن عبد الله، والزّبير بن العوّام، وسعد بن أبي وقّاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم.

* وقد شَهِد الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- لغيرِ هؤلاء بالجنَّة، مثل: الحسن والحسين رضي الله عنهما، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-:« الحسن والحسين سَيِّدا شَبابِ أهلِ الجنَّة »[1]. وعُكاشَة بن محصن الذي أخبر -صلى الله عليه وسلم- أنَّه مِن السَّبعِين ألفاً الذين يدخلون الجنَّة بِلا حِسابٍ ولا عَذابٍ [2].

* الكافِر الذي ماتَ على الكُفْرِ بعد سماعِهِ بِالإسلام لا شَكَّ أنَّه مِن أهلِ النّارِ.

الأسئِلَة:

س١: هل يجوز لمسلِمٍ أن يحكُمَ لأحَدٍ أنَّه مِن أهلِ الجنَّةِ أو النّارِ، والرَّسولُ لم يَشْهَد له

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب: مناقب الحسن والحسين، رقم (٣٧٦٨)، وقال أبو عيسى الترمذي:" حديث حسن صحيح ".

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، رقم (٦٥٤١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الدَّليل على دخول طَوائف مِن المسلمين الجنَّة بغير حسابٍ ولا عَذاب، رقم (٢١٦).

بِذلك ؟

س٢: هل يجوزُ أن يُحْكَمَ لِكافِرٍ بعد سماعِهِ عن الإسلامِ أنَّه مِن أهلِ النَّارِ، وهو لَمْ يَمُت بَعْد ؟

س٣: إذا شَهِد الرَّسولُ -صلى الله عليه وسلم- لأحَدٍ أنَّه مِن أهلِ الجنَّة، فماذا يجب علينا تجاهَه ؟

س٤: عَدِّد أسماءَ العَشَرَةِ المبشَّرِينَ بِالجنَّة.

الدرس الثالث والسبعون

الوَلاءُ والبَراءُ (تَعامُلُ المُسلِم مع المُسلِم وغَيْرِ المُسْلِم)

مُقَدِّمَة:

تحرِص المجتمَعات على تَوْثِيقِ العَلاقَة بين الأفراد المنتَمِين لها ورَبْطِهِم بِوَشائِجَ مِن التَّقارُبِ والتَّآلُفِ والحقوقِ المشتركَة، وربما نَزَعَ كَثِيرٌ منها إلى الغُلُوِّ في حُقوقِ أفرادِها في مُقابِل هَضْمِ حُقوقِ الآخَرِين، والغايَةُ مِن دِراسَة هذا الموضوع: بَيان ما يجِب على المسلِم تجاهَ إخوانِه ومجتَمَعِه وأُمَّتِه، وما يجِب عليه تجاهَ غيرِ المسلِمِين.

١- تَعْرِيفُ الوَلاءِ والبَراءِ:

الوَلاء في اللُّغَة: مَصدَر والى فُلاناً بمعنى أَحَبَّه وناصَرَه وقَرُبَ مِنه.

وفي الشَّرع: القُرْبُ مِن المسلمين بمَوَدَّتِهِم ومُناصرَتِهِم.

والبَرَاء في اللُّغة: يُطلَق على مَعانٍ، منها: التَّباعُدُ مِن الشَّيءِ ومُفارَقَتُه.

وفي الشَّرع: التَّباعُد مِن الكُفْرِ، واجْتِنابُ مُشابهة أَهْلِه في عَقائِدِهِم وأعمالهم الباطِلَة، وعَدَمُ مُناصَرَتِهم على المسلِمِينَ.

٢- مَكانَةُ الوَلاءِ والبَراءِ في الإسلامِ:

إنَّ مِن لَوازِمِ التَّوحِيد أن تُوالي أهلَه وتَتَبَرَّأ ممَّن عادَى الإسلام، قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾[المائدة: ٥٥ - ٥٦].

وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾[الممتحنة: ١].

وقال تعالى:﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾[المجادلة: ٢٢].

كما أنَّ لِلوَلاءِ والبَراءِ في السُّنَّة مَكانَةً عَظِيمَة فهما مِن أوثَق عُرى الإيمان، كما في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" أوثَقُ عُرى الإيمانِ الحبُّ في اللهِ والبُغْضُ في الله "[1].

فتبيَّن مِن هذه الأدِلَّة وُجوب مُوالاةِ المؤمِنِينَ والبَراءَة مِن أعدائِهِم، وبيان ما في ذلك مِن الخيرِ الكَثِيرِ.

٣– مِن لَوازِمِ مُوالاةِ المُؤمِنِينَ:

أ– الأخُوَّة الإسلامِيَّة:

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾[الحجرات: ١٠]، وقال –صلى الله عليه وسلم–:" المسلِم أخو المسلِم لا يَظْلِمُه ولا يخذُلُه ولا يحقِرُهُ "[2]. فيَجِب على كلِّ مُسلِمٍ أن يَرعَى حَقَّ الأخُوَّةِ، ومِن تحقِيقِ هذه الأخوَّة

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨٠/٧)، رقم (٣٤٣٣٨)، والطيالسي في مصنفه (١٠٧/١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (٩٩٨).

(٢) جزء مِن حديث رواه مسلم في صحيحه مِن حديث أبي هريرة، كتاب البِرّ والصّلة، باب: تحريم ظلم المسلِم وخذله واحتقاره، رقم (٢٥٦٤).

الوُقوف مع المسلِمين في حالِ اليُسْرِ والعُسْرِ والرَّخاءِ والشِّدَّةِ، وحُبّ الخيرِ لهم، والتَّعَرُّف على أحوالهم، والاهتِمامِ بِقَضاياهُم، وبَذْلِ الوُسْعِ والجهْدِ في نُصْرَتِهم.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" مَثَل المؤمِنِينَ في تَوادِّهم وتَراحُمِهِم وتَعاطُفُهِم مَثَلُ الجسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجسَدِ بِالسَّهَر والحمَّى "[1]، وقال –صلى الله عليه وسلم–:" المؤمِن لِلمُؤمِن كالبُنْيان يَشُدُّ بعضُه بَعْضاً، وشَبَّك بين أصابعه "[2].

ب– المُناصَرَةُ: وهي مُعاونَتُهُم بِالنَّفْسِ والمالِ حَسَب الاستِطاعَة، قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)﴾[الأنفال: ٧٢]، وقال الرسول –صلى الله عليه وسلم–:" انصُر أخاك ظالِماً أو مَظْلُوماً، فقال رَجُلٌ يا رسولَ اللهِ، أنصُرُه إن كان مَظلُوماً، أفرَأَيْت إذا كان ظالِماً كيف أَنْصُرُه، قال: تحجزُه أو تمنَعُه مِن الظُّلْمِ فإنَّ ذلك نَصْره "[3]، فمِن نصْرَته أن يمنَعَه مِن الباطِلِ ويحمِيه مِنه بِالحكمَةِ والرِّفْقِ.

ج– **المُناصَحَة والأَمْرُ بِالمَعروفِ والنَّهيُ عن المُنْكَرِ**، لقوله تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾[التوبة: ٧١]، وقوله –صلى الله عليه وسلم–:"الدِّين النَّصِيحة قالها ثلاثاً، قلنا: لِمَن ؟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: رحمة النّاس والبهائم، برقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصِّلَة، باب: تَراحُم المؤمِنين وتَعاطُفُهم وتَعاضُدُهم، برقم (٢٥٨٦)، واللَّفظُ له.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب: نصر المظلوم، رقم (٢٤٤٦)، ومسلم في كتاب البر والصّلة، باب: تراحم المؤمنين، برقم (٢٧٨٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإكراه، باب: يمين الرَّجُلِ لِصاحِبِه أنَّه أخوه، رقم (١٩٥٢).

قال: للهِ ولِكتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأئِمَّةِ المسلِمِينَ وعامَّتِهِم " [1].

د- السَّمْعُ والطّاعَة لِوُلّاةِ الأَمْرِ: إنَّ وِحْدَةَ المسلِمِين وأُمَّتِهِم مَطْلَبٌ أساس في حَياتِهم، وهذا ما لا يمكِن تحصِيلُه إلّا بِالسَّمع والطّاعة لِوُلّاة الأَمْر، والتِزام الجماعَة، ولذا فإنَّ طاعَة وُلّاةِ الأمر مِن مُقتَضياتِ مُوالاة المؤمِنِين، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾[النساء: ٥٩].

وقد دلَّت نصوصُ الكِتابِ والسُّنَّة على عِظَمِ شَأْنِ اجتِماع كَلِمَة المسلِمين وَوِحْدَتِهم ولُزومِ جماعَتِهِم، وحَذَّرَت مِن التَّفَرُّقِ ونهت عن الخروجِ عن جماعَةِ المسلِمِين وإمامِهِم، قال تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾[آل عمران: ١٠٣]، وعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال:" دَعانا النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- فبايَعْناه، فقال فيما أخَذَ علينا أن بايَعَنا على السَّمْعِ والطّاعَة في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرَةٍ عَلَيْنا، وأن لا نُنازِعَ الأَمْرَ أهلَه إلّا أن تَرَوْا كُفْراً بَواحاً عندكم مِن اللهِ فيه بُرْهانٌ " [2]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال:" مَن رأى مِن أميرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُه فَلْيَصْبِر عليه، فإنَّه مَن فارَقَ الجماعَةَ شِبْراً فماتَ فَمِيتَة جاهِلِيَّة "[3].

٤- الفَرْقُ بين المُداهَنَةِ والمُداراةِ:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أنَّ الدِّين النَّصيحة، برقم (٥٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، رقم (٧١٩٩)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء، رقم (٤٧٦٨)، واللَّفظ له.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة، رقم (٧١٤٣)، ومسلم ، كتاب الإمارة، باب: وُجوب مُلازَمة جماعَة المسلمين، رقم (١٨٤٩)، واللَّفظُ له.

المُداهَنَة هي: المصانَعَةُ مع تَرْكِ المناصَحَةِ، حيث يَتْرُكُ المداهِنُ الأمرَ بِالمعروفِ والنَّهْيَ عن المنكَرِ، ويَتَغاضى عن ذلك لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ أو هَوىً نَفْسِيٍّ.

وقد حذَّر اللهُ رَسولَه -صلى الله عليه وسلم- ممّا طَلَبَه المشرِكون منه مِن المداهَنَةِ حيث قال تعالى:﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)﴾[القلم: ٩].

المُداراةُ: هي الملايَنَةُ التي تُدْرَأُ بها المفْسَدَة والشَّرُّ، ويكون ذلك بِالقَوْلِ اللَّيِّنِ، وتَرْكِ الغِلْظَةِ، والإعراضِ عن صاحِبِ الشَّرِّ إذا خِيفَ شَرُّهُ، أو خِيفَ مِن حُصولِ شَرٍّ أكبَر ممّا هو مُقْتَرِفٍ، أو كان ممن تُرْجَى هِدايَتُه.

٥- نَماذِجُ مِن الوَلاءِ والبَراءِ:

أ- مِن نماذِج الموالاةِ في اللهِ: مَوْقِفُ الأنصارِ **رضى الله عنهم** مِن إخوانهم المهاجِرين **رضى الله عنهم** والذي ذَكَره اللهُ بِقَوْلِه تعالى﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾[الحشر: ٩].

﴿ □ □ □ ﴾ أي: سَكَنُوا دارَ الهجْرَةِ وآمَن كَثِيرٌ مِنْهُم قَبْلَ كثِيرٍ مِن المهاجرين، وهُم الأنصارُ ﴿ □ □ □ □ ﴾ أي: مِن كَرَمِهِم وشَرَفِ أنفُسِهِم يحبَّون المهاجِرِينَ ويُواسونهم بِأموالهم ﴿ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ أي: لا يجِدون حِقْداً لإخوانهم على ما آتاهُم اللهُ مِن فَضْلِه: ﴿ □ □ ﺟ ﺣ ﺧ ﺳ ﴾ أي: يُقَدِّمُونَ المحاوِيجَ على أنفُسِهِم ولو كانوا هم محتاجِين، فيُقَدِّمون دَفْعَ حاجَةِ إخوانهم على دَفْعِ حاجَةِ أَنْفُسِهِم.

ب- مِن نماذِجِ البَراءِ: ما وردَ في سورة الممتحنة في حَقِّ الذين قاتلوا المسلمينَ وآذوهُم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، أمّا مَن لم يُقاتِلوا المسلِمين ولم يُظاهِروا على إخراجِهِم فإنَّ اللهَ لم يَنْهَ عن بِرِّهِم والإقساطِ إليهِم كما قال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ

دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

٦- الاستِعانَة بِغَيْرِ المُسلِمِينَ:

أ- يجوزُ لِلمُسلِم أن يَستَعِينَ بغيرِ المسلِم في بعضِ أُمورِ حَياتِه إذا وَثِقَ بِه، فقد استَعانَ -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر رضي الله عنه بعبد الله بن أُرَيْقِط الدؤلي ولم يكن مُسلِماً ليدَلَّهما في سَفَرِ الهجرَةِ، كما استعان -صلى الله عليه وسلم- بغيرِ المسلِمِين في زِراعَة أرضِ خَيْبَر لخبْرَتهم بذلك، وجعل لهم شَطْرَ ما يخرُج منها، وبِناءً على ذلك لا يزال المسلِمون يَسْتَفِيدون مِن خِبرات غيرِهِم في الطِّبِّ والحسابِ والفَلَكِ والتِّجارَةِ وغيرِ ذلك.

ب- يجوزُ لوليِّ أمرِ المسلِمِين الاستِعانَة بغيرِ المسلمين إذا وَثِقَ بهم وكان بِالمسلِمِين حاجَة لِذلك، وقد ذَكَر ابن القَيِّم رحمه الله أنَّ الاستِعانَة بِالمشرِكِ المأمونِ في الجهاد جائِزَةٌ عند الحاجَةِ؛ لأنَّ عَيْنَ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- في الحدَيْبِيَة كان مُسلِم بن خُزاعَة، ويرى الشَّيخ محمّد بن عبد الوهاب أنَّ الانتِفاعَ بغيرِ المسلمين في بعضِ أُمورِ الدِّين ليس مَذْمُوماً لِقَصَّة الخزاعِيّ[1].

ج- لا يجوزُ أن يجعَل لغيرِ المسلِم سُلْطَةً عامَّة على المسلمين؛ لأنَّ اللهَ تعالى نهى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

٧- التَّعامُل مع غيرِ المُسلِمِينَ:

وهم مِن حيث التَّعامُل مَعَهُم على ثَلاثَةِ أنواعٍ:

النَّوع الأوَّل: المعاهَدون على إقرارِهِم على دِينِهِم وإقامَتِهِم في بِلادِ المسلمين وتحت

(١) ملحق مصنفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بعض فوائد صلح الحديبية (ص ٧)، وانظر: زاد المعاد لابن القيم (٣٠١/٣).

حِمايَتِهِم، وهؤلاء يجب الوَفاءُ لهم بالعَهْدِ، فلا يجوز الاعتِداءُ عليهِم في دِمائِهِم وأموالهم أو حُقوقِهِم؛ لأنها مَعصُومَةٌ لا يحلُّ شيءٌ مِنها إلّا بِوَجْهٍ شَرْعِيٍّ، لقوله -صلى الله عليه وسلم-:" مَن قَتَلَ مُعاهَداً لم يَرَحْ رائِحَة الجنَّة "[1]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-:" ألا مَن ظَلَم مُعاهداً أو انتَقَصَه حَقَّه أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طاقَتِه أو أخَذَ مِنه شَيْئاً بِغَيرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنه فَأنا حَجِيجُهُ يَوْمَ القِيامَة "[2].

النَّوع الثّاني: المعاهَدون على كَفِّ القِتالِ، والمسْتَأمَنون: وهم الذين لهم أَمانٌ، كَسُفراءِ الدُّوَلِ غيرِ المسلِمَة، والرُّسُل والمندُوبين، ومَن قَدِمَ لِتِجارَةٍ أو لِمَعرِفَةِ الإسلامِ، فهؤلاء يحتَرَمُون في دِمائِهم وأموالهم وحُقُوقِهِم، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦].

ولقوله -صلى الله عليه وسلم-:" إني لا أَخِيسُ – أي: أَنْقُض- بِالعَهْدِ ولا أَحْبِسُ البُرُد "[3].

النَّوع الثّالث: المحارِبون والمعْتَدون، وهؤلاء قد أَمَر اللهُ بِرَدِّ عُدْوانهم وقِتالهم، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

٨- نَماذِج مِن التَّعامُل مع غَيْرِ المُسلِمِينَ:

١- ما أمَر اللهُ به مِن الإحسان إلى الوالِدَيْن وإن كانا مُشْرِكَين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]. وقال -صلى الله عليه وسلم- لأسماء

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب: إثم مَن قَتَل معاهداً بغير جرم، برقم (٣١٦٦).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب: في تعشير أهل الذِّمَّة إذا اختلفوا بالتِّجارات، برقم (٣٠٥٢).

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب: في الإمام يستحن به في العهود، والبُرد: الرُّسُل.

بنت أبي بكر رضي الله عنها:" صِلِي أُمَّكِ "، حين سَأَلَتْهُ عن صِلَتِها، وهي مُشْرِكَةٌ [1]، وأهدى عمرُ رضي الله عنه لأخِيه حُلَّةً قبل أن يُسْلِمَ [2].

ب- عَدَم إكراهِهِم في الدِّينِ أو سَبِّ آلهتِهِم، لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ج- عِيادَة مَرِيضِهِم ورِعايَة جِوارِهِم بالإحسانِ إليهم، لقوله -صلى الله عليه وسلم-:" مَن كان يُؤْمِن بالله واليوم الآخِر فَلْيُحسِن إلى جارِهِ "[3]. وهذا عامٌّ لِلمُسلِم وغيرِهِ.

وقد ذكر أهل العلم أنَّ الجارَ المشرِكَ له حَقّ الجوارِ أخذاً مشن قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، ولأنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- كان عنده غُلامٌ يَهُودِيٌّ يخدُمُه فَمَرِضَ، فأتاه يَعُودُهُ[4].

د- جَواز الاتجارِ مع غيرِ المسلمين حتى مع الحربِيِّين، فَلِكُلٍّ منهم دُخول بِلادِ الآخَرِ بِأمانٍ لِلتِّجارَةِ؛ لأنَّه -صلى الله عليه وسلم- أَذِنَ لِثُمامَة بن أُثال أن يَبِيعَ الطَّعامَ مِن اليَمامَة لأهلِ مَكَّةَ، فهذا التَّعامُل جائِزٌ مع المحارِبين كما جازَ مع أَهْلِ الذِّمَّةِ بِدَلِيلِ أنَّه -صلى الله عليه وسلم- مات ودِرْعُه مَرهُونَةٌ عند يَهُودِيٍّ [5].

ويتلَخَّص مِن هذا أنَّ المحارِبين مِن الكُفّار هم الذين يَتَصَدَّى لهم المسلمون بِالحرب، أمّا غير المحاربين مِن المعاهَدِين والمسْتَأمَنِين فإنَّ بِرَّهُم والإحسانَ إليهِم والتَّعامُلَ معهم" ليس مِن الموالاةِ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: صِلَة المرأة أمها ولها زوج، برقم (٥٩٧٩*.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: صِلة الأخ المشرك، برقم (٥٩٨١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الحثّ على إكرامِ الجارِ والضَّيف، رقم (٤٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصَّبيّ فمات هل يصلَّى عليه ؟ رقم (١٣٥٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب: شِراء النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- بالنَّسِيئَة، رقم (٢٠٦٨).

والمَوَدَّةِ المنهِيِّ عنها؛ بل هو مِن الإحسانِ الذي يحبُّه اللهُ ويَرْضاه وكَتَبَه على كلِّ شَيْءٍ" [1].

الأسئِلَة:

س١: عرِّف الوَلاءَ والبَراءَ.

س٢: بيِّن مَكانَة الوَلاءِ والبَراء في الإسلام.

س٣: بيِّن لَوازِمَ مُوالاةِ المؤمِنينَ.

س٤: ما الفرق بين المداهَنَة والمداراةِ ؟

س٥: أُذكر نموذَجاً مِن الوَلاء.

س٦: أُذكر نموذَجاً مِن البَراء.

س٧: ما حكم الاستِعانة بغيرِ المسلمين ؟

س٨: أُذكر أقسامَ غيرِ المسلمِين مِن حيث التَّعامُل.

س٩: اذكر نماذِج مِن التَّعامُل مع غيرِ المسلمِينَ.

(١) أحكامُ أهلِ الذِّمَّة لابن القيم (ص ٣٠١).